عيون الأخبار

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

٢١٣ — ٢٧٦ هـ

المجلد الثالث

كتاب الإخوان — كتاب الحوائج — كتاب الطعام

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

فهرس

المجلد الثالث من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبة

كتاب الإخوان

كتاب الحوائج

كتاب الطعام

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الاخوان

الحثّ على اتخاذ الإخوان واختيارهم

حدّثنا سَهْل بن محمد قال حدّثنا الأصمعىّ قال أخبرنا العِجْلىّ قال بعض الأدباء لابنه : يا بنىّ، إذا دخلت المصرَ واستكثرْ من الصديق فأمّا العدوّ فلا يُهمَّنَّكَ؛ وإياكَ والخُطَبَ فإنها مِشْوار(١) كثيرُ العِثارِ .

قال : وبلغنى عن الأوزاعىّ عن يحيى بن كَثير : أن داود النبىّ عليه السلام قال لابنه سليمان عليه السلام : "يا بُنىّ، لا تَستَبْدِلَنّ بأخٍ لك قديم أخا مُستفادًا ما استقامَ لك، ولا تَستَقِلَّنّ أن يكون لك عدوٌّ واحدٌ، ولا تَستَكثِرَنّ أن يكون لك ألفُ صديقٍ" .

وكان يقال : أعجزُ الناس مَنْ فرّط فى طلب الإخوان، وأعجزُ منه مَنْ ضيّع مَنْ ظَفِر به منهم .

وفى الحديث المرفوع : "المرءُ كثيرٌ بأخيه" . وأنشد ابن الأعرابىّ :

لعمرُكَ ما مالُ الفتى بذخيرةٍ * ولكنّ إخوانَ الثقاتِ الذخائرُ

---

(١) هكذا فى لسان العرب مادّة « شور » والمشوار : الشوط . وفى الأصل : « مشوا » .

قال أبو الجرح العُقَيلي وجدتُ أعراض الذيب ودخائرها بعَرْض المتالف لا ذخيرةَ الأدب وعَقيلةَ الحُلَّة ، فاستكثِروا من الإخوان و ستعصموا بعُرَا الأدب .

وكان يقال . الرجلُ بلا إخوانٍ كاليمين بلا شِمَالٍ . وقال الشاعر .

إذا لم يكن للقوم عزٌّ ولم تكن * لهم رَجُلٌ عند الإماء مَكينُ
فكانوا كأيدٍ أوهن الله بطشها * ترى أشملًا ليست لهنّ يمينُ

قال ابن السّـجـ ... بعد موت أخٍ لى فكأنما سقط عضوٌ منى .[1]

وقال القطامىّ :

وإذا يُصيبُكَ ... حدثتُ حداكَ إلى أخيك الأوثق

وقال آخر[2]

أخاكَ أخاكَ إنّ من لا أخا له * كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ
وإنّ ابن عم المرء فاعلَمْ جَنَاحه * وهل ينهض البازى بغير جَناحِ

قال الثقفى

من كان ذا عضدٍ يُدرِكْ ظُلَامتَهُ * إنّ الذليلَ الذى ليستْ له عَضُدُ
تَنْبُــو يداه إذا ما قَــلَّ ناصِرُهُ * ويأنَفُ الضَّيمَ إن أثرَى له عَدَدُ

وقال آخر .

وبغضـاءُ التقِىّ أقلُّ ضَـيْراً * وأسلَمُ من مودّة ذى الفُسُـوقِ
ولن تَنفَكَّ تُحسَـدُ أو تُعـادَى * فأكثِرْ ما استطعتَ من الصّديقِ

---

(١) فى الأصل : « إذ ... ... كأنما ... ... » . (٢) بفتح القاف وضمها وهو عمير ابن شُيَيم التغلبىّ من بنى جشم بن بكر بن الأرقم ، وقد ورد البيت فى ديوانه المطبوع بليدن هكذا : وإذا يُصابك الخ . وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

طرقت جنوب رحالنا من مطرق * ما كنت أحسبها قريب المعنق

(٣) هو مسكين الدارمىّ واسمه ربيعة بن عامر (أنظر خزانة الأدب للبغدادى طبع بولاق ج ١ ص ٤٦٦).

وقرأتُ فى كتاب العتّابىّ : تأنّينا إفاقتكَ من سكر غفلتك، وترقّبنا آنتباهكَ من وَسَنِ رَقدتك، وصبَرنا على تجرّع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأسُ من خيرك، وكشَفَ لنا الصبرُ عن وجه الغلطِ فيك، فها نحن قد عرفناكَ حقَّ معرفتكَ فى تعذيبكَ لطويلِ حقِّ مَنْ غَلِط فى آختيارك .

وقال الشاعرُ :

فأيُّهما يا ليــلَ إن تَفعلى بنا * فآخرُ مهجورٍ وأوّلُ معتب

وكتب محمد بن عبد الملك الى الحسن بن وهب . يجب على المرءوس اذا تجاوزَ به الرئيسُ حقَّ مرتبته بعمله، وكان تفضيلُه إنمــا وقع له بحثّه على القلب ومحلّه من الأدب، أن يقابل ذلك بمثله إن كان محاماً على محلّه، وإلا فلن يؤمَنَ عليه . معنى بيتِ شريح :

فإنى رأيتُ الحبَّ فى الصّدر والأذى * اذا آجتمعا لم يَلْبَث الحبُّ يَذهبُ

باب الوَداع

قال حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش قال حدّثنا مسلم حدّثنا سَلْمُ بن قتيبة عن إبراهيمَ بن عبد الرحمن بن يزيدَ[1] بن أمية عن نافع عن آبن عمر : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا ودّع رجلا "أستودِعُ اللهَ دينَــكَ وأمانتكَ وخواتيمَ عملِكَ وآخرَ[2] عمرِكَ" .

قال وحدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا مسلم بن ابراهيم عن سعيد بن أبى كعب الأزدىّ عن موسى بن مَيْسرة عن أنس بن مالك . أن رجلا أتى النبيَّ

(١) كذا فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى والخلاصة فى أسماء الرجال للخزرجى فيمن اسمه إبراهيم . وفى الأصل : «إبراهيم بن عبد الرحمن عن زيد بن أمية» وهو تحريف . (٢) ذكر هذا الحديث فى الجامع الصغير ج ١ ص ١٠٠ ولم تذكر به هــذه الجملة الأخيرة .

صلى الله عليه وسلم فقال : إنّى أُريدُ سفرًا غدًا فقال " فى حفظِ اللهِ وكَنَفِه زوّدك اللهُ التقوى وغفرَ ذنبَكَ ووجّهكَ للخيرِ حيثُ كنتَ " .

المعتمِرُ عن إياس بن دَغْفَلٍ قال : رأيت الحسَـنَ ودّع رجلا وعيناه تَهْمِلان وهو يقول :

وما الدهرُ إلا هكذا فاْصطَبِرْله . رَزِيئَــةُ مالٍ أو فِراقُ حبيبِ

قال وودّع رجلٌ صديقا له وهو يقول :

وَدَاعُكَ مثـــلُ وداعِ الربيعِ * وفقدُكَ مثـــلُ اْفتقادِ الدِّيَمْ[1]
عليـــكَ الســـلامُ فكَمْ من وفاءٍ . نُفَارِقُه منـكَ أو من كَرَمْ

وقال الطـائى :

بِنّ البينُ فَقْــدَها، قلّما تعـ ـرِفُ فقــدًا للشمسِ حتى تغيبا

وقال جريرٌ :

يا أختَ ناجيــةَ الســلامُ عليكمُ * قبلَ الرحيلِ وقبــلَ لَوْمِ العُذَّلِ
لو كنتُ أعلمُ أنّ آخرَ عهــدِكم * يومُ الرحيلِ فعلتُ ما لم أفعــلِ
أو كنتُ أرهبُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجلٍ * لقنعتُ أو لسألتُ ما لم يُسْأَلِ

وبلغنى عن بكر المــازنىّ أنه قال : دخلتُ على الواثق حين أمر بحملى، فقال لى : ما آسمُك؟ فقلت : بكرٌ، قال : مَنْ خلّفت وراءكَ، قلتُ[2] : بُنَيّةٌ، قال : ما قالت عند وداعك؟ قلتُ : قالت :

اذا غِبتَ عنّا وخلّفتنا * فإنّا سواءٌ ومَنْ قد يَتِمْ

---

(١) الديم : جمع ديمة وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق . (٢) فى الأصل : «قال» .

أَبَانَا فلا رِمْتَ مِنْ عندنا [1] * فإنا بخـيرٍ اذا لم تَرِمْ
أَبَانَا اذا أضمرتكَ البلا [2] * دُ نُجْفَى وتُقطَعُ منّا الرَّحِمْ

قال : فما قلتَ لها أنتَ؟ قال : قلت ما قال جرير :

ثِقِي بالله ليس له شريكٌ . ومِنْ عندِ الخليفةِ بالنَّجاحِ

كان لبني عُقَيلٍ عبـدٌ رضيعٌ بلِبَانِ بعضهم فباعوه، فقال حين شخَص به مواليه شـعرا :

أشوقًا ولـَّا يمضِ بى غيرَ ليـلةٍ [3] * فكيف إذا سار المطىُّ بنا شهرا

وقال مسلمُ بن الوليد :

وإنّى وإسماعيـلَ عنـد وداعه * لكالغِمْدِ يومَ الرَّوْعِ زايله النَّصلُ
فإن أغشَ قومًا بعـدهم وأزورَهم * فكالوحش يُدْنِيها من الأَنَسِ [4] المَحْلُ

وقال آخرُ عند توديعه :

عجبتُ لتطويحِ النّوى مَنْ نُحِبُّهُ * وتدنو بمَنْ لا يُستَلَذُّ له قُربُ

وقال آخر :

مالتْ تُودّعني والقلب يَغْلِبُها * كما يَمِيلُ نسيمُ الريح بالغُصُنِ
ثم ٱستمرّتْ وقالتْ وهى باكيةٌ * ياليتَ معـرفتى إيّاكَ لم تكنِ

وقال آخرُ لرجل ودّعه : بقِي علينا أن نَكُفَّ من غَرْبِ [5] الشُّؤونِ، ونَستعينَ على فُرْقةِ الوَحْشة بالكُتُبِ، فإنها ألسُنٌ ناطقة، وعيونٌ رامقة .

---

(١) يقال : ما رمت من عند فلان أى ما برحت . (٢) الذى فى اللسان مادّة «ضمر» : أرانا اذا أضمرتك اخ بدل «أبانا» . وقال : وأضمرته الأرض : غيبته إمّا بموت أو سـفر .
(٣) الرواية المشهورة : أشـوقا ولم يمض لى غير ليـلة * فكيف اذا خبّ المطى بنا عشرا
(٤) الأنس : الإنس . (٥) الغرب : مسيل الدمع، والشؤون : الدموع .

وقال البُحترىّ :

اللهُ جارُكَ فى انطلاقِكْ * تِلْقاءَ شامِكَ أو عِراقِكْ
لا تَعـــذُلَنِّى فى مَسيـ * ـرِى يومَ سِرتُ ولم أُلاقِكْ
إنّى خشِيتُ مَواقِفًا * لِلبَيْنِ تسفحُ غَرْبَ ماقِكْ
وعلمتُ ما يَلقَى المـوَدِّعُ عنـدَ ضَمِّك[1] واعتِناقِكْ
فتركتُ ذاكَ تَعمُّدًا * وخَرَجْتُ أهرُبُ من فِراقِكْ

الهـــــدايا

قال حدّثنا يزيدُ بن عمرو قال حدّثنا عُمير بن عِمْران قال حدّثنا الحارث بن عتبة عن العَلاء بن كَثيرٍ عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تصافَحُوا فإنّ المصافحةَ تُذْهِب غِلَّ الصدور، وتَهادَوْا فانّ الهديّةَ تَذهَبُ بالسَّخِيمة[2]" .

وحدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا بِشرُ بن المفضَّل عن يونس بن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو أُهدِيَتْ لى ذِراعٌ[3] لقَبِلت، ولو دُعيتُ الى كُراع[4] لأجبتُ" .

وفى حديث آخر : "تهادَوْا تحابُّوا فإنّ الهديةَ تفتَحُ البابَ المُصْمَتَ[5] وتَسُلُّ سَخِيمةَ القلب" .

قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعىّ قال : سمعتُ نافعا يحدّث قال : كان ابن عمر يقول : الهدايا من أمراء الفتنه

---

(١) كذا فى ديوان البحترى . وفى الأصل : «شمك» . (٢) السخيمة : الضغينة والحقد .
(٣) كذا فى الأصل والمحاسن والأضداد ص ٣٦٦ ؛ وقد ورد هذا الحديث فى البخارى ج ٣ ص ١٥٤ هكذا : "ولو دعيت الى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدى إلىّ ذراع أو كراع لقبلت" . (٤) الكراع بالضم : يد الشاة . (٥) المصمت : المغلق .

وروى الزُّبيرُ بن بَكّار عن عمه قال : كان الحارث بن عبد الله بن أبي رَبيعة يجلس وعمرو بن عبيد الله بن صَفْوانَ، ما يكادان يفترقان ، وكان عمرو يبعثُ الى الحارث في كلّ يوم بقِرْبةٍ من ألبان إبله ، فاختلفَ ما بينهما فأتى عمرٌو أهلَه [فقال][1]: لا تبعثُوا للحارث باللبَن فإنا لا نأمنُ أن يَرُدَّه علينا ، وانقلب الحارثُ الى أهله فقال : هل أتاكم اللبنُ؟ قالوا : لا ، فلما راح الحارثُ بعمرو قال[2]: ياهذا لاتجمعنَّ علينا الهجرَ وحبسَ اللبن ، فقال : أمّا اذ قلتَ هذا فلا[3] يحملُها اليك غيري ، فحملها من رَدمِ[4] بني جُمَح الى أجيادٍ[5] .

و بعث النضرُ بن الحارث الى صديق له يسكن عَبَّادانَ[6] بنعلين مخصوفتين وكتب اليه : بعثتُ اليك بهما وأنا أعلمُ أن بكَ عنهما غِنًى ، ولكنّي أحببتُ أن تعلَمَ أنك منى على ذُكْرٍ .

وقال بعضُ الشعراء :

إنّ الهديّةَ حُلوةٌ * كالسّحر تجتَلِبُ القلوبَا
تُدنِي البغيضَ من الهوى * حتى تُصَيِّرَه قريبَا
وتُعيدُ مُضطغِنَ العَدَا * وةِ بعد نُفْرَته حبيبَا

أهدى رجلٌ إلى صديق له عبدا أسودَ ، فكتب إليه : أما بعد، فلو علمتَ عددًا أقلّ من واحد أو لونا شرًّا من الأسود لَبعثتَ به إليّ . وهذا نظيرُ قول الآخر

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) في الأصل : «فقال» . (٣) في الأصل : «لا» . (٤) ردم بني جمح : موضع بمكة سمى بذلك لوقعة كانت فيه بين بني جمح بن عمرو وبين محارب بن فهر رُدِمَ فيه كثير من بني جمح . (٥) أجياد : موضع بمكة، يلي الصفا ، واختلف في سبب تسميته بهذا الاسم فقيل : سمى بذلك لأن تبعًا لما قدم مكة ربط خيله فيه ، وقيل غير ذلك .
(٦) عبادان (بفتح العين وتشديد الباء) : جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين في بحر فارس .

وقد سُئل كم لك من الولد ؟ قال : خبيثٌ قليل، قيــل : وكيف؟ فقال : لا أقلّ من واحد ولا أخبثَ من بنت .

أهــدى رجلٌ الى بعض الأمراء هديةً، فكتب اليه الأميرُ : قد قبلتُها بالموقع ورددتُها بالإبقاء .

وكان ابن عباس يقول : مَنْ أُهدِيَتْ اليه هديّةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها؛ فأهدَى اليه صديقٌ ثيابا من ثياب مصرَ وعنــده أقوام فأمر برفعها، فقال له رجل: ألم تُخبِرنا أنّ مَن أُهديَتْ له هديّةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ! فقال : إنما ذلك فيما يؤكَل ويُشربُ ويُشم، فأمّا فى ثياب مصر فلا .

وقال خلفٌ الأحمرُ :

أتانى أخٌ من غَيْبــةٍ كان غابهــا * وكنتُ اذا ما غاب أنشُــده رَكْبا (1)
فجاء بمعــروفٍ كثيرٍ فدسّــه * كمادسّ راعى السّوء فى حِضنه الوَطْبا (2)
فقلت له هــل جئتنى بهــديّةٍ * فقال بنفسى قلت أتحِفْ بها الكلبا
هى النفسُ لا أرقِى لها [من] بليّةٍ (3) * ولا أتمــنى أن رأيتُ لها قُــربا

أهدى رجل إلى صديق له وكتب إليه : الأُنسُ سهّل سبيلَ الملاطفة، فأهديتُ هديّةَ من لا يَحْتشِم، إلى من لا يَغْتنِم .

وحدّثنا أحمد بن الخليل قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حُبَابة بنت عَجْلان عن أمّها أم حفص عن صفيّة بنت جرير عن أم حكيم بنت وَدَاع الخُزَاعيّــة قالت : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما جزاءُ الغنيّ من الفقير؟ قال : " النصيحة والدعاء "

---

(1) نشده : عرّفه وسأل عنه . (2) الوطب : سقاء اللبن . (3) تكملة يقتضيها المعنى والوزن .

قلت : يُكْرَه ردُّ اللَّطَف[١] ؟ قال : "ما أقبحه، لو أُهديتْ إلىّ ذِراع لقَبِلتُ، ولو دُعيتُ إلى كُرَاع لأجبتُ، تهادَوْا فإنه يُضْعِف[٢] الحُبَّ ويَذْهَب بغوائل القلوب".

وحدّثنى محمد بن سلّام الجُمَحىّ قال حدّثنى خلّاد بن يزيد الباهلىّ قال : أُهديتْ ليزيد بن عمر بن هُبَيْرة فى يوم المِهْرَجان هدايا وهو أمير العراق فصُفّت بين يديه؛ فقال خلف بن خليفة وكان حاضرا :

كأنّ شماميسَ فى بِيعةٍ ۞ تسبّح فى بعض عِيداتها
وقد حضرتْ رسلُ المِهْرجا ۞ نِ وصَفّوا كرِيمَ هَدِيّاتها
علوتُ برأسىَ فوق الرءوس ۞ فأشخصتُه[٣] فوق هاماتها
لأكسِبَ صاحبتى مَحْفَدةً ۞ تغيظ[٤] بها بعضَ جاراتها

فأمر له بجامٍ من ذهب، ثم أقبل يفرّق بين جلسائه تلك الهدايا، ويُنْشد :

لا تَبْخَلَنّ بدُنيا وهى مقبلةٌ ۞ فليس يَنْقُصها التبذيرُ والسَّرَفُ
فإنْ تولّتْ فأَحْرَى أن تجودَ بها ۞ فالحمدُ منها اذا ما أدبرتْ خَلَفُ

كتب رجلٌ من أصحاب السلطان الى بعض العمال يَستهديه مِهارةً[٥] من ناحية عمله . فكتب اليه العامل : أمّا المِهارةُ فإن أهل عملنا يصونونها صيانةَ الأعراض، ويستترونها سَتْرَ الحُرَم، ويسومون بها مهور العقائل؛ وأنا مستخلِص لك منها ما يكون زينَ المَرْبَط وحُمْلانَ[٦] الصديق، إن شاء الله .

---

(١) اللطف : اسم من ألطفه بكذا اذا برّه . (٢) يضعف الحب : يضاعفه .
(٣) كذا فى الشعر والشعراء، وفى الأصل : «فأشخصتها» والرأس مذكر . (٤) كذا فى الشعر والشعراء . وفى الأصل «تغيض» : وهو تحريف . (٥) المهارة : جمع مهر بالضم، وهو ولد الفرس . (٦) الحملان : ما يوهب من الدواب كالفرس ونحوه مما يحمل عليه .

وقال بعضهم : الهديّة اذا كانت من الصغير الى الكبير، فكلّما لَطُفتْ ودقّت كان أبهى لها، واذا كانت من الكبير الى الصغير، فكلّما عَظُمتْ وجلّت كان أوقع لها وأنجع .

وكتب أبو السِّمْط [illegible]

بدولةِ جعفرٍ حَسُنَ الزمانُ * لنا بك كلّ يومٍ مِهْـــرجانُ
ليومِ المهرجانِ بك آختيالٌ * وإشراقٌ ونورٌ يُستبانُ
جعلتُ هديّتى لك فيه وَشْياً * وخيرُ الوشْيِ ما نَسَج اللسانُ

أهدى حُسَام بن مِصَكّ الى قَتَادَةَ نعلاً رقيقة، فجعل قتادةُ يَزِنها بيده، وقال : إنك تعرف سُخْفَ عقلِ الرجل فى سخف هَدِيّته .

وقال الشاعر :

ســـقى مُجَاجَتنــا نَوْءُ الثريّا * على ما كان من بُخْلٍ ومَطْلِ
همُ جمعوا النعالَ وأحرزوها * وســـدُّوا دونهــا بَاباً بقُفْلِ
فإن أهديتُ فاكــهةً وجدياً * وعشرَ دجاجٍ بَعثُوا بنعـــلِ
ومِسْـــواكَيْنِ طولُها ذِراعٌ * وعشرٍ من رديءِ المُقْلِ حُسْلِ(١)
فإن أهـــديتُ ذاك ليحملونى * على نعـــلٍ فـــدقّ الله رِجْلى
أُناس تائهونَ(٢) لهـــم رُواءٌ * تَغِيمُ سمــاؤهم من غيرِ وَبْلِ
اذا آنتســـبوا ففرعٌ من قريشٍ * ولكنّ الفِعالَ فِعالُ عُـــكْلِ(٣)

كتب رجل الى صـــديق له : لولا أنّ البضــاعة قَصّرت بى عن بلوغ الهِمة لأتعبتُ المسابقين الى بِرّك . وكَرِهتُ أن تُطْوَى صحيفةُ البِرّ، وليس لى فيها ذِكر،

(١) المقل : ثمر الدوم، وحسل : جمع حسيل، والحسيل : رذال الشىء . (٢) تائهون : متكبرون، وصف من التيه . (٣) عكل : قبيلة فيهم عاوة وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه عفلة و يستحمق : عكلىّ .

فبعثت اليك بالمبتدأ بيُمنه وبركته، والمختوم بطيبه ورائحته : جرابِ مِلْحٍ، وجراب أُشْنَانٍ[١] .

أهدى الطائىّ الى الحسن بن وهب قلماً وكتب اليه :

قد بعثنا إليك أكرمك اللـ * ـه بشىءٍ فكن له ذَا قَبُولِ
لا تَقِسْه الى نَدَى كفِّك الغَمْـ * ـرِ ولا نَيْلِك الكثيرِ الجزيلِ
وآغتفِرْ قلّةَ الهـــديّةِ منّى * إنّ جهـدَ المُقِلّ غيرُ قليـــلِ

وبعث أبو العَتَاهِيَة الى الفضل بن الربيع بنعلٍ وكتب معها :

نعـــلٌ بعثتُ بهـا لتلبَسَها * تسعى بها قدمٌ الى المجـــدِ
لو كان يمكن أن أُشَرِّكَها[٢] * جِلْدِى جعلتُ شِراكَها خَدّى

وقال بعض الشعراء فى نحو ذلك :

أوَ ما رأيتَ الـــوردَ أتحفَنَــا به . إتحافَ مَنْ خَطَرَ الصـــديقِ ببالِه
لو كان يُهْــدَى لآمرئٍ ما لا يُرَى * يُهْــدَى لعُظْمِ فِراقِـــه وزِيالِه
لرددتُ تُحفتَه عليـــه وإن علتْ * عن ذاك وآستهديتُ بعضَ خِصالِه

وقال المهدىّ :

تفّاحةٌ من عنـــد تفّاحةٍ * جاءتْ فماذا صنعتْ بالفؤادْ
واللهِ ما أدرى أأبصــرتُها * يقظانَ أم أبصرتُها فى الرّقادْ

قال : وكتب بعض العمال إلى صديق له : إنى تصفّحتُ أحوالَ الأتْباع الذين يجب عليهم الهـدايا إلى السّادة فى مثل هـذا اليوم والتأسّى بهم فى الإهداء، وإن قَصّرتِ الحالُ عن قَدْرِك، فرأيتنى إن أهديتُ نفسى فهى مِلكٌ لك لا حظّ فيها لغيرك،

(١) الأشـنان : نبات وهو أجناس كثيرة، وكلها من الحمض، وتغسل به الثياب وغيرها .
(٢) أشركها : أجعل لها شراكا، والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

ورميتُ بطَرْفي الى كرائم مالى فوجدتُ أكثرَها منك، فكنت إن أهديتُ شيئًا منه كالمُهدِى مالَك إليك ومُنفِق نفقتِك عليك، وفزِعتُ الى مودّتى وشكرى فوجدتُهما خالصَين لك قديمين غير مستحدثَين، ورأيتُ إن أنا جعلتُهما هديّتى لم أُجدِّد هذا اليوم الجديد برًّا ولا لَطَفا. ولم أَقِسْ منزلةً من شكرى بمنزلةٍ من نعمتك إلا كان الشكر مُقصِّرا عن الحق، وكانت النعمةُ زائدةً على ما تبلُغه الطاقة، ولم أسلك سبيلا ألتمس بها برًّا أعتدّ به أو لَطَفا أتوصّل إليه، إلا وجدتُ رِضاك قد سبقنى اليه. فجعلتُ الاعتراف بالتقصير عن حقك هديةً اليك، وقد قلت فى ذلك :

إنْ أُهْدِ نفسى فهى من مِلْكِه * أو أُهْـدِ مالى فهو من مالِه

لما قدِم معاويةُ المدينةَ مُنصرِفا من مكة، بعث إلى الحسن والحُسين وعبد الله ابن جعفر وعبدِ الله بن عمر وعبدِ الله بن الزُّبير وعبد الله بن صَفْوان بن أُميّة بهدايا من كُسًى وطِيبٍ وصِلاتٍ من المال، ثم قال لرسله: ليحفَظْ كلُّ رجلٍ منكم ما يرى ويسمع من الردّ. فلما خرج الرسل من عنده، قال لمن حضر: إن شئتم أنبأتكم بما يكون من القوم؛ قالوا: أخبِرْنا يا أمير المؤمنين. قال: أمّا الحسن فلعله يُنيل نساءَه شيئًا من الطِّيب ويُنْهِب ما بَقِي مَنْ حَضَره ولا ينتظر غائبا. وأما الحسين فيبدأ بأيتامِ من قُتِل مع أبيه بصِفّين، فإن بقِيَ شيء نَحَر به الجُزُر وسَقَى به اللبن. وأما عبد الله بن جعفر فيقول: يا بُدَيح(1)! اقْضِ به دَيْنى. فإن بقى شيء فأنفِذْ به عِدَاتى. وأما عبد الله بن عمر فيبدأ بفقراء عَدِىّ بن كعب، فإن بقِىَ شىء ادّخره لنفسه ومانَ به عيالَه. وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولى وهو يسبّح فلا يلتفت إليه ثم يعاوده الرسولُ فيقول لبعض كُتّابه: خذوا من رسول مُعاوية ما بعث به. وصله الله وجزاه خيرا، لا يلتفت اليها وهى أعظم فى عينه من أُحُد، ثم ينصرف الى أهله

(1) بديح: اسم مولى كان لعبد الله بن جعفر.

فيَعْرِضُها على عينه ويقول: آرفعوا، لعلِّى أنْ أعودَ بها على ابن هند يوما ما . وأما عبد الله بن صفوان فيقول: قليلٌ من كثير، وما كل رجلٍ من قريش وصل اليه هكذا، رُدّوا عليه، فإن رَدّ قَبِلناها . فرجع رسلُه من عندهم بنحو مما قال معاوية، فقال معاوية : أنا ابنُ هند! أعلم بقريش من قريش .

قال يونس بن عُبَيد : أتيتُ آبنَ سِيرِينَ فدعوتُ الجارية ، فسمعتُه يقول : قولوا له : إنى نائم — يريد: سأنام — ، فقلت : معى خَبِيص(١)، فقال : مكانَك حتى أخرج إليك .

قال رجل لأبى الدَّرْداء : إن فلانا يُقْرِئك السلام، فقال : هديّةٌ حسنة وتَحَمّل خفيف .

وبعث رجلٌ الى جارية يقال لها «راح» براحٍ، وكتب اليها :

قل لمن يملك الملو * كَ وإن كان قد مُلِكْ
قد شربنا فأشربى * وبعثنا اليك بِكْ

أهدى رجل الى عُبَيد(٢) بن الأخطل شاةً مهزولة ، فكتب اليه عبيد :

وهبتَ لنا يا أخا منقرٍ * وعِجْلٍ وأكرمَها أوّلا
عجوزًا أضرّ بها دهرُها * وأنزلها الذُّلُّ دارَ البِلَى

(١) الخبيص: نوع من الحلواء يصنع فى الطناجير، وهو أنواع كثيرة ذكرها ووصف كيفية صنعها صاحب كتاب الأطعمة فراجعها فى نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٢ علوم معاشية .

(٢) نسب أبو الفرج هذا الشعر فى الأغانى (ج ٣ ص ٢٢٧ طبع دار الكتب) لبشار بن برد، وروى أنه بعث به الى فتى من بنى منقر أمه عجلية، وكان يبعث الى بشار فى كل عام بأضحية من الأضاحى التى كان أهل البصرة يسمونها سنة وأكثر الأضاحى، فأمر وكيله فى بعض السنين أن يجريه على رسمه فأرسل اليه نعجة عبدلية من نعاج عبد الله بن دارم وهو نتاج مرذول، فأرسل اليه بشار بهذه الأبيات . وقد وردت هذه القصيدة فى الأغانى باختلاف فى بعض الأبيات والكلمات عما هنا .

سلوحًا[(١)] حسِبتُ بأن الرِّعاء * سَقَوْها الفَرِيقُونَ[(٢)] والحنظلَا
وأجدبَ من ثور زَرّاعةٍ[(٣)] * أصاب على جوعه سُنْبُلَا
وأزهدَ من جِيفةٍ لم تَدَعْ * لها الشمسُ من مَفْصِلٍ مَفْصِلَا[(٤)]
فأهوتْ يمِينى الى جنبها * فخِلتُ حراقِيفَها[(٥)] جَنْدَلَا
وأهوتْ يَسارى لعُرْقوبها * فخِلتُ عَرَاقيبَها مِغْزَلَا
فقلت أبيع فلا مَشْرَبًا[(٦)] * تُؤدِّى إلىّ ولا مَأْكلَا
أمَ أجعلُ من جلدها حَنْبلًا[(٧)] * فأُقْذِرُ بحنبلها حنبلَا
إذا هى مرّت على مجلس * من النُّجْبِ كبّر أو هلّلَا
رأوا آيةً خلفها سائقٌ * يَحُثّ وإن هرولتْ هرولَا
فكنتَ أمرتَ بها مُخْمَصةً * بشحمٍ ولحمٍ قد اسْتُكْمِلَا
ولكنّ رَوْحًا عدَا طَوْرَه * وما كنتُ أحسب أن يفعلَا
فعضَّ الذى خاننى حاجتى * بإستِ أمّه بَظْرُها الأغرلَا[(٨)]
فلولا مكانُك خَضْخَضْتُها * وعلّقتُ فى جِيدها جُلْجُلَا
فجاءت لكيما ترى حالَها * فتعلمَ أنّى بها مُبتلَى
ما تُمسك لحمًا لصِبياننا * فقد زدتَنى فيهم عَيِّلَا
فخُذها وأنت بها مُحسِنٌ * وما زلتَ بى مُحسِنًا مُجْمِلَا

---

(١) سلوح : وصف من السلح ، وهو للطير والبهائم كالتغوط للإنسان ، وقد يستعمل للإنسان تجوزا
(٢) الفريقون : ترياق للسموم مفتح مسهل . (٣) الزراعة : موضع الزرع كالملاحة لموضع الملح .
(٤) فى الأصل : «من مفصل يفصلا» وهو تحريف . (٥) الحراقيف جمع حرقفة وهى رأس الورك .
(٦) كذا فى الأغانى اعتمادا على بعض أصوله الخطية . وفى الأصل : «فلا مشترى» وهو تحريف . (٧) الحنبل : الفرو . (٨) الأغرل : الذى لم يختتن .

وبعث رجل إلى دِعْبِل بأُضحِيَّة، فكتب إليه :

بعثتَ إلىّ بأضحيّـــةٍ * وكنتَ حَرِيًّا بأن تفعلا
ولكنها خرجتْ غثّـــةً * كأنك أرعيتَهـا حَرْمَلا(١)
فإن قَبِـــل الله قُربانَها * فسبحانَ ربِّك ما أعدلا

قيل لرجل قَدِم من مكة : كيف أثمان الحِمال بمكة؟ قال : أثمان الحِدَاء(٢) بالعراق .

وقال مُسْلم بن الوليد :

جَزَى الله من أهدَى الترُنْج(٣) تحيةً * ومَنَّ بما يهوى عليـــه وعجّلا
أتتنا هدايا منــه أشبهن رِيحَه * وأشبهَ في الحسن الغزالَ المكحّلا
ولو أنه أهــــدَى إلىّ وِصالَه * لكان إلى قلبي ألذّ وأوصـلا

وكتب رجل الى صديق له شَرِب دواءً :

تأنّق في الهـــديّة كلُّ قومٍ * إليــك غداةَ شُرْبِكَ للدواءِ
فلمّـا أنْ هَممتُ به مُدِلًّا * لموضع حُرْمتي بك والإخاءِ
رأيتُ كثيرَ ما أُهْدِي قليـلًا * لعبدك فاقتصرتُ على الدُّعاءِ

وكتب رجل الى صــديق له : وجدتُ المودّة منقطعة ما كانت الحِشْمةُ عليها متســلّطة ، وليس يُزيل سلطانَ الحِشمة إلا المؤانســةُ ، ولا تقع المؤانســةُ إلا بالبرّ والملاطفـــة .

العيـــــــادة

قال حدّثنا يزيد بن عمــرو قال حدّثنا يزيد بن هارون قال حدّثنـا شَريك عن أبي نُصَيْر عن أنَس بن مالك ، قال : عاد رسولُ الله صلى الله عليــه وسلم رجلا من

(١) الحرمل : حب نبات كالسمسم يمتنع عن الأكلة ، ولا يأكله إلا المعزى ، وقد يداوى به المحموم .
(٢) الحداء : جمع حذى . (٣) الترنج : ثمر شجر بستانى من جنس الليمون ناعم الورق والحطب .

الأنصار من رَمَدٍ كان بعينه . ومن حديث أبي هُرَيرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يُعَادُون صاحبُ الدُّمَّل والرمد والضرس" .

وحدّثني القاسم بن الحسن عن ابن الأصبهانيّ عن إسماعيل بن عيّاش عن أَرْطاةَ بن المُنْذِر : أن أبا الدرداء عاد جاراً له نصرانيا .

قال الشَّعْبيّ : عِيادةُ النَّوْكَى أشدّ على المريض من وَجَعه .

شَيْبان عن أبي هَـدِيّة عن أبي هِلَال قال : قال بكر بن عبد الله لقوم عادوه فأطالوا عنده : المريضُ يُعاد، والصحيحُ يُزار .

عاد قومٌ عليـاً فأطالوا عنده، فقال لهم : إن كان لكم في الدار حقٌّ تحـدوه وآنصرفوا .

عاد رجل رَقَبةَ، فنعى رجالًا آعتلّوا مثل عِلّتـه، فقال له رقبة : إذا دخلتَ على مريض فلا تَنْعَ إليه الموتى، وإذا خرجتَ من عندنا فلا تَعُدْ إلينا .

عاد أعرابيّ أعرابيـاً فقال : بأبي أنت! بلغني أنك مريض، فضاق والله عليّ الأمرُ العريض، وأردتُ إتيانَك فلم يكن بي نهوض ؛ فلما حملتْني رجلان، ولبستا نعلان، أتيتُك بجرزةِ[1] شيح ما مسّها عِرنِين[2] قط، فأشْمُمْها وآذكر نجداً، فهو الشفاء بإذن الله .

قال كُثَيِّر :

ألَا تلك عزّةُ قــد أقبلتْ * تقلّبُ للبين طَرْفًا غَضِيضَا
تقـول مَرِضتُ وما عُدْتَنا * فقلتُ لها لا أُطيق النهوضا
كلانا مَرِيضانِ في بلدةٍ * وكيف يعودُ مريضٌ مريضا

(١) الجرزة : الحزمة . (٢) العرنين : الأنف .

وقال آخر(١):

إذا مَرِضْنا أتيناكم نعودكُمُ * وتُذْنِبون فنأتيكم فنعتـذرُ

وقال بشار:

لو كانت الفِدْيةُ مقبولةً * لقلتُ بي لا بك حُمّاكا

وكتب آخر إلى عليل:

نُبِّئْتُ أنك معتـلٌّ فقلتُ لهم * نفسي الفِداءُ له من كلّ محذورِ

ياليت علّتـه بي غيرَ أنّ له * أجرَ العليـلِ وأنّي غيرُ مأجورِ

وكتب آخر إلى عليل:

أقولُ بحـقٍّ واجبٍ لك لازمٍ * وإخلاصِ شكرٍ لايغيّره الدهرُ

بِيَ السوءُ والمكروهُ لا بك كلّما * أراداك كانا بي وكان لك الأجرُ

وقال آخر في مثله:

فإنْ تكُ حُمّى الغِبِّ(٢) شفّك وِرْدُها(٣) * فعُقْباكَ منها أن يطـولَ لك العمرُ

وَقَيناك! لو نُعْطَى المُنَى فيك والهوى * لكان بِيَ الشكوى وكان لك الأجرُ

وفي الحديث المرفوع "حَصِّنوا أموالكم بالزكاة، وداوُوا مَرْضاكم بالصدقة، واستَقْبِلوا البلايا بالدعاء". وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال يومًا لأصحابه: "مَنْ أصبح منكم صائمًا؟" قال عمر: أنا؛ قال: "فمن شَيَّع جنازةً؟" قال عمر: أنا؛ قال: "فمن عاد مريضا؟" قال عمر: أنا؛ قال: "فمن فيكم تصدّق بصدقة؟" قال عمر: أنا؛ فقال صلى الله عليه وسلم: "وجبتْ وجبتْ وجبتْ". وفي حديث

(١) هو المؤمل بن أميـل (نهاية الأرب ج ٣ ص ٩٢ طبعة أولى). (٢) حمى الغب: التي تنوب المريض يوما بعد يوم. (٣) الورد من أسماء الحمى وقيـل: هو يومها الذي تأخذ فيه صاحبها.

آخر: أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إتمامُ عيادتكم المريضَ أن يَضَع أحدكم يده على جَبْهته أو على رأسه أو يدَه في يده ويسأله كيف هو، وتمامُ تحيّاتكم المصافحة".

وقال الشاعر:

إن كنتُ في ترك العيادةِ تاركًا * حَظّي فإني في الدعاءِ لجاهدُ
فلربما ترَكَ العيادةَ مُشْفِقٌ * وأتى على غِلِّ الضميرِ الحاسدُ

أبو حاتم قال حدّثنا العُتْبِيّ عن أبيه قال: كان يقال: إذا اشتكى الرجلُ ثم عُوفِيَ ولم يُحْدِث خيرًا ولم يَكُفّ عن سُوء، لقيتِ الملائكةُ بعضُها بعضًا وقالت: إن فلانًا داوَيْناه فلم ينفعْه الدواء.

وقال أبو حاتم حدّثنا القَحْذَمِيّ قال: أَطْلَع[1] معاويةُ في بئر بالأَبْواء[2] فأصابتْه لَقْوة[3]، فاعتمّ بعمامةٍ سوداء وسدَلها على الشقّ الذي أُصيب فيه، ثم أذِن للناس فقال: أيها الناس، إنّ ابن آدم بعَرَض بلاء: إما مُعاتَبٌ ليُعْتِب، وإما مُعاقَب بذنب، أو مبتلًى ليؤجَر، فإن عُوتِبتُ فقد عُوتب الصالحون قبلي، وإني لأرجو أن أكون منهم؛ وإن عُوقِبتُ فقد عوقب الخطّاءُون قبلي، وما آمن أن أكون منهم؛ وإن مَرِض عضو منّي فما أُحْصِي صحيحي ولَمَا عُوفيتُ أكثر، ولو أن أمري إلى ما كان لي على ربّي أكثرُ مما أعطاني. وإني وإن كنتُ عاتبًا على خاصّ منكم فإني حَدِب على جماعتكم، أُحبّ صلاحكم. وقد أُصبتُ بما ترون، فرحم الله امرأً دعا لي بعافية! فرفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء.

---

(١) أطلع: أشرف. (٢) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا، وقيل: الأبواء: جبل عن يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى مكة.

(٣) اللقوة (بالفتح): داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبي العنق.

مَرِض أبو عمرو بن العلاء مَرْضةً، فأتاه أصحابه وأبطأ عنده رجل منهم، فقال: ما يُبْطِئ بك؟ قال: أُريد أن أُسَاهِرَك، قال: أنت مُعافًى وأنا مبتـلًى، فالعافية لا تدعُك تسهر والمرض لا يدعني أنام، فأسألِ الله أن يسوق الى أهل العافية الشكر، والى أهل البلاء الصبرَ والأجر.

حدّثني عبـد الرحمن عن الأصمعيّ قال: اشتكى رجل من الأعراب، فجعل الناسُ يدخلون عليه فيقولون: كيف أصبحت وكيف كنت؟ فلما أكثروا عليـه قال: كما قلتُ لصاحبك.

قال: وقع رجل من أهل المدينة فوَثِئَتْ[1] رِجلاه، فجعل النـاسُ يدخلون عليه ويسألونه، فلما أكثروا عليه وأُضْجِر كتب قصّته فى رُقعة، فكان اذا دخل عليه [عائد][2] وسأله دفع اليه الرقعة.

الهَيْثم بن عَدِيّ قال: كان رجل من أهل السّوَاد مجهودًا[3] لا يَقْصِـد فى شيء إلا انصرف عنـه، فغاب مرّةً فأطال، فلـما قَدِم أتاه الناس فجعلوا يسألونه عن حاله وما كان فيه، وكان فيه بَرَمٌ، فأخذ رُقعةً فكتب فيها:

وما زلتُ أقطع عَرْضَ الفلاةِ * من المَشْرِقَيْنِ الى المَغْرِبَيْنِ
وأطوِى الفيافِىَ أرضًا فأرضًا * وأستَمْطِر الجَدْىَ والفَرْقَدَيْنِ
وأطوِى وأنشُر ثوبَ الهموم * الى أن رجعتُ بخُفَّىْ حُنَيْنِ

(١) وثئت رجله أو يده: أصابها وهن لا يبلغ أن يكون كسرا. (٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) المجهود: هو الذى نكد عيشه. وفى الأصل «مجدود» بالدال، والمجدود: المحظوظ، والسياق يأباه.

فقـــيرًا وَقِيرًا[1] أخا عُسْرةٍ * بعيدًا من الخير صِفر اليدينِ
كئيبَ الصّديق بهيجَ العدوّ * طويلَ الشّقا زانِيَ الوالدينِ

وطرحها فى مجلسه، فكلّ من سأله عن حاله دفع اليه الرقعة .

قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه أن نَبَطيًّا وقع من موضع عالٍ، فدخلوا يسألونه : كيف وقعت ؟ فلما أكثروا عليه أخذ جَرّةً وألقاها من يده وقال : هكذا وقعتُ .

أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أحدبُ فسقَط فى بئر فذهبت حدبته فصار آدر[2]، فدخلوا يسألونه ويهنئونه بذهاب حَدَبتــه ، فجعل يقول : الذى جاء شرٌّ من الذى ذهب .

المدائنىّ قال : سقط ابن شُبْرُمة القاضى عن دابّته فوُثِئتْ رجله، فدخل يحيى ابن نوفل الحِمْيرىّ عليه فقال :

أقول غداة أتانى الخبـر * فـدسّ أحاديثــه الهينمهْ[3]
لك الويلُ من مُخبِرٍ ماتقول؟ * أَبِنْ لِى وعَدِّ عن الجمجمــهْ[4]
فقال خرجتُ وقاضى القضا * ة مُنْشَــقَّةٌ رِجلُه مؤلمَــهْ
فقلت وضاقت علىّ البلاد * وخفتُ الْجَـــلالة لمعضمهْ
فغزوانُ حرٌّ وأمّ الوليـــد * إنِ الله عافى أبا شُـــبْرُمهْ
جزاءً لمعـروفه عنــدنا، * وما عتقُ عبدٍ له أو أمَـــهْ »

قال : وفى المجلس جار ليحيى بن نوفل يعـرف منزلَه . فلمـا خرج تبعه وقال : يا أبا معمر، مَنْ غزوان وأم الوليد ؟ فضحك وقال : أوَ ما تعرفهما؟ هما سِنّوران فى البيت .

---

(١) الوقير : الذليل المهان . (٢) الآدر : المصاب بانتفاخ فى إحدى خصيتيه .
(٣) الهينمة : الصوت الخفىّ . (٤) الجمجمة : عدم الإبانة فى الكلام .

قال حدّثنا الرِّياشيّ عن أبي زيد قال دخلنا على أبي الدُّقَيش وهو شاكٍ ، فقلنا له : كيف تجِدُك ؟ قال : أجِدُني أجِد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجِد ، ولقد أصبحتُ في شرّ زمانٍ وشرّ أناسٍ : مَنْ جاد لم يَجِدْ ومن وَجَد لم يَجُد .

قيل : لعمرو بن العاص وقد مَرِض مرةً : كيف تجِدُك ؟ قال أجدني أذوب ولا أثوب ، وأجد نَجْوِي(١) أكثر من رُزْئي ، فما بقاءُ الشيخ على هذا ! .

سئل عليلٌ عن حاله فقال : أنا مُبِلٌّ غير مُستقِلّ ، ومتماثلٌ غير متحامل .

وقيل لآخر : كيف تجدك ؟ قال أجِدُني لم أرض حياتي لموتي .

وقيل لرجل من العجم : ما حالك ؟ قال : ما حال منْ يريد سفرًا طويلًا بلا زادٍ ! و ينزل منزلًا مُوحِشا بلا أنيس ! و يَقْدَم على جَبّار قد قدّم العذرَ بلا حجّة ! .

قيل لِعِكْرِمة : كيف حالك ؟ قال : بِشرٌّ ، أصبحت أجرَبَ مبسورا(٢) .

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : قيل لشيخ من العُبّاد : كيف أنت ، وكيف أحوالُك ؟ فقال : ما كلُّها كما أشتهي .

قيل لآخر : ما تشتكي ؟ قال : تمامَ العِدّة وآنقضاء المدّة .

و بلغني عن مُعاوية بن قُرّة قال : مَرِض أبو الدّرداء ، فعاده صديقٌ له فقال : أيّ شيء تشتكي ؟ قال : ذُنوبي ، قال : فأيّ شيء تشتهي ؟ قال : الجنة ، قال : فندعو لك بالطبيب ؟ قال : هو أمرضني .

سئل رجلٌ عن حاله فقال :

كنّا اذا نحن أردنا لم نَجِدْ * حتى اذا نحن وجدنا لم نُرِد

---

(١) النجو : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط ، والرزء : ما يناله الانسان من الطعام .

(٢) مبسورا : به داء البواسير .

أَرْجف الناسُ بعلّة معاوية وضعفه، فدخل عليه مَصْقَلة بنُ هُبَيرة، فأخذ معاوية بيده ثم قال يا مَصْقل :

أبقى الحـــوادثُ من خليـ * ـلك مثل جَنْدلة المَرَاجِمْ
قـد رامنى الأقـــوامُ قبـ * ـلك فامتنعتُ من المظالمْ

فقال مَصْقلة : أمّا قولُ أمير المؤمنين: «أبقى الحوادث من خليلك»، فقد أبقى الله منك جبلًا راسيًا وكَلأً مَرِعيًا لصديقك وسمًّا ناقعًا لعدوك . وأما قولك : «قد رامنى الأقوام قبلك»، فمن ذا يَرُومك أو يظلمك! فقد كان الناس مشركين فكان أبو سفيان سيّدهم، وأصبح الناس مسلمين وأصبحتَ أميرَهم؛ فأعطاه معاوية فخرج. فسئل عنه فقال : والله لغَمَزنى غمزةً كاد يَكسِر منها يدى وأنتم تزعُمونه مريضا .

وقال المَدائنىّ : دخل كُثَيِّر عَزّة على عبد الملك بن مروان، فقال : يا أمير المؤمنين، لولا أنّ سرورك لا يتمّ بأن تَسْلَمَ وأسقَم لدعوتُ الله أن يَصْرِف ما بك إلىّ، ولكن أسألُ الله لك أيها الأمير العافيةَ ولى فى كَنَفك النعمةَ ؛ فضحك وأمر له بمال؛ فقال :

ونعودُ سيّدَنا وسيّدَ غيرِنا * ليت التّشكّى كان بالعُوّادِ
لو كان يُقْبَلُ فِديةٌ لفديتُه * بالمصطفَى من طارِفى وتِلادى

وقال آخر :

لا تَشكُوَنّ دهرًا صَحَحتَ به * إنّ الغِنَى فى صحّة الجسم
هَبْكَ الخليفةَ، كنتَ منتفعًا * بلذاذة الدنيا مع السُّقْمِ؟

اعتلّ المِسْوَر فجاءه ٱبنُ عباس يعوده نصفَ النهار، فقال المسور: يا أبا عباس[1] هلّا ساعةً غيرَ هــذه ! قال ٱبن عباس : إنّ أَحَبَّ الساعاتِ إلىّ أنْ أُؤَدِّىَ فيهـا الحقَّ أشقُّها علىّ .

وكتب رجل إلى صديق له : كيف أنت؟ بنفسى أنت! وكيف كنت؟ لازلت! وكيف قوّتُك ونشاطك ؟ لا عَدِمْتَهما ولا عَدِمْنا هما منك، وأعادك الله الى أحسنِ ما عوّدك! لولا عوائقُ يُوجِب العذرَ بها تَفَضُّلُك لم أَدَعْ تعرّفَ خبرك بالعين، فإنها أشفى للقلب وأنفع للعليل وأشدُّ تسكينا للاعج الشوق .

وقرأت فصلا فى كتاب[2]: لئن تخلّفتُ عن عيادتك بالعذر الواضح من العلّة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لسانى فحصًـا عن خبَرك فى مُمْسَاك ومُصْـبحك وتنقـل الحال بك تبعث من تقسم جوارحه وصبك وزاد فى ألمهـا ألمك ومن تتّصل بك أحواله فى السراء والضراء . ولمـا بلغتنى إفاقتك كتبت مهنئا بالعافية مخبرًا بالعـذر، معفيًا من الجواب إلا بخبر السلامة إرسالا .

وقال عبد بنى الحَسْحَاس :

تَجَمَّعْنَ من شَـتَّى ثلاثٌ وأربعٌ * وواحدةٌ حتى بلغْنَ ثمانيَا
سُلَيْمى وسَلْمَى والرَّبابُ وزينبُ * وهنـــدٌ ودَعدٌ والمُنَى وقَطَاميَا
وأقبلنَ من بعض الخيام يَعُدْنَنِى * ألَا إنّ بعضَ العائداتِ دوائيَا

(١) أبو العباس : كنية عبد الله ابن العباس . (٢) كذا ورد هذا الفصل بالأصل، ولم نوفق اليه فى مصدر آخر سوى العقـد الفريد (ج ٢ ص ٣٤١) وورد فيه هكذا : «لئن تخلفت عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لسانى فحصا عن خبرك يجب أن تقسم جوارحه وصبك وإن زاد فى ألمها ألمك وأن تتصل به أحوالك فى السراء والضراء . ولما بلغتنى إفاقتك كتبت مهنئا بالعافية معفيا من الجواب إلا بخبر السلامة إن شاء الله» . والظاهر أن رواية العقد أوفق من رواية الأصل غير أن فيها كلمة «يجب» نابية، ولعل أصل العبارة : وكيف بمن يجب الخ أو نحو ذلك .

وقال عبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيْرِىّ :

مَا لِى مَرِضْتُ فلم يَعُدْنى عائد * منكم ويَمرَضُ كلبكم فأعودُ

فسُمِّى «عائدَ الكلب»، وولدُه الآن يسمَّوْن «بنى عائد الكلب» .

التعازى وما يُتَمَثَّل به فيها

حدّثنى محمد بن داود عن غسّان بن المفضَّل قال قال عبد الوهاب الثَّقَفِىّ : أتانى ابن جُرَيج بمكة يُعزِّينى عن بعض أهلى، فقال : إنه مَنْ لم يَسْلُ أهلَه إيمانًا واحتسابًا سلا كما تسلُو البهائم .

كتب إبراهيم بن يحيى الأَسْلَمِىّ إلى المهدىّ يعزّيه عن ابنته : أما بعد، فإن أحقّ مَنْ عرَف حقّ الله فيما أخَذ منه من عَظَم حقّ الله عليه فيما أبْقَى له . واعلم أن الماضى قبلَك هو الباقى بعدك، وأن أجر الصابرين فيما يُصابون به أعظم عليهم من النعمة فيما يُعافَوْن منه .

ونحوه قول سهل بن هارون : التهنئةُ على آجل الثواب، أولَى من التَّعْزِية على عاجِل المصيبة .

وقال بعض الشعراء :

كَمْ مِنْ يدٍ لا يُسْتَقَلُّ بشكرها * لله فى طَىِّ المَكارِه كامِنَهْ

وسقطت مَقاديمُ فم معاوية فشقّ ذلك عليه، فقال له يزيد بن مَعْمَر السَّلَمِىّ : والله يا أمير المؤمنين، ما بلغ أحدٌ سنّك إلا أبغض بعضُه بعضًا، ففُوك أهونُ علينا من سمعك وبصرك .

وقال صالح المُرِّىّ لرجلٍ يعزّيه : إن لم تكن مصيبتُك أحدثتْ فى نفسك مَوْعظةً فمصيبتُك بنفســك أعظم . ونحوه : شرٌّ من المَرْزِئةِ ســوءُ الخلف عنهـا . ومثله قول الشاعر :

إن يكن ما به أُصبتَ جليلًا * فلَفَقْــدُ العزاء فيــه أجلُّ

عزّى شَبيبُ بن شَيْبة المَهْدىَّ عن بانُوقة[1] ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما عند الله خير لها مما عندك ، وثوابُ الله خيرٌ لك منها .

عزّى رجلٌ عبد الله بنَ طاهر عن ابنته فقال : أيها الأمير ، ممّ تجزَع ؟

* الموتُ أكرمُ نزّالٍ على الحُرَمِ *

وقال جرير :

وأهــونُ مفقودٍ اذا الموتُ ناله * على المرء مِنْ أصحابه من تَقَنَّعَا

وقال آخر :

ولم أرَ نعمةً شَمِلتْ كريمًا * كنعمة عورةٍ سُتِرت بقبرِ

وعزّى رجل رجلا فقال : لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما يُنسيكَها .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز :

تَعَــزَّ أمــيرَ المؤمنــين فإنه * لِمَــا قد ترى يُغْذَى الصغيرُ ويولَدُ
هَل ٱبنُــك إلّا من سُــلالةِ آدمٍ * لكلٍّ على حوض المنيّــةِ مَوْرِدُ

عزّى أبو بكر عمرَ رضى الله عنهما عن طفل أُصيب به ، فقال : عوّضك الله منه ما عوّضه منك .

وقال محمودٌ الوَرّاق :

يمثّل ذو اللبّ فى نفســه * مصائبَــه قبــل أن تَنْزِلَا

(١) بانوقة : بنت كانت للمهدىّ .

فإن نزلتْ بغتـــةً لم تَرُعْه * لِمَا كان فى نفسه مثّلَا
رأى الهمَّ يُفْضِى الى آخرٍ * فصـــيَّر آخرَه أوّلَا
وذو الجهـــل يأمَنُ أيامَه * وينْسَى مصارعَ من قدخلَا
فإن بدَهتْه صروفُ الزمانِ * ببعض مصائبـه أعْوَلَا
ولو قـدّم الحزمَ فى أمره * لعلّمه الصبرَ عنـد البَلَا

عزّى موسى بنُ المهدىّ سليمانَ بنَ أبى جعفر عن آبنٍ له ،فقال : أيَسُرُّك وهو بليّة وفتنة، ويحْزِنك وهو صلاة و رحمة! .

وعزّى رجل موسى بنَ المَهْدِىّ عن آبن له فقال : كان لك من زِينه الحيـاةِ الدنيا، وهو اليومَ من الباقياتِ الصالحات .

توفّى سُهَيل بن عـبد العزيز بن مروان ، فكتب الى عمرَ بنِ عبد العزيز بعضُ عمّاله وأطْنب فى كتابه؛ فكتب اليه عمر :

حَسْبِى(١) حياةُ الله من كلّ ميّتٍ * وحسبِى بقاءُ الله من كلّ هالك
إذا ما لقيتُ اللهَ عـنّى راضياً * فإنّ شفاءَ النفس فيما هنـالك

كتب آبنُ السمّاك الى الرشيد يعزّيه بابنٍ له(٢) : أما بعدُ، فإن آستطعتَ أن يكون شـكرُك لله حينَ قبَضــه أكثرَمن شكرِك له حينَ وهبه(٣)، فإنّه حينَ قبضه أحرَز لك هِبتَه، ولو سلِم لم تَسْلَم من فِتْنتِه؛ أرأيتَ حزَنك على ذهابه وتلهُّفك لفراقه! أرضيتَ الدارَ لنفسك فتَرْضَاها لآبنــك! أمّا هو فقد خلَص من الكدر، وبقِيتَ أنت معلّقا بالخَطَر . وآعلم أن المصيبةَ مصيبتان إن جزِعْتَ، وإنمـا هى واحدة إن صبرت ، فلا تَجْمعِ الأمرين على نفسك .

(١) دخله الخرم وهو حذف فاء فعولن . (٢) كذا فى الأصل ولعله «يعزيه عن ابن له» .
(٣) حذف هنا الجواب وهو مفهوم من سياق الكلام .

كتب عبدُ الله بن طاهر إلى أبي دُلَف : المصائب حالّةٌ لابدّ منها ، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفا بعبده، وآيةُ ذلك أن يوفّقه للصبر ويُلهمَه الرضا ويبسُط أملَه فيما عنده من الثواب الآجل والخَلَف العاجل . ومنها ما يكون سُخْطا وانتقاما، أوّله حُزْن وأوسطه قُنوط وآخرُه ندامة، وهي المصيبةُ حقًّا الجامعةُ لخُسْران الدنيا والآخرة . ولم تزَلْ عادةُ الله عندك الإخلافَ والإتلاف . وإن يَكُ ما نالك الآن أعظمَ مما أتى عليك في مَوَاضي الأيام، فالأجرُ المأمولُ على قدر ذلك .

وكتب أبو دُلَف اليه : إن تكن المصيبةُ جلّتْ، فإنّ فيما أكرمني الله به مِنْ جَميل رأيِ الأمير وما وضَح للناس من فضل عنايته وابتدائه إيايَ[1] بكُتُبه، ما عجّل العوضَ من المفقود .

وفي كتاب آخر: لئن كانت المصيبة جلّت، إن فيما أبقى اللهُ ببقاء الأمير عوضا وافيا وخلَفا كافيا . وحقيقٌ بمن عظُمت النعمةُ عليه فيما أبقى اللهُ أن يَحْسُن عَزاؤُه عما أُخِذ منه . وأحقُّ ما صُبِر عليه ما لا يُستطاع دفعُه .

وقرأت في كتابٍ لبعض الكُتّاب في تعزية: أسأل الله أن يَسُدّ بك ما ثلَمت الأيامُ من مكانه، ويعمُر ما أخْلتْ من مَشَاهده وأوطانه حتى لا يعفُوَ الداثر، وأن يستقبِلَ لكم أيامَكم بأحسنِ ما أمضاها لمن مضى منكم، فيجعلَكم الخَلَف الذي لا وحشةَ معه ولا وحشةَ عليه، ويتولّاكم ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليُّه .

وقرأت في كتاب تعزية : لا لومَ على دمعة لا تملِك أن تَسْفَحها، ولا على ألم في القلب لا يُدْفع أن يظهرَ فيك، ولا عذر في سواهما مما أحْبط أجرَك وأشْمت عدوّك وضعّف رأيَك، ولم يرجع إليك فائتا ولا الى شقيقك بمكانه رَوحا ولا الى من خلّف

(1) في الأصل : « ... وما وضح للناس فإن فضل عنايته وابتدائه إياي ...الخ » .

حفظا . واعلم أن فرقَ ما بين ذى العقلِ وذى الجهل فى مصيبتيهما تعجُّل العـاقل من الصبر ما يتأجَّل الجاهلُ .

وقرأتُ فى كتاب تعزية : لو كانت النوائب مدفوعة عن أحدٍ بكثرة مَنْ يَقِيه ذلك من إخوانه ويَفْديه منه بالأخَصّ من أعِزَّته والأنفَسِ من ماله ، سلِمْتَ من مُلمِّها ، وكان سَبْقِى الى ذلك أبرزَ سَبْق ، وحظِّى بالتقدّم فيه أوفرَ حظّ .

وقرأت فى كتاب : مصيبتُك لى مصيبةٌ ، وما نالك من ألمها لى مُوجِع . ولو كان فى الوُسْع أن أعلم كُنْهَ ما خامر قلبَك من ألمها لحَمَلتُ مثلَه على نفسى ، فإنى أُحبّ أن أكون أُسْوتَك فى كل سارّ وغامّ ، وألّا أتمتّع بأيام غُمُومِك ، ولا أقصِّر فيها عن مقدار حالك .

وقرأت فى كتاب : نسـأل اللهَ حسنَ الاستعدادِ لمـا نتوكَّفُه[1] ونتوقّع حلولَه ، وألّا يَشْغَلَنا بمـا يَقِلّ الانتفاعُ به وتَعْظُمُ التّبِعةُ فيه عمّا نحتاجُ اليه يومَ تجد كلُّ نفس ما عَمِلت من خيرٍ مُحْضَرا ، وما عَمِلتْ من سُوءٍ تَودّ لو أنّ بينَها و بينَـه أمدًا بعيدا ، وأن يجعل ما وهب لنا من الصـبر والعزاء إيمانًا و إيقانا ، ولا يجعلَه ذُهُولًا ونِسْيانا .

قال أسماءُ بنُ خارجه اذا قَدُمتِ المصيبةُ تُرِكت التعزية ، واذا قدُم الإخاء قبُح الثنـاء .

قيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسن عزاءَكِ ! فقالت : إن فَقْدِى إياه أمّنى من المصيبة بعده . ونحوه قول الشاعر[2] :

وكنتُ عليه أحذَر الموتَ وحدَه * فلم يبـق لى شىء عليـه أحاذِرُ

---

(١) نتوكفه : نتوقعه . (٢) هو أبو نواس الحسن بن هانئ ، وهذا البيت من أبيات قالها فى محمد الأمين ، وقبل هذا البيت :

طوى الموت ما بينى وبين محمد * وليس لمـا تطوى المنية ناشر

ومثـــله :

وقد كنتُ أستعفى الإلٰهَ اذا اشتكَى * من الأجرِ لى فيه و إن سرَّنى الأجرُ

وقال أبو العتاهيّة :

وكما تَبْـــلى وجوهٌ فى الثّرَى * فكذا يبـلَى عليهن الحَـزَنْ

وفى الحديث : "مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصِبْ منه"[1].

و يقال : المصيبة المُوجِعة تُبذِرُ ذِكرَ الله فى قلب المؤمن .

قال الأصمعى : مررتُ بأعرابيّـة وبين يديها فتًى فى السِّيَاق[2]، ثم رجعتُ ورأيتُ فى يدها قدحَ سَوِيق تشربه . فقلت لهـا : ما فعل الشابّ ؟ فقالت : وارَيْناه . فقلت : فما هذا السَّوِيق ؟ فقالت :

على كلِّ حالٍ يأكل القومُ زادَهم * على البؤس والبَـلْوَى وفى الحَدَثانِ

قيـل لأعرابىّ : كيف حزنُك اليوم على ولدك؟ فقـال : ما ترك حبُّ الغَدَاء والعَشَاء لى حزنا .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنما الجزَعُ قبلَ المصيبة . فإذا وقعتْ فالْهُ عمّا أصابك .

اشتكى بعض أهل محمد بن علىّ بن الحسين فجَزِع عليه . ثم أُخبِر بموته فسُرِّىَ عنه . فقيل له فى ذلك . فقـال : ندعو الله فيما نحبّ . فإذا وقع مانكره لم نخالف الله فيما أحبّ .

لما مات عُتْبة بن مسعود قال عبد الله : بعد ما قضَى اللهُ فيه ماقضى فما أُحبُّ أنّى دعوتُه فأجابنى .

---

(١) يصب منه : يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها . (٢) السياق : نزع الروح كأن روحه تساق لتخرج من بدنه .

قال رجل من طيّئ :

فلولا الأُسَى[1] ما عِشتُ فى الناس ساعةً . ولكن إذا ما شئتُ أسعدَنى بشـــلى

وقال آخر :

إذا أنت لم تَسْلُ اصطباراً وحِسْبةً * سلوتَ على الأيام مثلَ البهائم

عزّى محمدُ بن الوليد بن عُتْبة الوليدَ بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين، ليَشْغَلْكَ ما أقبل من الموت اليك، عمن هو فى شُغُل[2] مما دخل عليك، وأَعِدّ لنزوله عُدّة تكون لك حجابا من الجَزَع وسِتْرا من النـــار . فقال يا محمد، أرجو ألا تكون رأيتَ غفلة تُنَبّه عليهـــا ولا حرجاً يُستَتَرمنه، وما توفيقى إلا بالله . فقال محمد : يا أمير المؤمنين، إنه لو آستغنى أحدٌ عن موعظةٍ بفضلٍ لكُنْتَهُ، ولكنّ اللهَ يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال الطائىّ :

و نفـــرَح بالشىء المُعَـــارِ بقـــاؤه * ونحـــزن لمّـــا صـــار وهو له ذخْر

عليك بثوب الصبر إذ فيه ملبَسٌ * فإنّ آبنَك المحمود بعد آبنك الصبرْ

وقال أيضا .

أَمالِكُ إنّ الحـــزنَ أحلامُ نائمٍ * ومهما يَدُمْ فالوجدُ ليس بدائم

تأمّلْ رُوَيْدًا هل تَعُدّنّ سالمًـــا * الى آدمٍ أم هل تُعَدُّ آبنَ سالم

وقال آخر :

اِصبِرْ لكلّ مصيبةٍ وتجـــلّدِ . وآعلم بأن الدهرَ غيرُ مخـــلّدِ

---

(١) الأسى : جمع أسوة (بالضم ويكسر) وهى ما يتعزى به الحزين . (٢) كذا فى الأصل ولعله : « حجا » .

أوما ترى أن الحوادثَ جمّةٌ * وترى المنيةَ للعباد بمَرْصَدِ
وإذا أتتك مصيبةٌ تُشجَى بها * فاذكر مُصابك بالنبيّ محمدِ

عزّى رجل الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين، كان لك الأجرُ لا بك، وكان العزاءُ منك لا عنك .

يعزّى أهلُ نجرانَ بعضُهم بعضًا بهذا الكلام: لا يُحزنْكم الله ولا يَفتِنْكم، أثابكم الله ثوابَ المتّقين وأوجب لكم الصلاة والرحمة .

عزّى بعضُ الزُّبيريّين رجلا فقال : لا يَصْفَرْ[(1)] رَبعُك ، ولا يُوحِش بيتُك ، ولا يَضِعْ أجرُك، رحم الله متوفّاك، وأحسن الخلافةَ عليك .

قال بعض الشعراء :

أسُكّانَ بطنِ الأرض لو يُقْبَل الفِدَى * فَدَيْنا وأعطينا بكم ساكنَ الظهرِ
فياليت مَنْ فيها عليها وليت مَنْ * عليها ثوى فيها مقيمًا الى الحشرِ
وقاسمني دهري بَنِيَّ بشَطْرِه * فلما توفَّى شطرَه مال في شَطْرِي
فصاروا ديونا للمنايا ومن يكن * عليه لها دينٌ قضاه على عُسْرِ
كأنّهمُ لم يعرفِ الموتُ غيرَهم * فثُكْلٌ على ثُكْلٍ وقبرٌ على قبرِ
وقد كنتُ حيَّ الخوفِ قبل وفاتهم ، فلما تُوُفُّوا مات خوفي من الدهرِ
فلله ما أعطى ولله ما جزى * وليس لأيام الرزيّة كالصبرِ
فحَسْبُك منهم مُوحِشًا فقدُ بِرّهم * وحَسْبُك منهم مُسْلِيًا طلبُ الأجرِ

عزّى شَبيبُ بن شَيْبة رجلا من اليهود فقال: أعطاك الله على مُصيبتك أفضل ما أعطى أحدًا من أهل مِلّتك .

(١) لا يصفر : لا يخلو .

وقال العُتْبِيّ :

ما عالج الحزنَ والحرارةَ فى الْ * أحشاءِ مَنْ لم يَمُتْ له ولدُ
فُجعتُ بابنىّ ليس بينهما * إلا ليالٍ ليستْ لها عددُ
وكلُّ حزنٍ يَبْلَى على قِدمِ الـدَّهرِ وحُزنى يُجِدُّه الأبدُ

وقال أيضا :

ألاَ يَزْجُرُ الدهرُ عنا المَنُونا * يُبَقِّى البناتِ ويُفْنِى البنينا
وأنْحَى علىّ بِلا رحمةٍ * فلم يُبْقِ لى فى جُفونى جفونَا
وكنتُ أبا سبعةٍ كالبدورِ * أُفَقِّى بهم أعينَ الحاسدينا
فمرّوا على حادثاتِ الزمان * كمرِّ الدراهمِ بالناقدينا
فأفنتهمُ واحدًا واحدًا * الى أن أبادتهمُ أجمعينا
وألقَيْن ذاك الى ضارحٍ [1] * وألقين هذا الى دافنينا
وما زال ذلك دأبَ الزما * ن يُفْنِى الأوائلَ فالأولينا
وحتّى بكى لىَ حُسّادُهم * فقد أقرحُوا بالدموعِ الجفونا
وحسْبُك من حادثٍ بامرئٍ * ترى حاسديهِ له راحمينا
وكانوا على ظهرها أنجُمًا * فأضحَوا الى بطنها يُنقَلونا
فمن كان يُسْليه مَرُّ السنين * فحُزْنى يجدّده لى السنونا
ومما يسكّن وجدى بهم * بأن المَنُونَ ستَلْقَى المنونَا

كان أبو بكر رضى الله عنه إذا عزّى رجلا قال : ليس مع العزاء مصيبةٌ ولامع الجزع فائدة؛ الموت أهون مما قبله وأشدّ مما بعده؛ اذكروا فقدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصْغُرْ مصيبتُكم، وعظّم الله أجركم .

(١) الضارح : وصف من ضرح الميت اذا حفر له .

وكان علي رضي الله عنه إذا عزّى رجلا يقول : إن تجزَعْ فأهلُ ذلك الرَّحِمُ، وإن تصبِرْ ففي الله عِوَضٌ من كل فائتٍ؛ وصلى الله على محمد، وعظّم الله أجركم .

وقال أعرابيّ :

أيُغسل رأسي أو تَطيبُ مَشارِبي * ووجهُك معفورٌ وأنت سَليبُ
نَسيبُك من أمسى يُناجيك طرفُه * وليس لمن وارَى الترابُ نَسيبُ
وإني لأستحيي أخي وهو ميّتٌ * كما كنتُ أستحييه وهو قريبُ

وقال أعرابيّ :

وما نحن إلا مثلُهم غيرَ أننا * أقمنا قليلًا بعدهم وتقدّموا

وقال آخر :

وقد كنتُ أستعفي الإله إذا اشتكى * من الأجرِ لي فيه وإن سرّني الأجرُ
وأجزَع أن ينأى به بَيْنُ ليلةٍ * فكيف ببَيْنٍ صار ميعادَه الحشرُ

وقال آخر :

وإنّا وإخوانًا لنا قد تتابعوا * لكالمغتدِي والرائحِ المتهجِّرِ

وقال سليمان الأعجميّ :

ربّ مغروسٍ يُعاش به * عَدِمَتْه كفُّ مغترِسهْ
وكذاك الدهر مأتمُه * أقربُ الأشياءِ من عُرُسِهْ

وتمثّل معاويةُ بن أبي سفيان يوما فقال :

إذا سار مَنْ خلفَ امرئٍ وأمامَه * وأُوحِش من جيرانه فهو سائرُ

وقال آخر :

وإذا قيل مات يوماً فلانٌ * راعنا ذاك ساعةً ما نُحِيرُ
نذكُرُ الموتَ عندَ ذاك وننسا * ه اذا غيّبتْه عنا القبورُ

وقال آخر :

نُراع من الجنائز قابلتْنا * ونلهو حين تخْفَى ذاهباتِ
كرَوْعةِ ثَلَّةٍ(١) لمُغَارِ سبعٍ * فلما غاب ظلّت راتعاتِ

وقال أبو نواس :

سبقونا الى الرّحيـ * ـلِ وإنّا لبالأثرْ

وكتب رجل الى بعض الأمراء فى تعزية : الأمير أذْكَرُ من أن يُذَكَّرَ به، وأعلَمُ بما قضاه على خلقه من أن يُدَلَّ عليه، وأسلكُ لسبيل الراشدين فى التسليم لأمره والصبر على قَدَرِه والتنجز لوعده، من أن يُنَبَّه من ذلك على حظّه، أو أن يحتاج معزّيه عند حادثِ المصيبة الى أكثرَ من الدعاء فى قضاء حقّه. فزاده الله توفيقاً الى توفيقه، وأحْضره رشدَه، وسدّد للصواب غرضَه، وتولّاه بالحُسْنى فى جميع أموره، إنه سميعٌ قريب. وقد كان من حادث قضاء الله فى المتوفّى ما أنْقَصَ(٢) وأرْمضَ، وبجعَ وأوْجعَ، علما بما دخل على الأمير من النقص، وعلى سروره من اللوعة، وعلى أُنسه من الوحشة، الى ما خصّني منــه بماسّ الرّحِم وأوشَجِ القَرَابة. فأعْظم اللهُ للأمير الأجر، وأجْزل له الذُّخر، وعصَمه باليقين، وأنجز له ما وعد الصابرين؛ ورحِم المتوفّى ولقّاه الأمنَ والرَّوْح، وفسَح له فى المَضْجَع، وجمَعــه(٣) وإيّاه بعد العمر الطويل فى الدار التى لا خوفٌ عليهم فيها ولا هم يحزنونَ.

(١) الثلة (بالفتح): جماعة الغنم الكثيرة، والثلة (بالضم) جماعة الناس. (٢) أنقص: أثقل وأرمض: أوجع. (٣) فى الأصل: «ورحم له وإياه».

وفى كتاب : نحن نحمد الله أيها الأمير إذ[1] أخذ على ما أبقى منك، وإذ[1] سلب على ما وهب بك؛ فأنت العوض من كل فائت، والجابر لكل مصيبة، والمؤنس من وحشة كل فقد؛ وحقّ لمن كنت له وليًّا وعضدًا أن يشغله حمدُ الله على النعمة بك عن الجزع على غيرك .

وكتب سعيد بن حُميد الى محمد بن عبد الله : ليس المعزّى على سلوك السبيل التى سلكها الناسُ قبله والمضىّ على السنّة التى سنّها صالحو السلف له ؛ وقد بلغنى ما حدث من قضاء الله فى أم الأمير، فنالنى من ألم الرزيّة وفاجع المصيبة ما ينال خدمه الذين يخصّهم ما خصّه من النعم، ويتصرفون معه فيما تناوله الله به من المحن. فأعظم الله للأمير الأجر، وأجزل له المثوبة والذخر، ولا أراه فى نعمة عنده نقصا، ووفقه عند النعم للشكر الموجب للزيد، وعند المحن للصبر المحرز للثواب، إنه هو الكريم الوهاب. ورحم الله الماضيةَ رحمة مَن رضى سعيَه وجازاه بأحسن عمله . ولو كانت السبيل الى الشخوص الى باب الأمير سهلة ، لكان الله قد أجلّ الأميرَ عن أن تعزّيه مثلى بالرسول دون اللقاء، وبالكتاب دون الشفاه، ولكن الكتاب لقاءُ مَنْ لا سبيل له الى الحركة، وقبول العذر عمّن حيل بينه وبين الواجب .

ولابن مكرم : ومما حرّكنى للكتاب تعزيتُك بمن[2] لا ترميك الأيامُ بمثل الحادث فيه، ولا تعتاض مما كان الله جمعه لك عنده من الميل اليك والصبر على مكروه جفائك، مع ما كان اللهُ أعاره من قوة العقل وأصالة الرأى، ومدّ له من عنانه الى قُصْوى الغايات، فإنا لله وإنا اليه راجعون على ما أفاتتنا الأيامُ منه حين تمّ واستوى، وعلا فى المروءة وتناهى، وعند الله يُحتسب المصاب به؛ وعظّم الله لك فيه الأجر، ومهّل لك فى العمر،

(١) فى الأصل : «إذا» . (٢) لعله «عمن» .

وأجزل لك العوض والذُّخر. فكلّ ماضٍ من أهلك فأنت سِدَادُ ثُلْمته وجابر رزيّته. وقد خلّف من أنت أحقُّ الناس به من عجوزٍ وليتْ تربيتَك وحِيَاطتَك فى طبقات سِنّك، وولَدٍ رُبُّوا فى حِجْرك ونبَتوا بين يديك، ليس لهم بعد الله مرجع سواك، ولا مَقيل إلا فى ذَرَاك؛ فأَنْشُدك اللهَ فيهم فإنه أَنْخرب أحوالَهم بعِمارة مروءته، وقطَعهم بصِلة فضله، والله يَجْزيه بجميل أثره ويُخْلفه فيهم بما هو أهله.

وفى فصل من كتاب: وقد جرى قضاءُ الله فى هذه النازلة ما[1] نطق عمّا نالك وأبْقَ عندك، وهو حقٌّ مِثلِها وقَدْرُ مُلِمّها.

وفى فصلٍ آخر: لو كان ما يَمَسُّك من أذى يُشترى أو يُفتدى، رجوتُ أن أكون غيرَ باخلٍ بما تَضَنُّ به النفوس، وأن أكون سِترًا بينك وبين كل مُلِمٍّ ومحذور. فأَعْظم الله أجرَك، وأجْزل ذُخْرك، ولا خذَل صبرك ولا فتَنك؛ ولا جعل للشيطان حظًّا فيك ولا سبيلا عليك.

المدائنى قال: قدِم رجل من عَبْس، ضَريرٌ محطوم الوجه، على الوليد؛ فسأله عن سبب ضُرّه، فقال: بِتُّ ليلةً فى بطن وادٍ ولا أعلم على الأرض عبسيًّا يزيد مالُه على مالى، فطرَقنا سيلٌ فأذهب ما كان لى من أهلٍ ومالٍ وولدٍ إلا صبيًّا رضيعا وبعيرا صعبًا، فنَدّ[2] البعيرُ والصبيُّ معى فوضعتُه واتّبَعْتُ البعيرَ لأحبِسه، فما جاوزتُ إلّا ورأسُ الذئب فى بطنه قد أكله، فتركتُه واتْبعْتُ البعيرَ فاستدار فرمحنى رَمْحةً حطَم بها وجهى وأذهب عينى، فأصبحت لا ذا مالٍ ولا ذا ولد. فقال الوليد: اذهبوا به إلى عُرْوة ليعلمَ أن فى النـاس من هو أعظم بلاءً منه؛ وكان عروة بن الزُّبَير أُصيب بابنٍ له وأصابه الداء الخبيث فى إحدى رجليه فقطعها، فكان يقول: كانوا أربعة —

(١) لعله: «بما».
(٢) ندّ البعير: شرد.

يعني بنيه — فأبقيتَ ثلاثة وأخذتَ واحدا، وكُنّ أربعا — يعني يديه ورجليه — فأخذتَ واحدة وأبقيتَ ثلاثا[1]. أحمَدُك، لئن كنتَ أخذت لقد أبقيت، ولئن كنتَ أبقيت لقد عافيتَ. وشخص الى المدينة فأتاه الناس يبكون ويتوجّعون، فقال: إن كنتم تُعِدُّونَنِي للسِّباق والصِّراع فقد أوْدَى، وإن كنتم تُعِدُّونَنِي للّسان والجاه فقد أبقى الله خيرا كثيرا.

وقال عليّ بن الجَهْم:

مَنْ سبَق السُّلوةَ بالصبرِ * فاز بفضل الحمدِ والأجرِ
يا عَجَبًا من هَلِعٍ جازعٍ * يُصبح بين الذمّ والوِزْرِ
مصيبةُ الإنسان في دِينِه أعظمُ من جائحة الدهرِ

وقال بعض[2] الشعراء:

ليتَ شعرِي ضَلّةً * أىُّ شيءٍ قتَلَكْ
والمنايا رَصَدٌ * للفتى حيث سلَكْ
كلُّ شيءٍ قاتلٌ * حين تلقَى أجلَكْ
ليت نفسي قُدِّمتْ للمنايا بَدَلَكْ
أىُّ شيءٍ حَسَنٍ للفتى لم يَكُ لكْ

وقال آخر:

غُرَّ امرؤٌ منّته نفـ * ـسٌ أن تدومَ له السلامَهْ
هيهاتَ! أعيا الأوّلِيـ ـن دواءُ دائك يا دِعامه

---

(١) في الأصل: «ثلاثة» بإثبات التاء. (٢) كذا بالأصل. وفي شرح أشعار الحماسة (ص ٤١٤ طبعة أوروبا) أن هذه الأبيات لأم تأبط شرّا، ويقال لأم السليك بن السلكة، وأوّلها:

طاف يبغي نجوة * من هلاك فهلك

ورجح التبريزي في نهاية الأبيات أنها لأم السليك وذكر لهذا خبرا.

وقالت صفيّة الباهليّة فى أختها :

كنّا كغصنين فى جُرْثومةٍ[(١)] سَمَوَا * حِينًا بأحسن ما تسمُو له الشجرُ
حتّى إذا قيل قد طالتْ فروعُهما * وطاب قِنْواهما[(٢)] وآستُنظِر الثمرُ
أخنى على واحدى ريبُ الزمانِ ولا * يُبقِى الزمانُ على شىءٍ ولا يَذَرُ
كنّا كأنجمِ ليلٍ وَسْطَنا قمرٌ * يجلو الدُّجَى فهوَى من بيننا القمرُ

ومن هذا أخذ الطائىّ قوله :

كأنّ بنى نَبْهانَ يومَ وفاته * نجومُ سماءٍ خرّ من بينها البدرُ

وقال آخر :

لكلّ أناسٍ مَقْبرٌ[(٣)] بفِنائهم * فهم ينقُصون والقبورُ تزيدُ
وما إن يزال رسمُ دارٍ قدَ اَخلقتْ * و بيتٌ لميْتٍ بالفِناء جديدُ
همُ جيرةُ الأحياءِ أمّا جِوارُهم * فدانٍ وأمّا الملتقَى فبعيدُ

وقال آخر :

لا يُبْعِد اللهُ أقوامًا لنا ذهبُوا * أفناهمُ حَدَثانُ الدهرِ والأبدُ
نَمُدُّهم كلَّ يومٍ من بقيّتنا * ولا يَؤُوبُ الينا منهمُ أحدُ

وقال النابغة :

حَسْبُ الخليلَينِ أنّ الأرضَ بينهما * هذا عليها وهذا تحتها بالِى

وقال آخر :

وقد كنتُ أرجُو أن أُمَلَّاكَ[(٤)] حِقْبةً * فحال قضاءُ الله دون رجائيَا
ألا لِيَمُتْ مَنْ شاءَ بعدَك إنما * عليك من الأقدارِ كان حِذَارِيَا

(١) جرثومة الشىء : أصله . (٢) القنو : العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب .
(٣) المقبر : موضع القبور . (٤) أملاك : أمتع بك، يقال : ملاك الله حبيبك أى متعك به وأعاشك معه طويلا .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما وارَى الترابُ فِعالَهُ * ولكنه وَارَى ثيابًا وأعظُمَا

فَضَالَةُ[1] بن شَرِيك :

رمى الحِدْثانُ نِسوةَ آلِ حربٍ * بفادحةٍ سَمَدْنَ[2] لها سُمُودا

فردّ شعورَهنّ السودَ بِيضًا * وردّ وجوهَهن البِيضَ سُودا

وقال آخر :

أمّا القبورُ فإنّهنّ أوانِسٌ * بجوارِ قبرِك والديارُ قبورُ

عمّتْ مصيبتُه فعمّ هلاكُه * فالناسُ فيه كلُّهم مأجورُ

ردّتْ صنائعُه عليه حياتَه[3] * فكأنه من نَشْرِها منشورُ

منصور النَّمَرِيّ :

فإنْ يَكُ أفنتْه الليالي فأوشكتْ * فإنّ له ذكرًا سيُفْنِي اللياليَا

وقال طُفَيْلٌ يذكر الموت :

مَضَوْا سَلَفًا قصدُ السبيل عليهمُ * وصَرْفُ المنايا بالرجال تَقَلَّبُ

وقال هشام أخو ذى الرُّمّة :

تَعَزَّيْتُ عن أوفَى بغَيْلانَ بعدَه * عزاءً وجفنُ العينِ ملآنُ مُتْرَعُ

ولم تُنْسِنِي أوفَى المصيباتُ بعدَه * ولكنّ نَكْءَ[4] القَرْحِ بالقرحِ أوجعُ

(١) نسب هذا الشعر فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١١٥ طبعة دار الكتب) للكميت بن معروف الأسدى. ونسب فى شرح أشعار الحماسة (ص ٤٢٧ طبعة أوروبا) وشرح القاموس مادة سمد لعبد الله بن الزبير الأسدى .

(٢) السمود : الغفلة وذهاب القلب ومنه قوله تعالى : (وأنتم سامدون) أوهو تغير الوجه من الحزن كأنه أصابها السهاد . وقيل معناه وهن ووهن يهن . (٣) كذا فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٧٨ طبع دار الكتب المصرية) وهو الذى يستقيم به معنى الشعر . وفى الأصل : «إلى» . (٤) النكء : مصدر نكأ القرحة اذا قشرها قبل أن تبرأ فنديت .

وفى فصل من كتاب لبعض الكتّاب : لست أحتاج مع علمك بما فى الصبر عند نازل المصيبة من الفضيلة، وما فى الشكر عن[1] حادث النعمة من الحظ، الى أكثر من الدعاء فى قضاء الحقّين، ولا إلى إخبارك عمّا أنا عليه من الارتماض[2] لضرّائك والجذل بسرائك، لمعرفتك بشركتى لك واتصال حالك بى فى الأمرين .

التـــــهانى

حدّثنى زيد بن أخزم[3] قال حدّثنا أبو قتيبة قال حدّثنا ميمون [قال] حدّثنا أبو عبد الله النّاجى قال : كنت عند الحسن، فقال رجل : ليهنئك الفارس، فقال : لعله يكون بغّالا[4] . ولكن قل : شكرتَ الواهبَ، وبورك لك فى الموهوب، وبلغ أشدّه، ورزقت برّه .

قال مجاهد : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اذا دعا لمتزوّج قال : "على اليمن والسعادة والطير الصالح والرزق الواسع والمودّة عند الرحمن" .

قال أبو الأسود لرجل يهنئه بتزويج : باليمن والبركة، وشدّة الحركة، والظفر والمعركة .

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ينهى أن يقال : « بالرفاء والبنين » .

وكان يقـال : إن أوّل من هنّأ وعزّى فى مقام واحد عطاء بن أبى صيفى الثقفى، عزّى يزيد بن معاوية بأبيه وهنّأه بالخلافة، ففتح للناس باب الكلام، فقال : أصبحتَ رُزئتَ خليفةً وأُعطيتَ خلافة الله، قضى معاوية نحبه، فغفر الله ذنبه، ووليتَ الرياسة، وكنتَ أحقّ بالسياسة، فاحتسب عند الله أعظم الرزيّة، واشكر الله على أعظم العطيّة . وعظّم اللهُ فى أمير المؤمنين أجرك، وأحسن على الخلافة عونك .

وقالت أعرابيّة للمنصور فى طريق مكة بعد وفاة أبى العبّاس : أعظم الله أجرك فى أخيك، لا مصيبةَ على الأمة أعظمُ من مصيبتك، ولا عوضَ لها أعظمُ من خلافتك .

(١) لعله : « عند » . (٢) الارتماض : الحزن . (٣) أخزم بمعجمتين .
(٤) البغال : راكب البغال، والبغال تعجز عن شأو الأفراس .

قال الحجّاج لأيوبَ بن القِرِّيّة: اخطُبْ عليّ هندَ بنتَ أسماء، ولا تَزِدْ على ثلاث كلمات. فأتاهم فقال: أتيتكم من عند مَنْ تعلمون، والأميرُ مُعطيكم ما تسألون، أفتُنكِحون أم تَرُدّون(١)؟ قالوا: بل أنكحْنا وأنعمْنا. فرجع ابنُ القِرِّيّة الى الحجّاج فقال: أقرّ الله عينك، وجمع شملَك، وأنبت رَبْعَك، على الثبات والنبات، والغنى حتى المات، جعلها الله وَدُودا وَلُودا، وجمع بينكما على البركة والخير.

كتب بعضُ الكُتّاب إلى رجل يهنئه بدار انتقل إليها: بخيرِ مُنتَقَلٍ، وعلى أيمن طائر، ولأحسنِ إبّان، أنزلك الله عاجلًا وآجلًا خيرَ منازلِ المُفلحين.

وقال ابن الرِّقاع لمتزوّج:

قمرُ السماء وشمسُها اجتمعا * بالسَّعد ما غابا وما طَلَعَا
ما وارت الأستارُ مثلَهما * فيمن رأيناه ومَنْ سَمِعَا
دام السرور له بها ولها * وتهنّآ طولَ الحياةِ معًا

وكتب رجل الى صديق له يهنئه بالدخول على أهله: قد بلغني ما هيّأ الله لك من اجتماع الشَّمل، بضمّ الأهل، فشرِكْتُك في النعمة، وكنتُ أسوتَك في السرور، وشاهدتُك بقلبي، ومثّلتُ ما أنت فيه لعيني، فحللتُ بذلك محلَّ المُعاين للحال وزينتها، فهنيئًا هنّاك الله ما قَسَم لك، وبالرِّفاء والبنين، وعلى طول التعمير والسنين.

وكتب آخرُ من الكتّاب الى عامل: بحُسنٍ من السرور، بما قد استفاض من جميل أثرك في تلك من أعمالك، وخَطْمِك وزَمّك إيّاها بحزْمك وعزْمك، وانتياشك أهلَها من جور مَنْ وليهم قبلك، وسرورهم بتطاوُل أيامك والكونِ في ظلّ جناحك، في غايةِ مَنْ تخصّه ونَعمُّه نعمك، وتَجُول به الحال حيث جالت بك. فالحمد لله الذي جعل العاقبةَ لك، ولم يَرُدّ علينا آمالَنا منكوسةً فيك، كما ردّها على غيرنا في غيرك. وهنيئًا هنّاك الله نعمَه خاصَّها وعامَّها، وأوزعك شكرَها، وأوجب لك بالشكر أحسنَ المزيدِ فيها.

(١) في الأصل: «أو تردون» والمقام هنا يقتضي «أم» المتصلة.

وكتب رجلٌ من الكتّاب إلى نَصْرانىّ قد أسلم يهنئه : الحمـدُ لله الذى أرشَدَ أمرَك ، وخصّ بالتوفيق عزمَك ، وأوضح فضيلةَ عقلك ، ورَجَاحةَ رأيك ؛ فما كانت الآدابُ التى حويتَها ، والمعرفةُ التى أُوتيتَها ، لتدوم بك على غَوَايةٍ وديانةٍ شائنةٍ لا تليق بلُبّك ، ولا يبرح ذَوُو الحجا من موجبي حقّك يُنكرون إبطاءَك عن حظّك وتركَك البِدارَ الى الدّين القيّم الذى لا يقبَـل الله غيرَه ولا يُثيب إلا به ، فقال : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ، وقال : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ . والحمد لله الذى جعلك فى سابق علمه ممن هَدَاه لدينه ، وجعله من أهل وِلَايته ، وشرّفه بوَلَاء خليفته . وهنأك الله نعمتَه ، وأعانك على شكره ؛ فقد أصبحتَ لنـا أخًا تَدين بمودّته ومُوالاته بعد التأثّم من خُلْطتك ومخالفةِ الحقّ بمشايعتك ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أو إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ .

وكتب رجلٌ من الكتّاب تهنئةً بحجّ : الحمدُ لله على تَمـام مُهَاجَرِكَ ، وسلامة بَدْأتك ورَجْعتك ، وإعظامِه المِنّةَ بأَوْبتك ؛ وشكر الله سعيَك ، وبَرَّحجّك ، وتقبّل نُسكك ؛ وجعلك ممن قلبَه مُفْلِحا مُنجِحا ، قد رَبِحتْ صفقتُه ، ولم تَبُرْ تجارتُه ، ولا أعدمَك نيّةً تفضُلُ عملَك ، وتوفيقًا يَحُوط دِينَك ، وشكرا يرتبط نعمتك ؛ فهنّأكم الله النعمةَ ، وجمعكم فى دار الخلافة ، وجعلكم ساسةَ الائمة والمتقدّمين عند الإمام — أيده الله بالطاعة والنصيحة — فإنكم زَيْنُ السـلطان ، وعُمْدةُ الإخوان ، وأضدادُ أكثر أهلِ الزمان .

وكتب الى رجلٍ عن صديق له يهنّئه بفِطام مولود : أنا — أعزّك الله — لِمَـا حمّلنى الله من أياديك ، وأودعنى من إحسانك ، وألزمنى من شكرك ، آخذ نفسي بمراعاة أمورك ، وتفقُّد أحوالك ، وتَعَرُّف كلّ ما يُحدثه الله عندك ، لأقابله بما يَلزمنى ، وأقضى

الحقّ فيه عنّى بمَبلَغ الوُسع ومقدارِ الطاقة، وإن كانا لا يبلُغان واجبَك، ولا يستقِلّان بثقـل عارفتك . وكلُّ ما نقّل الله الفتى [و]بلّغه من أحوال البلوغ ورقّاه فيه من درجات النمّو، فنعمةٌ من الله حادثةٌ تلزِم الشكرَ، وحقٌّ يجب قضاؤه بالتهنئة. وكتب الىّ وكيل المقيم ببابك يذكر ما وهبه الله من سلامته عند الفطام، وصلاح جسمه عند الطعام، وسلوته عن أوّل الغذاء، وسرورك ومنْ بليك بما وهب الله فى هـذه الحال من عافيته وحسنِ المدافعة عنـه ؛ فأكثرتُ لله الحمـدَ، وأسهبتُ فى الدعاء والرغبة، وتصدّقت عنه بمـا أرجو أن يتقبّله ؛ وكتبت مهنّئا بتجدّد النعمة عنـدكم فيه . فالحمدُ لله المتطوّلِ علينا قبلَه بمـا هو أهله ، والمجْزى لنا فيما يُولِيك على حسن عادته . وهنّأك الله النعم، وصانها عندك من الغِيَر، وحرسها بالشكر، وبلّغ بالفتى أقصى مبالغ الشرف، وجعلك من الأمل فيه والرجاء له على العيان واليقين، بمنّه وفضله .

وكتب بعض الكتّاب تهنئةً بحجٍّ الى صاحبه : الحقُّ للسادة عند ما يجدّده اللهُ لهم من نعمه فى الدعاء، من جلائل حقوقهـم على أوليائهـم. وقد خصّ اللهُ حقّـك بما لا يسَعُنى معه ادّخارُ مجهودٍ فى تعظيمه وشـكره . ولولا أنّ الطاعة من حدوده، لم أنتظر إذنَك لى فى تلقّيك راجلًا بالأَوْبة، إذ كان الكتّابُ بها دون السـعى مأبلغ نصيبٍ من التقصير. وأنا أسأل الله الذى أوفدك الى بيته الحرام، وعمّر بك مَشاهدَه العظام، وأوردك حرَمَه سالمـا، وأصدرك عنه غانما، ومنّ بك على أوليائك وخدمك، أن يهنّئك بمـا أنعم به عليك فى بدْأتك ورجْعتك ؛ بتقبُّل السـعى ونُجح الطَّلِبة وتعريف الإجابة .

وكتب بعض الكتّاب تهنئةً بولاية : فإنه ليس من نعمةٍ يجدّدها الله عندك، والصنعُ الجميـلُ تُحدثه لك الأيّام، إلّا كان ارتياحى له واستبشارى به واعتـدادى بما يهب الله لك من ذلك، حَسَبَ حقّك الذى توجبه، وبِرّك الذى أشكره، وإخائك

الذى يَعِزّ ويَجِلّ عندى موقعُه؛ بجعل الله ذلك فيه وله، ووصَله بتقواه وطاعته . وبلغنى خبرُ الوِلاية التى وَلِيتَها، فكنتُ شريكَك فى السرور وعديلَك فى الآرتياح، فسألت الله أن يُعَرِّفك يُمْنَها وبركتَها، ويرزُقَك خيرَها وعادتَها، ويُحسنَ معونتَك على صالح نِيَّتـك فى الإحسان إلى أهـل عملك والتألُّف لهم، واستعمالِ العـدل فيهم، ويرزقَك محبتهم وطاعتهم، ويجعلهم خيرَ رعيّة .

وكتب رجلٌ الى معزول : إن أكثرَ الخير(١) فيما يقع بكُرْه العباد، لقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ . وقال أيضا : ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . وعندك بحمد الله من المعرفة بتصاريف الأمور، والآستدلال بما كان منها على ما يكون، مَغْنًى عن الإكثار فى القول . وقد بلغنى آنصرافُك عن العمل على الحال التى آنصرفتَ عليها من رضا رعيّتك ومحبّتهم وحسنِ شائهـم وقولهم، لِمَـا بقّيتَ(٢) من الأثر الجميل عند صغيرهم وكبيرهم . وخلّفتَ من عَدْلك وحسنِ سـيرتك فى الدانى منهـم والقاصى من بلدهم؛ فكانت نعمةُ الله عليك فى ذلك وعلينا، نعمةً جلّ قدرُها ووجب شـكرُها . والحمـدُ لله على ما أعطاك ، ومَنَح فيك أولياءك وأرغم به أعداءك ، ومكّن لك من الحال عنـد مَن وَلّاك؛ فقد أصبحنا نعتدّ صَرفَك عن عملك مَنْحًا(٣) مجدِّدا ، يجب به تَهنِئَتُك ، كما يجب التوجُّعُ لغيرك .

وكتب رجلٌ من الكتّاب فى تهنئة بحجّ : لولا أنّ عوائق أشغالٍ يوجبُ العذرَ بها تفضُّلُك ويبسطه آحتمالُك ، لكنتُ مكانَ كتابى هذا مهنِّئًا لك بالأَوْبة ، ومجدِّدًا

---

(١) فى الأصل : «الحار» . (٢) فى الأصل : «ما بقيت» (٣) بالأصل : «منعا» بالعين المهملة .

بك عهدًا، ومُحييًا نفسى بالنظر اليك. وأنا أسأل اللهَ أن يشكُرَ سعيَك، ويتقبّلَ حجّك، ويُثبِت فى علّيين أثرك، ولا يجعله من الوِفادةِ اليه آخرَ عهدِك .

وكتب بعض الكتّاب : لا مُهنَّئَ أولَى ما يكون مهنّئا، تعظيماً لنعمه فيما جدّد الله لك يامولاى بالولاية، منّى، إذ كنتُ أرجو بها انضمامَ نَشرى، وتَلافِىَ الله بعنايتك المتشتّتَ من أمرى . فهنّأك الله تجدّدَ النعم، وبارك لك فى الوِلاية، وافتتحها لك بالصُّنع الجميل، وختمها لك بالسلامة، إنه سميع قريب .

باب شرار الإخوان

ذكر خالدَ بنَ صفوان[1] شَبيبُ بن شيبة فقال : ذاك رجلٌ ليس له صديقٌ فى السرّ ولا عدوٌّ فى العلانيَة .

وقال الشاعر :

وإنّ من الخُلّان مَنْ تَشحَطُ النّوى . به وهو داعٍ للوِصال أمينُ
ومنهم صديقُ العينِ أمّا لِقاؤُه * فحُلْوٌ وأمّا غَيبُه فظنُونُ[2]

أقبل عُيَينة بن حِصن الى المدينة قبل إسلامه، فلقيه ركبٌ خارجون منها؛ فقال: أخبرونى عن هذا الرجل (يعنى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم)، فقالوا : الناسُ فيه ثلاثةُ رجال : رجل أسلم فهو معه يقاتل قريشًا وأفناء[3] العرب، ورجل لم يُسلم فهو يقاتله، ورجل يُظهر الإسلامَ إذا لقى أصحابَه ويُظهر لقريش أنه معهم اذا لقيهم؛ فقال : ما يسمّى هؤلاء؟ قالوا : المنافقون؛ قال : فأشهدوا أنّى منهم؛ فما فيمن وَصفتُم أحزمُ من هؤلاء .

---

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٨) : « وسئل شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان فقال : ذاك رجل الخ » ، وهى تزيد الضبط الذى أثبتناه . (٢) ظنون : لا يوثق به .
(٣) أفناء العرب : أخلاطهم النزاعون من هاهنا وهاهنا ولا يدرى من أىّ القبائل هم .

وكان رجل يدعو فيقول: اللّهم اكْفِنى بوائقَ الثِّقاتِ، واحفَظْنى من الصَّديق.

وكتب رجلٌ على باب داره : جَزَى الله مَنْ لا يعرِفنا ولا نَعرفه خيراً ، فأمّا أصدقاؤنا فلا جُزُوا ذلك، فإنّا لم نؤتَ قطّ إلا منهم .

وكتب إبراهيم بن العبّاس الى محمد بن عبد الملك الزيّات :

وكنتَ أخى بإخاء الزمانِ * فلما نَبَا صِرتَ حرباً عَوانا
وقد كنتُ أشكو اليك الزمانَ * فأصبحتُ فيك أذُمُّ الزمانا
وكنت أُعِدُّك للنائبات * فهأنا أطلبُ منك الأمانا

وقال محمد بن مهدىّ :

كانَ صديق وكان خالصتى * أيّامَ نجرى مَجارِىَ السُّوَقِ
حتى اذا راحَ والملوكَ معا * عَدّ اطِّراحِى من صالحِ الخُلُقِ
خَلَّيتُ ثوب الفِراقِ فى يده * وقلتُ هذا الوداعُ فانطلِق
لَبِستُه لِبْسةَ الجديد على الـ * ـفَقْرِ وفارقتُ فُرْقةَ الخَلَقِ

وقال آخر :

إذا رأيتَ امرأً فى حال عُسرتِهِ * مُواصِلاً لك ما فى وُدّه خَلَلُ
فلا تَمَنَّ له أنْ يستفيدَ غِنًى * فإنه بانتقال الحالِ ينتقِلُ

وكتب رجلٌ الى صديق أعرض عنه : لولا أنّى أشفقتُ من أشتات ظنّى [فى] إجابتك إلى ما يعلم الله براءتى منه فيك ولك لمحجبك (١) ولكفيتك مُوْنتى، ثقةً بأنّ ازديادَك من معرفة الناس ستردّك إلىّ؛ فان رجعتَ قَبِلتُ وتمسّكتُ واغتبطتُ، وإن أصررتَ لم أتبَعْ مُوَلّيا، ولم آسَ على مُدْبِر، ولم أسامح نفسى على تعلّقها بك،

(١) كذا بالأصل ولم يوفق الى هذا الكتاب فى مصدر آخر بعد طول البحث عنه فى مظانه .

ولم أُساعِدْها على نزاعها اليك . فكم من زمانٍ تركتُك فيه وسَوْمَك ثم أبى قلبي ذلك، فكررتُ وعطفتُ أسّى على أيّامى معـك وما توكّد بينى و بينـك . وما من كَرّةٍ لى اليك إلا وهى داعيةٌ إلى ما أكرَهُه من آستخفافك ونُفورك . ولو فهمتَ ما آستحققتُ به عليك ما أشكوه لَخَفّ تحمّـلُ ما يكون منك علىّ ولا جدت(١) فى عتابك و رضاك .

وفى جواب كتاب : وقـد وزعَنى ما ضربتَه لى من الأمثال فى كتابك عن آستبطائك . على أنى لا أستزيد إلا من أحتاج الى صَلاحه وأرغب فى بقيّته، وقد قيـــل :

يأبَيْنَ إلا جفـــوةً وظلَما * من كثرة الوصل تَجنّى(٢) الجُرْمَا

وفى كل ما أجبتنى ظلمت فى معارضتى عن مَسْخى جوابَك بإيحاشى، وفى اعتدادك علىّ بما أنت جانيه وعليك الحجة فيه . وما أُنكر الخلافَ بين الأب وآبنه والأخ وشقيقه اذا وقعت المعاملة ، ولذلك سبب لا أعرفه بنى و بينـك قطّ ، فإنى لم أُخالفـك ولم أشاحِحْكَ ولم أنازعكَ ولم أعارض نعمتكَ بِلَا ولا أمرَك بنهى .

وقال الحسن بن وَهْب :

سأُكرِمُ نفسى عنك حَسْبَ إهانتى * لما فيك إذ قوّت وكفّ نِزَاعُها
هى النفسُ ما كلّفتُها قطُّ حُطّـةً * من الأمر إلا قلّ منـه امتناعُها
صدَقت لعمرى أنتَ أكبرُ همِّها * وأجهَـدُها إذ قلّ منـك آنتفاعُها
هَبِ آنّى أعمى فاتتِ الشمسُ طَرْفَه * وغُيّبَ عنـه نورُها وشُـعاعُها

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

رأيتُ فُضَيـــلًا كان شيئًا مُلفَّفًا * فكشّـفه التمحيصُ حتى بَدَا لِيَا

(١) كذا بالأصل . (٢) أصله تتجنى حذفت إحدى تاءيه .

وقال آخر :

لَعَمْـــرُك ما وُدُّ اللسان بنـافع * إذا لم يكن أصلُ المودّة فى القلب

وقال أبو حارِثة المَدَنىّ : ليس لملولٍ صديقٌ، ولا لحسودٍ غِنًى، والنظرُ فى العواقب تلقيح العقول .

قال العباس بن الأحنف :

أشكو الذين أذاقونى مودّتَهم * حتى اذا أيقظونى فى الهوى رقدُوا
وآستنهضونى فلمّـا قمتُ مُنتَهِضًا * بِثِقْلِ(١) ما حمّلونى فى الهـوى قعدوا

ونحوه قول المجنون :

وأدنيتِنى حـــتى إذا ما سَبَيْتِنى * بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ(٢) سهلَ الأباطح
تجافيتِ عنّى حين لا لِىَ حِيـلةٌ * وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانح

وقال آخر :

ولا خـــير فى وُدّ إذا لم يكن له * على طول مَرّ الحادثات بقاءُ

وأنشد ٱبنُ الأعرابىّ :

لحا الله مَن لا ينفع الودُّ عنـــده * ومَن حبـلُه إن مُدّ غيرُ متين
ومن هو إن يُحدِثْ له الغيرُ نظرةً * يُقطِّعْ بها أسباب كلّ قرين

---

(١) فى الأصل : « لثقل » باللام وليس هذا مقامها ، ورواية الديوان :

واستنهضونى فلمـا قمت منتصبا * بثقل ما حملوا من ودّهم قعدوا

(٢) العصم : جمع أعصم ، والأعصم من الظباء والوعول : ما فى ذراعيه أو فى أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر .

(٣) نسب القالى فى أماليه (ج ٢ ص ٢٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) هذين البيتين لكثير، وقد نسبهما أبو الفرج فى الأغانى (ج ٢ ص ٩٠ طبعة دار الكتب) للمجنون .

ويقال : صاحب السوء جذوةٌ من النار .

وقال عليّ عليه السلام : "لا تؤاخ الفاجر فإنه يزيّن لك فعله ويحبّ لو أنك مثله ويزيّن لك أسوأ خصاله ، ومَدْخَلُه عليك ومَخْرَجُه من عندك شَيْن وعار . ولا الأحمق فإنه يجتهد بنفسه لك ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فيضرّك ، فسكوتُه خيرٌ من نطقه ، وبعدُه خير من قُرْبه ، وموته خير من حياته . ولا الكذّابَ فإنه لا ينفعك معه عيش ، يَنقُل حديثَك وينقل الحديثَ إليك حتى إنه ليحدّث بالصدق فما يُصَدَّق" .

قال أبو قَبِيل : أُسِرتُ ببلاد الروم فأَصبتُ على ركن من أركانها :

ولا تَصْحَبْ أخا الجهل * وإيّاكَ وإيّـــاهُ
فكم من جاهـــل أَرْدَى * حليماً حين آخاهُ
يُقـاسُ المرءُ بالمـــرء * إذا ما هـــو ماشَاهُ
وللشيء عـــلى الشيء * مقـايِيسٌ وأشـباهُ
وللقلب عـــلى القلب * دليلٌ حينَ يلقـاهُ

وقال عَدِيّ بن زيد :

عن المرء لا تسألْ وأَبْصِرْ قرينَه[(١)] * فإنّ القرينَ بالمُقارِنِ مقتـدِى

وأنشد الرِّياشيّ :

إن كنتَ لا تَصْحَبِ الا فتًى * مثـلَك لم تُؤتَ بأمثالِكَا

---

(١) ورد هذا البيت فى حماسة البحترى (ص ٣٠٧ طبعة أوروبا) بلفظ : « وسل عن قرينه » وكتب بهامشه : « ح : وأبصر قرينه » إشارة الى نسخة أخرى . وورد فى ديوان طرفة بن العبد (ص ١٥٣ طبع مدينة شالون سنة ١٩٠٠ م) ضمن الأبيات المنسوبة اليه والراجح أنه لعدىّ بن زيد، من داليته المشهورة ، وهى من مجمهرات أشعار العرب التى ذكرها أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى فى كتابه «جمهرة أشعار العرب» (ص ١٠٢ طبعة بولاق) ومطلعها :

أتعرف رسم الدار من أمّ معبد * نعم ورماك الشوق قبل التجلد

إنّ لك الفضـــلَ على صُحْبتى * والمسكُ قد يَستصحِبُ الرّامِكَا (١)
هَبْنِى آمرأً جئتُ أُريد الهدى * فخُــذْ على ضَعْفى بإسلامكَا

وكتب يحيى بن خالد : أُحبّ أن تكونَ على يقين أنّى بك ضَنِين ، أُريدك ما أردتَنى، وأُريدك أن تتوبَ عنّى ما كان ذلك بى وبك جميلا يَحْسُن عند إخواننا ، وإن وقعت المقـادِيرُ بخلاف ذلك لم أعْدُ ما يجب . والذى هاجنى على الكتاب أنّ أبا نوح معروفَ بن راشد سألنى أن أبوح له بـا عندى، وآلله يعلم أنّى ما تبدّلت وما حُلْتُ عن عهد، فجمعنا الله وإيّاك على طاعته ومحبّة خليفته .

وقرأتُ فى كتاب للهند : ثِقْ بذى العقل والكرم وآطمئنّ إليه، وواصل العاقل غيرَ ذى الكرم ، وآحترس من سيّئ أخلاقه وآنتفـع بعقله ؛ وواصـل الكريم غير ذى العقل (٢) وآنتفع بكرمه وآنفعه بعقلك؛ وآهرُب من اللئيم الأحمق .

وقال حَمّاد عَجْرَد :

كَمْ من أخٍ لك لستَ تُنْكِرُه * ما دمتَ من دنياك فى يُسْر
مُتَصـــنّعٍ لك فى مَــوَدّته * يَلْقـاك بالترحيب والبِشْر
يُطْرِى (٣) آلوفاءَ وذا آلوفاء ويَلْـ * ـحَى الغَدْر مجتهدا وذا الغدر
فإذا عدا، والدهرُ ذو غِيَر، * دهرٌ عليك عَدَا مع الدهر
فارفُضْ بإجمـالٍ أُخُوّةَ (٤) مَنْ * يَقْلِى المُقِلّ ويَعْشَقُ المُثْرِى
وعليــك مَنْ حالاه واحدةٌ * فى العُسر إمّا كنتَ واليسر
لا تَخْلِطنّهــمُ بغــيرِهم * من يَخْلِطُ العِقْيانَ بالصُّفْر (٥) !

(١) الرامك : شىء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٢) فى الأصل : « لعاقل » وهو تحريف . (٣) كذا فى الأغانى (ج ١٣ ص ٩٠) . وفى الأصل : «يطوى» وهو تحريف . (٤) فى الأغانى (ج ١٣ ص ٩٠) : «مودّة» . (٥) الصفر : النحاس الأصفر .

وقال سُوَيدُ بن الصامت[1] :

أَلَا رُبَّ مَن تدعُو صديقًا ولو تَرَى * مقالتَه بالغَيْب ساءَك ما يَفْرِى
مَقالتُه كالشَّحْم ما كان شاهدًا * وبالغيب مأثورٌ[2] على ثُغْرة النَّحْرِ
تُبِينُ لك العَيْنان ما هو كاتمٌ * من الضِّغْن والشَّحْناء بالنَّظَر الشَّزْرِ[3]
فَرِشْنِي بخيرٍ طالَما قد بَرَيْتَنِي * وخيرُ الموالى من يَرِيش ولا يَبْرِى

وقال آخر :

وصاحبٍ كان لى وكنتُ له * أَشْفَقَ من والدٍ على وَلَدِ
كُنَّا كساقٍ تَسْعَى بها قَدَمٌ * أو كَذِرَاعٍ نِيطتْ الى عَضُدِ
حتى اذا دانَتِ[4] الحوادثُ من * خَطْوِى وحلّ الزمانُ من عُقَدِى
احْوَلَّ عَنِّى وكان ينظر من * عَيْنِى ويَرْمِى بساعدِى ويَدِى
وكان لى مُؤنسًا وكنتُ له * ليست بنا وَحْشةٌ الى أحدِ
حتى إذا آسترفَدَتْ يدى يَدَه * كنتُ كمُسترفِدٍ يَدَ الأسدِ

وقال بعض الأعراب :

إخوانُ هذا الزمان كلُّهمُ * إخوانُ غَدْرٍ عليه قد جُبِلوا
طَوَوْا ثيابَ الوفاء بينهمُ * وصار ثوبُ الرِّياء يُبْتَذَلُ[5]
أخوهم المستحِقُّ وَصْلَهمُ * مَن شربوا عنده ومَن أكلوا
وليس فيما علِمْتُ بينهمُ * وبين مَن كان مُعْدِمًا عَمَلُ

---

(١) ذكر اللسان فى مادة «ثغر» هذه الأبيات مع أبيات أخرى من القصيدة ونسبها لنمير بن حباب.
(٢) كذا فى اللسان، والمأثور : الذى يؤثر عنه شرّ وتهمة، وفى الأصل : «مأمون» وهو تحريف؛ وثغرة النحر : نقرته؛ يريد أنه يطعنه فى عيبه. (٣) كذا ورد هذا الشطر فى اللسان. وفى الأصل ورد هكذا : * ولاحن، لبغضاء والنظر الشزر * (٤) دانت : قاربت. (٥) يبتذل : يلبس كثيرا؛ ومنه البذلة والمبذلة من الثياب : ما يلبس ويمتهن ولا يصان.

قال رجل لآخر : بلغني عنك أمرٌ قبيح ، فقال : يا هذا ، إنّ صُحْبة الأشرار ربما أورثت سوءَ ظنٍّ بالأخيار .

وقال دِعْبِل :

أبا مُسْلِم[1] كنّا حَلِيفَيْ مودّة * هوَانا وقَلْبانا جميعا معًا معَا
أحوطُك بالوُدّ الذي لا تَحُوطُني * وأرأبُ منك الشَّعبَ أن يتصدّعَا
فلا تَلْحَيَنّي لم أجد فيك حِيلةً * تَخَرَّقتَ حتى لم أجد فيك مَرْقَعَا
فهَبْكَ يميني آستأكلتْ[2] فآحتسبتُها[3] * وجشّمتُ قلبي قطعها[4] فتخشّعا

وقال يزيد بن الحَكَم الثَّقَفيّ :

تُكَاشِرُني[5] كُرْها كأنّك ناصحٌ * وعينُك تُبْدِي أنّ قلبَك لي دَوِي[6]
لِسانُك مَاذِيٌّ[7] وقلبُك عَلْقَمٌ * وشَرُّك مبسوطٌ وخيرُك مُنْطَوِي[8]
عَدُوُّك يَخْشَى صَوْلَتي إن لَقِيتُه * وأنت عدوّي ليس ذاك بمستوِي[9]
أراكَ إذا لم أهوَ أمْرًا هَوِيتَه * ولستَ لما أهوَى من الأمر بالهَوِي

---

(١) كذا بالأصل . وفي الأغاني (ج ١٨ ص ١٤٧) : « أبا مخلد » .

(٢) كذا بالأصل ولم نجد هـذه الصيغة في كتب اللغة الا بمعنى استأكل الشيء طلب منه أن يأكله ، والمستأكلة : الذين يأخذون أموال الضعفاء كاليتامى و يعيشون عليها ، والظاهر أن المراد هنا في الشعر تأكّل يده . والصيغه الدالة على هذا المعنى في كتب اللغة هي ائتكل وتأكّل .

(٣) في الأغاني طبع بولاق ج ١٨ ص ٤٧ : « فقطعتها » .

(٤) في الأغاني : * وجشمت قلبي صبرة فتشجعا .

(٥) تكاشرني : تضاحكني من قولهم : كشر عن أسنانه اذا كشف عنها .

(٦) دو : مضطغنٌ .

(٧) الماذيّ : العسل الأبيض .

(٨) كذا في الأمالي ج ١ ص ٦٨ طبع دار الكتب ورواية البيت فيه :

لسانك ماذيّ وغيبك علقم * وشرّك مبسوط وخيرك منطوى

(٩) وفي الأصل : « ملتوى » : روى هذا البيت في حماسة البحتريّ :

تـــودّ عـــدوّي ثم تزعم أنني * صديقك ليس الفعل منك بمستوى

أراكَ اجْتَوَيْتَ الخيرَ منّى وأجْتَوِى * أذاكَ فكُلٌّ يجتَوِى قُرْبَ مُجتَوِى[1]
وكمْ مَوطنٍ لولاىَ[2] طِحْتَ كما هَوَى * بأجرامِهِ من قُـلّةِ[3] النِّيقِ مُنْهَوِى

ويقال : إيّاكَ ومَن مَوَدّتُه على قَدْرِ حاجته فعند ذَهابِ الحاجة ذَهاب المودّة .

وقال الحكيم : ثلاثة لا يُعرَفون إلا فى ثلاثة مواطن : لا يُعرَف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا فى الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه .

قال جرير :

فأنتَ أخى[4] ما لم تكن لِىَ حاجــةٌ * فإن عَرَضَتْ أيقنتُ أن لا أخا لِيـا
تَعَرّضتُ فاستَمْرَرْتَ من دون حاجتى * فحـالُكَ إنى مســتمرٌّ لحالِيَـا
وإنّى لَمَغْـــرورٌ أُعلَّلُ بالمُـــنَى * ليـالِىَ أرجو أنّ مالكَ مالِيَـا
بأىّ نِجادٍ[5] تَحمِـــلُ السيفَ بعدما * نزعتَ سِـــنانا من قناتِكَ ماضيَا
ألا لا تخـافا نَبْـــوَتى فى مُلِمّـــةٍ * وخافا المنـايا أن تفـوتَكُما بِيـا[6]

(١) المجتوى : الكاره . (٢) كذا فى أمالى القالى . وفى الأصل : «لولاك» .

(٣) القلة : أعلى الجبل ، والنيق : أرفع موضع فيه . (٤) روى هذا البيت فى النقائض ص ١٧٧ طبع أوروبا :

فأنت أبى ما لم تكن لى حاجة * فإن عرضت فإنى لا أباليا

وهو من قصيدة طويلة مذكورة فى النقائض بين جرير والفرزدق مطلعها :

ألا حىّ رهبى ثم حىّ المطاليا * فقد كان مأنوسا فأصبح خاليا

وقد ذكر المؤلف هذا البيت فيما تقدّم من هـذا الجزء ص ٧٥ لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما ذكر فى كثير من كتب الأدب مثل الكامل للبرد والعقد الفريد وزهر الآداب ضمن شعر مطلعه :

رأيت فضيلا كان شيئا ملففا * فكشّفه التمحيص حتى بدا ليا

(٥) النجاد : حمائل السـيف ، وقد ورد هـذا الشعر فى الأغانى (ج ٧ ص ٥٢) والنقائض (ص ١٧٧) هكذا :

بأى نجـاد تحمل السيف بعـــدما * قطعت القوى من محمل كان باقيـا
بأىّ سنـان تطعن القوم بعدما * نزعت سنانا من قنـاتك ماضيـا

(٦) يقول : لا تخافا أن أنبو عنكما إن ألمّت بكما ملمة ما عشت وخافا ذلك منّى اذا مت (راجع كتاب النقائض ص ١٧٨) .

وقال أبو العَتاهِيَة :

أنتَ ما آستغنيتَ عن صا * حبِـك الدّهرَ أخُــوهُ
فإذا آحتجتَ إليــه * ساعــةً مجّـكَ فُــوهُ

وقال آخر :

مَوَاليـنا إذا آفتقَروا إلينـا * وإن أثْرَوْا فليس لنا مَوالِى

والعرب تقول فيمن شَرِكَك فى النّعْمة وخَذَلَك عند النائبة : يَرِبض[1] حَجْرَةً[2] و يَرْتَع وَسَطًـا .

قال المـدائنىّ : لحن الحجاجُ يوما ، فقال الناس : لحن الأميرُ . فأخبره بعض مَن حضر، فتمثّل بشعر قَعْنَب بن أمّ صاحب :

صُمٌّ إذا سَمِعـوا خيرا ذُكِرْتُ به * وإن ذُكِرت بسُوءٍ عندهم أذِنُوا[3]
فَطَانَةٌ فَطَنوها لو تكونــ لهم * مروءه أو تُقًى لله ما فَطَنُــوا
إن يسمعوا سَيِّئا طاروا به فَرَحًا . منّى وما سمعو من صالح دفنـو

باب القرابات والولد

حدّثنى زَيْد بن أَخْزَم قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا إسحاق بن سَعيد القُرشى من ولد سعيد بن العاص قال أخبرنى أبى قال : كنتُ عند آبن عبّاس ، فأتاه رجل فَمتّ إليه بِرَحِم بعيدةٍ ، فَلاَنَ له وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اعْرِفوا أنسابَكم تَصِلوا أرحامَكم فإنه لا قُرْبَ بالرَّحِم اذا قُطِعَتْ و إن كانت قريبةً ولا بُعْدَ بها إذا وُصِلَتْ و إن كانت بعيدةً " .

(١) فى الأصل : «تربص» بالتاء والصاد المهملة وهو تحريف . (٢) حجرة : ناحية .
(٣) أذنوا : استمعوا .

حدّثني شَبَابة قال حدّثني القاسم بن الحَكَم عن إسماعيل بن عيّاش عن عبد الله ابن دينار قال : احذروا ثلاثا ، فإنهنّ معلّقات بالعرش : النعمةَ تقول يا ربّ كُفِرتُ ، والأمانةُ تقول يا ربّ أُكِلتُ ، والرّحِمُ تقول يا ربّ قُطِعتُ .

حدّثني الزِّيادىّ قال حدّثنا عيسى بن يونس قال قال مُحارِب بن دِثار : إنما سُمُّوا أبرارا لأنهم بَرُّوا الآباء والأبناء ، وكما أنّ لوالدك عليك حقاًّ ، فكذلك لولدك عليك حقّ .

حدّثني أبو سفيان الغَنَوىّ عن عبدالله بن يزيد عن حَيْوَة بن شُرَيح عن الوليد ابن أبي الوليد عن عبدالله بن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أَبَرُّ البِرِّ أن يَصِلَ الرجلُ أهلَ وُدِّ أبيه" .

حدّثني القُومِسىّ قال حدّثنا إسماعيل بن أبي أُوَيس قال حدّثنا كَثِير بن زيد عن أبيه عن جدّه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "ابنُ أُختِ القومِ من أنفُسِهم ومَوْلى القوم من أنفسهم[1] وحَليفُ القومِ من أنفسهم" .

وحدّثني أيضا عن خالد بن مَخْلَد عن سليمان بن بِلَال عن عبدالله بن دِينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : "الرَّحِمُ شُجْنَةٌ[2] من الرحمن قال لها مَنْ وصَلكِ وصَلتُه ومَن قطعكِ قطعتُه" .

حدّثني الزِّيادىّ قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن حبيب عن ابن سِيرين قال قال عثمان : كان عمر يمنع أقرِباءه ابتغاء وجه الله ، وأنا أُعطِي قَرَاباتى لوجه الله ، ولن يُرى مثلُ عمرَ .

---

(١) ورد في الجامع الصغير : « منهم » بدل « من أنفسهم » ولعلها رواية . (٢) الشجنة : الشعبة من كل شيء ، يقال : بينهما شجنة رحم .

حدّثني أحمـد بن الخليـل قال حدّثنا ابراهيم بن موسى قال حدّثنا محمد بن ثور عن معمر(١) عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضَمْرة عن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "مَنْ سَرَّهُ أن يُمَدّ له في عُمُره و يُوَسَّعَ له في رزقه فَلْيَصِلْ رَحِمَه" .

حدّثني أحمـد بن الخليل قال حدّثنا أبو نُعيم قال حدّثنا سفيان عن عبد الله ابن عيسى عن عبيد بن أبي الجَعْد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يزيد في العُمرِ إلا البِرُّ ولا يرد القَدَر إلّا الدعاءُ و إنّ الرجلَ ليُحرَمُ الرزقَ بالذنب يُصيبُه" .

حدّثني محمد بن يحيي القُطَعيّ قال حدّثنا عبد الأعلى قال حدّثنا سعيد عن مَطَر عن الحَكَم بن عُتَيْبة(٢) عن النَّخَعيّ عن ابن عمر قال : أتى رجل النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : إنّ والدي يأخذ منّي مالي وأنا كاره؛ فقال : "أَوَ مَا علمتَ أنك ومالَك لأبيك" .

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعيّ قال : أخبرني بعض العرب أن رجلا كان في زمن عبد الملك بن مَرْوان ، وكان له أب كبير ... بأبيه ، وكان يقال للشابّ "مَنَازِلُ"(٣) فقال الشيخ(٤) :

جَزَتْ رَحِمٌ بيْني وبين مَنَـازِلٍ * جزاءً كما يَسْتَنْجِزُ الدَّيْنَ طالبُـهْ
تربَّتْ(٥) حتى صـار جَعْدًا شَمَـرْدَلًا * إذا قام ساوَى غاربَ الفَحْل غاربُهْ

---

(١) هو معمر بن راشد ، وهو الذي يروي عنه محمد بن ثور كما في التهذيب . (٢) في الخلاصة في أسماء الرجال محررة وفي الأصل «عيينة» وهو تحريف . (٣) هو ... ابن فرعان ذكره في القاموس وقال شارحه هو بفتح الميم ومنهم من ضبطه بضمها . (٤) هو ... التيمي كما في لسان العرب مادة «جعد» . (٥) تربّت : تربّى . والجعد : الطويل . والشمردل : الفتيّ القويّ ، وقد اختلف اللسان (في مادة جعد) عما هنا في إيراد هذا البيت ، وأورد معناه في بيتين وهما :

وربيتــه حتى إذا ما تركته * أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وبالمحض حتى آض جعدا عطنطا * إذا قام ساوى غارب الفحل غاربه

نَظَلَّمَنِى مالى كذا وَلَوَى يَدِى * لَوَى يَدَه اللهُ الذى لا يغالِبُهْ
وإنّى لَدَاعٍ دعْوَةً لو دَعَوْتُها * على جَبَلِ الرَّيَّان لانقضّ جانِبُهْ

فبلغ ذلك أميرًا كان عليهم، فأرسل إلى الفتى ليأخذه، فقال له الشيخ : أُخرج من خَلْف البيت، فسبَق رُسُلَ الأمير، ثم ٱبْتُلِىَ الفتى بٱبْنٍ عَقّه فى آخر عمره فقال :

تَظَلَّمَنِى مالى خَلِيجٌ وعَقَّنِى * على حين كانت كالحَنِىِّ عظامى
تَخَيَّرته وٱزددتُه لِيَزِيدنى * وما بعضُ ما يزداد غيرُ عُرَامِ (١)

وقال يحيى بن سعيد (٢) مولى تيم كوفىٌّ لابنه :

غَذَوْتُكَ مَوْلودًا وعُلْتُكَ يافعًا * تُعَلُّ بما أُجْنِى (٣) عليك وتَنْهَلُ
إذا ليلةٌ نالتك بالشكو لم أَبِتْ * لشكواكَ إلّا ساهرًا أتَمَلْمَلُ
كأنّى أنا المطروقُ دونك بالذى * طُرِقْتَ به دونى وعَيْنِى تَهْمِلُ
فلمّا (٤) بلغتَ الوقتَ فى المدّة التى * إليها جَرَى ما أبتغيه وآمُلُ
جَعلتَ جَزائى منك جَبْهًا وغِلْظَةً * كأنكَ أنتَ المنعمُ المتفضِّلُ
فليتَكَ إذ لم تَرْعَ حقَّ أُبُوَّتِى * كما يفعل الجارُ المجاورُ تَفْعَلُ (٥)

قال القاسم بن محمد : قد جعل الله فى الصديق البارِّ عِوَضًا من الرَّحِم المُدْبِرة .

---

(١) العرام : الشراسة والأذى، وفى الأصل : «عرام» بالغين المعجمة وهو تحريف .

(٢) هذا الشعر لأمية بن أبي الصلت الثقفى كما فى الأغانى (ج ٣ ص ١٩١ طبعة بولاق) وأشعار الحماسة (ص ٣٥٤ طبع أوروبا)، وقيل : إنها تروى لابن عبد الأعلى، وقيل : لأبى العباس الأعمى . وليس ليحيى بن سعيد كما ذكر المؤلف لأنه أنشد بين يدى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخذ عليه الصلاة والسلام بتلابيب الولد وسلمه لوالده قائلا له : «أنت ومالك لأبيك» . (٣) فى أشعار الحماسة «أُدنى إليك» . (٤) ورواية هذا البيت فى الحماسة :

فلما بلغت السن والغاية التى * إليها مدى ما كنت فيك أؤمل

(٥) فى الحماسة : «فعلت كما الجار ... الخ» .

كتب عمرُ إلى أبي موسى : مُرْ ذوي القَرَابات أنْ يتَزاوَرُوا ولا يتجاوروا .

وقال أكْثم بن صَيْفِيّ : تَباعَدُوا في الدّيار تَقارَبُوا في المودّة .

قيل لأعرابيّ : ما تقول في آبن عمك ؟ قال : عدوّك وعدوّ عدوّك .

وقال قيسُ بن زُهَير :

شَفَيْتُ النفسَ من حَمَل بن بَدْرٍ * وسَيْفي من حُذَيفة قد شفاني
قتلتُ بإخْوَتي ساداتِ قومي * وقد كانوا لنا حَلْيَ الزمانِ
فإنْ أكُ قد بَرَدْتُ بهم غَليلي * فلم أقطعْ بهم إلّا بَنَاني

قال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، حين تصفّح القَتْلَى يوم الجَمَل: شَفَيتُ نفسي وجَدَعتُ أنفي . وفي مثل ذلك قول القائل(1) :

قَومِي هُمُ قَتَلوا أُمَيمَ أخي . فإذا رَمَيْتُ يُصيبُني سَهْمِي
ولئن عَفَوْتُ لَأَعْفُوَنْ جَلَلًا * ولئن قَرَعْتُ(2) لَأُوهِنَنْ عَظْمِي

قتل رجلٌ من العرب آبنَ(3) أخيه فدُفعَ إلى أخيه لِيُقيدَه، فلمّا أهْوَى بالسيف أُرعِدتْ يداه، فألقى السيفَ من يده وعفا عنه وقال :

أقولُ للنفسِ تأساءً وتعزِيَةً * إحدى يَدَيّ أصابتْني ولم تُرِدِ
كلاهما خَلَفٌ من فَقْد صاحبه * هذا أخي حين أدعُوه وذا ولدِي

وقال بعضهم :

بكُرْهِ سَرَاتنا يا آل عمرو * نُغَاديكم بمُرهَفَة النِّصالِ
فنبكي حين نذكرُكم عليكم * ونقتلكم كأنّا لا نُبالي

وقال عديّ بن زيد :

وظلمُ ذَوِي القُرْبَى أشدُّ مَضاضةً * على المرءِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

(1) هو الحارث بن وعلة الذهلي كما في الحماسة . (2) في الحماسة : «سطوت» .
(3) في الأصل : «لابن أخيه» وهو تحريف .

وقال غيره[1] :

سآخُذ منكم آل حَزنٍ[2] لِحَوْشَبٍ * وإن كان مولاىَ[3] وكنتم بنى أبِى
إذا كنتُ لا أرْمَى وتُرْمَى عَشيرتى[4] * تُصِبْ جانحاتُ[5] النَّبْلِ كَشْحِى ومَنْكِبِى

قال حدّثنا أبو الخطاب قال حدّثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن السائب البكّرى عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حَقُّ كبير الإخْوَةِ على صَغيرهم كحَقّ الوالد على ولده" .

والعرب تقول فى العطف على القرابة وإن لم يكن ودًّا : "أنفُكَ منكَ وإنْ دَنّ[6]". ومثله : "عِيصُك[7] منك وإن كان أَشِبًا" .

وقال النَّمِر بن تَوْلَب :

إذا كنتَ من سَعْدٍ وأمُّكَ فيهمُ * غريبًا فلا يَغْرُرْك خالُك من سعدِ
فإن ٱبنَ أُختِ القوم مُصغًى[8] إناؤه * إذا لم يُزاحِم خالَه بِأبٍ جَلْدِ

وقال أميّة بن أبى عائذ لإياس بن سَهْم :

أبلغ إياسًا أنّ عِرض ٱبنِ أُختكم * رِداؤك فٱصْطَنْ[9] حُسْنَه أو تَبَذّلِ

---

(١) ذكر هذان البيتان فى الحماسة ضمن أبيات يقال : إنها لجندل بن عمرو. (٢) كذا فى ديوان الحماسة ، وفى الأصل : «آل حرم» . وفيه بدل «لحوشب» «بجوشب» . (٣) فى ديوان الحماسة : «وإن كان لى مولى» . وقد أشار شارحه الى رواية الأصل وقال . إنه بها دخله الكف وهو حذف السابع الساكن من مفاعيلن ، وهو قبيح فى غير الهزج . قال شارح الحماسة : «وليس فى الحماسة بيت مكفوف غيره» . ثم قال : «ويروى ولى لى ، فعلى هذا يسلم من الزحاف . والأول أشبه بطريقة الشعراء ، ألا ترى أنهما معرفتان مصاحبتان : مولاى وبنى أبى» . (٤) فى الحماسة : «كاشحى» وقيل أراد بالكاشح مولاه . (٥) فى الحماسة . «جانحات» بالنون أى كاسرات الجناح ، يقال : جنحه إذا كسر جناحه ، ويجوز أيضا أن يكون جانحات من جنح اليه اذا مال . وأشار شارح الحماسة الى الرواية التى وردت بالأصل ولكنه استحسن الأولى لأنه لا يقال : رماه فاجتاحه . (٦) دنّ : سال مخاطه وفى مجمع الأمثال : «وإن كان أدنّ» . (٧) العيص : الجماعة من السدر تجتمع فى مكان واحد . والأشب : شدّة التفاف الشجر حتى لا مجاز فيه . (٨) مصغى إناؤه : منقوص حقه ، يقال : أصغى فلان إناء فلان اذا أماله ونقصه حقه . (٩) اصطن : صن واحفظ ، أمر من اصطان ، وهو الافتعال من صان . وتبذّل : امتهن .

فإن تكُ[1] ذا طَوْلٍ فإنّى آبْنُ أختِكم * وكلُّ آبنِ أختٍ من مَدَى الخالِ مُعتلِى[2]
فكن أسـدًا أو ثعلبًـا أو شبيهَه * فمهما تكن أُنْسَبْ إليـك[3] وأُشْكَلِ
وما ثعلبٌ إلا آبنُ أختِ ثعالِبٍ * وإن آبن أختِ اللّيث رِئبالُ أَشْبُلِ

وكتب بِشْر بن المُغيرة بن أبي صُفْرة إلى عمّه بهذه الأبيات :

جفانى الأميرُ والمغـيرةُ قد جفا * وأمسى يزيدُ لى قد آزْوَرَّ جانبُهْ
وكُلُّهُمُ قـــد نال شِـبْعًا لبطنه * وشِبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبُهْ
فيـا عَمِّ مَهْلا وآتّخِـذنى لـوبةٍ * تنوب ، فإن الدّهر جَمٌّ عجائبُـهْ
أنا السيفُ إلا أن للسيفِ نَبْوَةً * ومثلِىَ لا تنبُـو عليك مَضـارِبُهْ

دخل رجل من أشراف العرب على بعض الملوك ، فسأله عن أخيه ، فأوقع به يَعيبه ويَشْتُمه ، وفى المجلس رجل يَشْنَؤه فشرَع معه فى القول ؛ فقال له : مهلا ! إنّى لآكُلُ لحمى ولا أدَعُه لآكِلٍ .

ويقال : القرابةُ محتاجة الى المودّة ، والمودّةُ أقربُ الأنساب . والبيت المشهور فى هذا :

وإذا القرابة لا تُقرِّبُ قاطعًا * وإذا المودّة أقربُ الأنسابِ

وقيل لبُزُرْجِمْهر : أخوك أحبّ إليك أم صديقُك؟ فقال : إنما أُحِبّ أخى اذا كان صديقا .

وقال خِداش بن زُهَير :

رأيتُ آبنَ عمّى باديًا لِىَ ضِغْنُـه * ووَاغِرُه فى الصدر ليس بذاهبِ

وأنشدنا الرِّياشيّ :

حيـاةُ أبى السيّارِ خـيرٌ لقومه * لمن كان قد ساس الأمورَ وجرّبَا
ونَعتِبُ أحيانا عليـه ولو مضى * لكنّا على الباقى من النـاس أعتَبَا

---

(١) كذا فى كتاب أشعار الهذليين ، وهو الذى يتفق مع السياق بعده ، وفى الأصل : «فإن أك»...
(٢) فى كتاب أشعار الهذليين : «معتلى» بالعين المهملة ، واعتلى : ارتفع . (٣) كذا فى أشعار الهذليين . وفى الأصل : «اليه» .

وقال الشاعر :

ولم أر عِزًّا لامرئٍ كعشيرِهِ[1] * ولم أر ذُلًّا مثل نأْيٍ عن الأهلِ
ولم أر مثلَ الفقر أوضعَ للفتى * ولم أر مثلَ المالِ أدفعَ للرذْلِ
ولم أر من عُدْمٍ أضرَّ على الفتى * إذا عاش وسْطَ الناسِ من عَدَمِ العقلِ

كان مُهَلهِلٌ صار الى قبيلة من اليمن يقال لهم جَنْبٌ، فخطبوا اليه فزوّجهم وهو كارهٌ لاغترابه عن قومه، ومهروا ابنته أَدَمًا[2]؛ فقال :

أنكحها فقدُها الأراقِمَ في[3] * جَنْبٍ وكان الحِباء من أَدَمِ
لو بأبانَيْنِ[4] جاء يخطُبها * رُمِّلَ[5] ما أنفُ خاطبٍ بدمِ

وقال الأعشى :

ومن يغترِبْ عن قومه لا يَزَلْ يرى * مَصارِعَ مظلومٍ مَجَرًّا ومَسْحَبَا
وتُدفَنُ منه الصالحاتُ وإن يُسِئْ * يكن ما أساء النارَ في رأس كَبْكَبَا[6]
وربَّ بقيعٍ لو هتفتُ بجَوِّهِ * أتاني كريمٌ يُنْغِضُ[7] الرأسَ مُغْضَبَا

وقال رجل من غطفان :

إذا أنت لم تستبقِ وُدَّ صحابةٍ * على دَخَنٍ[8] أكثرتَ بثَّ المعاتبِ

---

(١) عشيره : قبيلته . (٢) الأدم : اسم جمع للأديم، والأديم . الجلد ما كان، وقيل : الأحمر، وقيل : المدبوغ . (٣) الأراقم : حيّ من تغلب وهي قبيلته . (٤) أبانين : تثنية أبان، وهما جبلان يقال لأحدهما : أبان الأبيض، وللآخر : أبان الأسود . (٥) رمل : خضب بالدم . وفي الأغاني (ج ٤ ص ١٤٦ طبع بولاق) ومعجم البلدان : « ضرّج » .
(٦) كبكب . جبل خلف عرفات مشرف عليها . (٧) ينغض الرأس : يحرّكه كالمستفهم عما يقال له . (٨) على دخن : على كدورة . وأصل الدخن (بالتحريك) : مصدر دخنت النارُ إذا ألقى عليها حطب رطب وكثر دخانها، وأن يكون لون الدابة أو الثوب كدرا الى سواد .

وإنّى لأستبقِى آمرأ السَّوْءِ عُدّةً ٭ لعَدْوة عِرّيضٍ[1] من الناس عائبِ

أخافُ كلابَ الأبعدِين ونَبْحَها ٭ إذا لم تُجاوِبها كلابُ الأقارِبِ

قال رجل لعُبَيْد الله بن أبى بَكْرة : ما تقول فى موت الوالد؟ قال: مِلْك حادث؛ قال : فموت الزوج ؟ قال : عُرْس جـديد ؛ قال : فموت الأخ ؟ قال : قَصّ الجَناح؛ قال : فموتُ الولد ؟ قال : صَدْعٌ فى الفؤاد لا يُجْبر .

وكان يقال : العُقوقُ ثُكْل من لم يَثْكَل .

شكا عثمان عليّا الى العباس رضى الله عنهم؛ فقال : أنا منه كأبى العاقّ، إن عاش عقّه وإن مات فَجَعَه .

وقال رجل لأبيه : يا أبتِ، إن عظيم حَقّك علىّ لا يُذْهِب صغيرَ حقّى عليك، والذى تَمُتّ به الىّ أمتّ بمثله إليك، ولستُ أزعم أنّا على سَوَاء .

وقال زيد بن على بن الحسين لابنه يحيى : إن الله لم يرضَك لى فأوصاك بى، ورَضِينى لك فلم يُوصِنى بك .

غضب معاوية على يزيدَ ابنــه فهجره؛ فقال له الأحنفُ : يا أمير المؤمنين، أولادُنا ثِمارُ قلوبنا وعِمادُ ظهورِنا، ونحن لهم سماء ظليلة، وأرض ذليلة، فإن غضبوا فأرْضِهم، وإن سألوا فأعْطِهم، ولا تكن عليهم قُفلا فيَمَلّوا حياتك ويَتمنّوا موتك .

قيل لأعرابىّ : كيف آبنُك؟ — وكان عاقّا — فقال : عذابٌ رَعِفَ[2] به الدهر، فليتنى قد أودعتُه القبر، فإنه بَلاء لا يُقاومه الصبر، وفائدةٌ لا يجب فيها الشكر .

قيل لبعضهم : أىّ ولدك أحبّ اليك ؟ قال : صغيرُهم حتى يكبَر، ومريضُهم حتى يبرأ، وغائبُهم حتى يَقدَم .

---

(١) العِرّيض : الذى يتعرّض للناس بالشرّ . (٢) رعف (بكسر عينه) : سبق وتقدّم .

ناول عمرُ بن الخطاب رجلا شيئا، فقال له : خدمك بنوك ؛ فقال عمر : بل أغنانا الله عنهم .

ووُلِد للحسن غلام، فقال له بعض جلسائه : بارك الله لك في هِبَته، وزادك من أحسنِ نعمتِه . فقال الحسن : الحمد لله على كلّ حسنة، ونسأل اللهَ الزيادةَ في كل نعمة . ولا مرحبًا بمن إن كنتُ عائلا أنصبني، وإن كنت غنيا أذهلني، لا أرضى بسعيي له سعيا، ولا بكدّي له في الحياة كدّا، حتى أُشفق له من الفاقة بعد وفاتي، وأنا في حالٍ لا يصل إليّ من غمّه حزن ولا من فرحه سرور .

قال الأصمعيّ : عاتب أعرابيٌّ ابنَه في شرب النبيذ، فلم يُعْتِبْ(1) وقال :

أمِن شَربةٍ من ماء كَرْمٍ شربتُها ... غضبتَ عليّ ! الآن طاب لِيَ الخمرُ
سأشربُ، فاغضبْ لا رضيتَ، كلاهما ... إليّ لذيذٌ : أن أعُقَّك والسُّكْرُ

وقال الطِّرِمّاح لابنه صَمْصامة :

أصمصامُ إن تشفع لأمّك تلْقها * لها شافعٌ في الصدرِ لم يتبرّجِ
هل الحبُّ إلّا أنّها لو تعرّضتْ * لذبحك يا صمصامُ قلتَ لها اذبحي
أُحاذر يا صمصامُ إن مُتُّ أن يلي * تُراثي وإيّاكَ امرؤٌ غيرُ مُصْلِحِ
إذا صكّ وسْط القومِ رأسَك صكّةً * يقول له الناهي مَلَكْتَ فأسْجِحِ(2)

وأنشد ابن الأعرابيّ :

أُحبّ بُنيّتي ووددتُ أنّي * دفنتُ بُنيّتي في قعرِ لحْدِ
وما بي أن تهونَ عليّ لكن * مخافةَ أن تذوقَ البؤسَ بعدي

(1) لم يعتب : لم يرضه ولم يرجع عن الشراب الذي غضب عليه من أجله . (2) أسجح : اعف واصفح .

ونحوه قول الآخر :

لولا أُمَيْمَةُ لم أجزَعْ من العَــدَمِ * ولم أَجُبْ فى الليالى حِندِسَ الظُّلَمِ

وزادنى رغبةً فى العيش معرفتى * ذُلَّ اليتيمة يَجفوها ذوُو الرَّحِمِ

أُحاذِر الفقرَ يوما أن يُلِمَّ بهــا * فيهتِكَ السِّتْرَ من لحمٍ على وَضَمِ

تهوَى حياتى وأهوَى موتَها شَفَقًا * والموتُ أكرمُ نَزَّالٍ على الحُــرَمِ

وقال أعرابىّ فى ابنته :

يا شِقّةَ النفس إن النفس والهــةٌ * حَرَّى عليــكِ ودمعُ العين مُنسجِمُ

قد كنتُ أخشى عليها أن تُقَدِّمنى * الى الحِمام فيُبدِى وجهَها العَــدَمُ

فالآن نِمتُ فــلا هَمٌّ يؤرّقُنى * تَهْــدا العيونُ اذا ما أودتِ الحُرَمُ

وقال أعشى سُلَيْمٍ :

نفسِى فداؤكَ مِن وافدٍ * إذا ما البيوتُ لبِسن الجليدا

كفيتَ الذى كنتُ أرجَى له * فصِرتَ أبًا لى وصرتُ الوليدا

وقال أعشى هَمْدان فى خالد [بن عَتّاب] بن وَرْقاء :

فإن يكُ عَتّابٌ مضَى لسبيله * فما مات من يَبْقَى له مثلُ خالدِ

وفى الحديث المرفوع : "رِيحُ الولد من رِيح الجنّة" . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد ابنَىْ بنته : "إنكم لتُجَبِّنون و إنكم لتُبَخِّلون و إنكم لَمِنْ رَيْحانِ الله".

وقالت أعرابية :

يا حبّـــذا رِيحُ الولَدْ * رِيحُ الخُزَامَى بالبَــلَدْ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : هذا يدلّك على تفضيلهم الخُزَامَى .

وكان يقال : ابنُك رَيحانُك سَبْعا، وخادمك سبعا، ثم عدوٌّ أو صديق .

مرّ أعرابيٌّ يَنشُدُ ابنا له بقوم، فقالوا : صِفه ، فقال: دُنَيْنِيرٌ، قالوا : لم نَرَه ، فلم يَلبثِ القومُ أن جاء على عُنُقه بجُعَلٍ ،فقالوا : ما وجدتَ ابنَك يا أعرابيّ؟ قال: نعم هو هــذا ، قالوا : لو سألتَ عن هذا لأخبرناك، ما زال منذُ اليومِ بين أيدينا .

قال الشاعر فى امرأة :

نِعمَ ضجيعُ الفتى اذا بَرد الـ * ـليلُ سَحَراً وقرقفَ الصَّرِدُ[1]
زيّنها الله فى العيونِ كما * زُيِّن فى عين والدٍ ولــدُ

وفى الحديث : "من كان له صبىٌّ فَلْيَسْتَصْبِ له" .

وقال الزبير وهو يرقّص ابناً له :

أبيضُ من آل أبى عَتيقِ * مباركٌ من ولد الصِّدّيقِ
* ألَذُّه كما أَلَذُّ رِيقِى *

وقال أعرابيّ :

لولا بُنَيّاتٌ كزُغْبِ القَطَا[2] * حُطِطْنَ من بعضٍ الى بعضِ
لكان لى مُضْطَرَبٌ واسعٌ * فى الأرضِ ذاتِ الطُّولِ والعَرْضِ
وإنما أولادُنـــا بيننـا * أكبادُنا تمشى على الأرضِ
لو هبّتِ الريحُ على بعضهــم * لامتنعتْ عينى من الغَمْضِ
أنزلنى الدهرُ على حكمه * من مَرْقَبٍ عالٍ الى خَفْضِ
وابتزّنى الدهرُ ثيابَ الغِنى * فليس لى مالٌ سوى عِرْضى

قال بعض النسّابين : إنما قيل : مَعْدُ العشيرة ، لأنه كان يركب فى عشرة من ولده، فكأنهم عشيرة .

(١) قرقف : أرعد من البرد . والصرد : الرجل القوىّ على البرد . (٢) رويت هذه الأبيات فى الأمالى ج ٢ ص ١٨٩ طبع دار الكتب المصرية ببعض مخالفة عما هنا ، وذكرت أيضا فى الحماسة بشرح التبريزى طبع أوروبا ص ١٤١ وبها اختلاف فى الرواية وتقديم وتأخير فى ترتيب الأبيات ، ونسبت الى حطّان بن المعلى .

وقال ضِرار بن عمرو الضَّبِّىّ، وقد رُئى له ثلاثة عشرَ ذكرا قد بلغوا : من سَرّه بنوه ساءَته نفسُه .

قال بِشرُ بن أبى خازم :

اذا ما عُلُوا قالوا أبونا وأُمّنا * وليس لهم عَالِينَ[1] أمٌّ ولا أبُ

وقال آخر :

أنا ابنُ عمّك بن ابنتك ابنُه * وليس منك اذا ما كَعْبُك اعتدلا

وأنشدنا الرِّياشىّ :

الرَّحْمَ بُلَّهـا بخـير البُـلّانْ[2] * فإنّ فيهـا للدّيارِ العُمْرانْ

وآمر المال و بنت الصَّغرانْ[3] * وإنما اشتُقّت من اسم الرحمنْ

وقال المَعْلُوطُ :

ومَنْ يلقَ ما ألقَ وإنْ كان سيّدا * ويخشَ الذى أخشَى يَسِرْ سيرَ هارِب

مخـافةَ سـلطانٍ علىّ أظنُّـه * ورَهطِى ، وما عاداك مثلُ الأقارب

دخل عثمان بن عفّان على ابنته وهى عند عبد الله بن خالد بن أَسِيد، فقال : يا بنيّة : مالى أراكِ مهزولةً ؟ لعلّ بَعْلَكِ يُغيرك[4] ؛ فقالت : لا، ما يُغيرنى ؛ فقال لزوجها : لعلّك تُغيرها! قال : فأفعل، فلَغلامٌ يزيده الله فى بنى أمية أحبُّ الىّ منها .

(١) عالين : حال من الضمير فى «هم» . (٢) بلّ الرحم يبلها (بضم الباء) بلا و بلالا : وصلها وندّاها . والبِلّان : قال ابن سيده : «يجوز أن يكون البلان اسما واحدا كالعمران والرجحان وأن يكون جمع بلل» . (٣) كذا بالأصل ولم نوفق اليه فى مصدر آخر، وقد أورد فى اللسان مادة بلل هذا الشعر مقتصرا فيه على صدر البيت الأوّل وعجز البيت الثانى . (٤) أغار الرجل امرأته : تزوّج من أخرى فأحدث عندها الغيرة .

قال النعمانُ بن بَشير :

وإنى لأُعطِى المالَ مَنْ ليس سائلا * وأُدرِكُ للمولى المعانِدِ بالظلمِ
وإنى متى ما يَلْقَنى صارما له * فما بيننا عند الشدائد من صُرْمِ
فلا تَعْدُدِ المولى شريكَك فى الغِنى * ولكنما المولى شريكُك فى العُدْمِ
إذا مَتَّ ذو القُرْبى اليك بِرِحْمِه * وغشّك وآستغنى فليس بذى رِحْمِ
ولكنّ ذا القربى الذى يستخفّه * أذاك ومَنْ يرمى العدوَّ الذى تَرمِى

وقال بعضُ الشعراء :

لقد زاد الحياةَ الىّ حبّا * بناتى أنّهن من الضِّعافِ
مخافةَ أن يَرَيْنَ البؤسَ بعدى * وأن يشرَبْنَ رَنْقًا بعد صافِ
وأن يَعْرَيْنَ إن كُسِىَ الجوارِى * فتنبو العينُ عن كَرَمٍ(١) عِجافِ

قيل لعلىّ بن الحسين : أنت من أبرّ الناس ولا نراك تؤاكل أمَّك، قال : أخاف أن تَسيرَ يدى الى ما قد سبقتْ عينُها اليه فأكونَ قد عَقَقْتُها .

قيل لعمرَ بن ذَرّ : كيف كان برّ آبنك بك؟ قال: ما مشيتُ نهارا قط إلا مشى خلفى، ولا ليلا إلا مشى أمامى، ولا رَقِىَ سطحًا وأنا تحته .

حدّثنى محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عَطاء بن السائب عن عثمان بن أبى العاص قال : كنت عند عمر فأتاه رجل فأنشده :

تركتَ أباكَ مُرْعَشَةً يداه * وأمَّك ما تُسِيغ لها شرابا
اذا غَنَّتْ حمامةُ بطنِ وَجٍّ * على بَيْضاتها ذكرتْ كِلابا

فقال عمر : ممّ ذاك؟ قال : هاجر الى الشأم وترك أبوين له كبيرين ، فبكى عمر وكتب الى يزيدَ بن أبى سفيان فى أن يُرَحِّله ، فقدِم عليه، فقال : برّ أبويك وكن معهما

(١) كرم : كريمات : واذا وصف بالمصدر التزم فيه الإفراد والتذكير .

حتى يموتا . قال أبو اليقظان : مُرَبَّعة كِلاب بالبصرة اليه تنسب، والعوامّ تقول مُرَبَّعة الكلاب .

قال أبو عليّ الضّرير :

أتيتُك جَذلانَ مستبشِرًا * لبُشراك لما أتانى الخبرْ
أتانى البشيرُ بأن قد رُزِقْتَ * غلاما فأبهجنى ما ذكَرْ
وأنّك، والرشــدُ فيما فعلـ * ـتَ، أسميتَه باسم خيرِ البشرْ
وطهّرتَه يوم أسبوعه * ومن قبلُ فى الذّكْرِ ما قد طُهِرْ(١)
فعمّرك الله حتى ترا * ه قد قارب الخَطْوَ منه الكِبرْ
وحتى ترى حولَه من بَنِيه * وإخوتِه وبنيهم زُمَرْ
وحتى يروم الأمورَ الجسامَ * ويُرْجَى لنفع ويُخْشَى لضُرّْ
وأوزعك(٢) اللهُ شكرَ العطاء * فإن المزيد لعبدٍ شكَرْ
وصلّى على السَّلَفِ الصالحيـ * ـن منكم وبارك فيمن غَبَرْ(٣)

وهذا قد وقع فى باب التهانئ أيضا .

قال المأمون : لم أر أحدًا أبرّ من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من برّه به أن يحيى كان لا يتوضّأ إلا بماء مسخّن وهما فى السجن، فنعهما السجّان من إدخال الحطب فى ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه الى قُمْقُم(٤) كان يسخّن فيه الماء، فملأه ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائما وهو فى يده حتى أصبح .

---

(١) ما هنا زائدة . ولعل المهنأ من آل البيت، فأشار بطهارته فى الذكر الى قول الله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . (٢) أوزعك : ألهمك، وفى الأصل : «أودعك» . (٣) غبر : بقى، ويستعمل كذلك بمعنى مضى وذهب فهو من الأضداد .
(٤) قمقم : إناء من نحاس .

رقّص أعرابيٌّ ٱبنه وقال :

أُحِبّه حبَّ الشّحيحِ مالَهْ * قد كان ذاق الفقرَ ثم نالَهْ
* إذا يُريد بَذْلَه بدا لَهْ *

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ٱبنته عائشة ، فقال : مَن هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال : هـذه تُفّاحة القلب ، فقال : ٱنبِذها عنك؛ قال : ولم ؟ قال : لأنهنّ يَلِدْن الأعداء، ويُقَرِّبْن البُعَـداء، ويُورِثْن الضغائن؛ فقال : لا تقُلْ ذاك يا عمرو، فوالله ما مرّض المرضى ولا نَدَب الموتى ولا أعان على الأحزان مثلُهن، وإنك لواجدٌ خالا قد نفعه بنو أُخته؛ فقال له عمرو : ما أعلمُك إلا حَبّبتَهن الىّ .

الاعتـــــذار

كان يقال : الاعتراف يَهْدِم الاقتراف .

كتب بعض الكُتّاب الى بعض العمال : لو قابلت حقّـك علىّ بمتقـدِّم المودّة ومُؤَكَّد الحُرْمة الى ما جدّده الله لك بالسلطان والولاية، لم أرْضَ فى قضائه بالكتاب دون تَجَشُّم الرِّحلة ومُعاناة السفر اليك، لا سيما مع قُرْب الدار منك ؛ غير أن الشغل بما ألفيتُ عليه أمورى من الانتشار وعلائق الخراج وغيرِ ذلك ممـا لا خِيار معه، أحلّنى فى الظاهر محلَّ المُقَصّرين؛ وإن وهب الله فُرْجةً من الشـغل وسهّل سبيلا اليك، لم أتخلّف عمّا لى فيه الحظّ من مجاورتك والتنسّم بريحك والتيمّن بالنظر اليك، غاديا ورائحا عليك، إن شاء الله تعالى .

كتب ابن الجهم[1] الى نَجاح من الحبس :

إن تَعْفُ عن عبدك المسيءِ ففى * فضـلِك مأوًى للصّـفْح والمِنَنِ
أتيتُ ما أسـتحقُّ من خطأ * فعُـدْ لمـا تستحقّ من حَسَنِ

(١) فى الأصل : «أبو الجهم» وهو تحريف .

وكتب الحسن بن وهب :

ما أحسنَ العفوَ من القادرِ * لا سيّما عن غير ذى ناصرِ
إن كان لى ذنبٌ، ولا ذنبَ لى، * فماله غيرَك من غافـــرِ
أعــوذ بالودّ الذى بيننـا * أن يُفْسِدَ الأوّلُ بالآخرِ

كتب رجلٌ الى جعفر بن يحيى يستبطئه، فوقّع فى ظهر كتابه : أحتجّ عليـك بغالب القضاء، وأعتذر اليك بصادق النيّة .

قال بعض الشعراء :

وتعــذِر نفسَك إمّا أساتَ * وغيرَك بالعُــذرِ لا تعـذِر
وتُبصِر فى العين منه القذى(١) * وفى عينك الجذع لا تُبْصِر

وقال بعض الشعراء :

ياذا المُمَــيِّزُ للإخـــاءِ ولِا * إخوانِ فى التفضيل والقَدْرِ
لا يَقْبِضنّك عن معـاشرتى * بالأُنس أن قَصّرتَ فى برّى
إنى اذا ضاق آمرؤ بجــدًا(٢) * عنّى آستعنتُ عليه بالعذرِ

وفى الحــديث المرفوع : " من لم يَقْبَل من معتذرٍ صادِقًا كان أو كاذبا لم يَرِدْ علىّ الحوض" . وفيه : "أقِيلوا ذوِى الهَنَاتِ عَثَرَاتِهم" .

اعتذر رجل الى أبى عبيد الله الكاتب فقال : ما رأيتُ عذرا أشـبه بآستئنافِ ذنبٍ من عُذْرك .

وكان يقال : أعجلُ الذنوبِ عقوبةً العذرُ، واليمينُ الفاجرةُ، وردُّ التائبِ وهو يسأل العفو خائبا .

---

(١) فى الأصل : «وتبصر فى الغير منك القذى» . وفى الحــديث : «يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذل فى عينه» . والجِذْل : ما عظم من أصول الشجر، وقيل : هو من العيدان ما كان على مثال شماريخ النخل .   (٢) الجدا (وزان قفا) : العطية .

وقال مُطرِّف[1] : المَعاذِرُ مَكاذِبُ .

اعتـذر رجل الى إبراهيم[2] فقال له : قد عذرتُك غير معتذِرٍ، إن المعاذير يشوبُها الكذب .

ويقال . ما آعتذر مذنبٌ إلا آزداد ذَنْبا .

وقال الشاعر :

لا تَرْجُ رجعـةَ مذنِبٍ * خلَط آحتجاجًا باعتذارِ

اعتذر رجل الى سَلْم[3] بن قتيبة، فقبل منه وقال : لايدعونّك أمر تخلّصتَ منه الى أمر لعلك لا تتخلص منه .

وقال الشاعر :

فلا تَعْـتَـذِرانى فى الإساءة إنه * شِرارُ الرجال مَنْ يُسىء فيَعْتَذِرُ

وقال آبن الطَّثَرِيّة :

هَبِينى آمرأً إما بريئًا ظلمتِه * وإما مُسِيئا تاب بعدُ وأَعْتَبَا
وكنتُ كذى داءٍ تَبَغّى لدائه * طبيبا فلمـا لم يجِدْه تَطَبّبـا

كتب بعض الكُتّاب معتذرا : توهّمت، أعزك الله، نَفْرتَك عند نظرتك الى عنوان كتابى هذا بآسمى، لمـا تضمَّنَتْه من السَّخيمة علىّ ، فأخليتُه منه، وانتظرت باستعطافك من طويّتـك فىّ عاقبةَ آمتـدادِ العهد، وأمِنتُ آضطغانَك لنفى التّدينِ الحقـدَ، وآختصرتُ من الآحتجاج المنتسِب الى الإصرار ، والاعتذارِ المتعاوَدِ بين النُّظَراء ، والإقرارِ المثبِّت للأقدام ، الآستسلام لك . على أنك إن حرمتَنى رِضاك آتّسعتُ بعفوك ، وإن أعْدَمتِنيهما تَوَغّر صدرك لم تَضِق من الرِّقة علىّ من مُصيبة

(١) هو مطرف بن الشخير. والمعاذر : جمع معذرة بمعنى العذر، والمكاذب : جمع الكذب كالمحاسن والمقابح، وهو كقولهم : ان المعاذير يشوبها الكذب . (٢) هو ابراهيم النخعىّ .
(٣) فى الأصل : « سالم » وهو تحريف .

الحِرْمان؛ وإن قسوتَ رجعتْ بك عواطفُ من أياديك عندى نازعةٌ بك الى استتمامها لدىّ . ومن حدود فضائل الرؤساء مقابلةُ سُـوء من خُوّلوا بالإحسان . ولا نعمةَ على مُجْرِم اليـه أجزلُ من الظفر، ولا عقوبةَ لجرِيم أبلغُ من النـدم؛ وقد ظفِرتَ وندمتُ . كتبتُ وأنا على ما تُحِبّ بِشْراً[1] إن تغمدت زلّتى، وكما تُحب ضرّاً إن تركتَ إقالتى، وبخيرٍ فى كلتا الحالتين ما بقِيتَ .

وكتبتُ فى كتاب اعتذار واستعطاف : كم عسى أن يكون انتظارِى لعطفك ! وكم عسى أن يكون تمـاديك فى عتْبك؛ لولا أنى مضطرٌّ الى وصلك وأنت مطبوع على هجرى . لقد استحييتُ واستحييتَ من ذُلّى وعِزّك، وخَفْضى جَنَـاحى ونأْيِ بجانبـــك .

وفى كتاب آخر : قد أودعنى الله من نِعَمك مابَسَطنى فى القول مُدِلًّا به عليك، ووَكّد من حُرْمتى بك ماشفَع لى فى الذنوب اليك، وأعْلَقنى من أسبابك ما لا أخاف معــه نَبَوات الزمان علىّ فيك، وأمّنَنى بحلمك وأناتك بادرةَ غضبك؛ فأقدمتُ ثقةً بإقالتك إن عثَرتُ، وبتقويمك إن زُغتُ، وبأخذك بالفضل إن زَلَلتُ .

وفى كتاب اعتذار : أنا عليلٌ منذ فارقتُك؛ فإن تجمعْ علىّ العلّةَ وعتبَك أُقْدَحْ[2] . على أن ألم الشوق قد بلغ بك فى عقوبتى؛ وحضرنى هذا البيتُ على ارتجالٍ فوصلتُ به قولى :

لك الحــقُّ إن تَعْتِبْ علىّ لأننى * جَفَوتُ وإمّا تَغْتفِرْ فلك الفضلُ

أنهيتُ عذرى لأنتهىَ الى تَفَضُّــلك بقبوله وإن أُبَلّكَ[3] يَمْحُ إفراطى فى البرّ بك تفريطى فيه، والى ذلك ماأسألك تعريفى خبرَك لأرتاحَ اليه، وأستزيدُ اللهَ فى أمره لك .

---

(١) فى الأصل : «شرا» . (٢) أقدح : أهبط وأثقل . (٣) من هنا الى آخر الكتاب غير واضح فى الأصل وقد أثبتناه هكذا جهد ما وصلت اليه الطاقة، على أنا لم نعثر على هذا الكتاب فى مصدر آخر .

وفى فصل آخر :

أنا المُقِرّ بقصورى عن حقّك، وآستحقاق جفاءك، وبفضلك من عَذْلك أعوذ، فوالله لئن تأخر كتابى عنك، ما أستريد نفسى فى شكر مودّتك، ولطيف عنايتك. وكيف يَسْلاكَ أو يساك أخٌ مُغرَمٌ بك يراك زِينةَ مَشْهده ومَغيبه ! .

وكيف أنساك لا أيديك واحدةٌ * عندى ولا بالذى أوليتَ من نِعَمِ

وفى آخر الكتاب :

إذا آعتذر الصديقُ اليك يوما * من التقصير عذرَ أخٍ مُقِرِّ
فصُنْه عن عتابك وآعفُ عنه * فإن الصفح شيمةُ كلِّ حرِّ

وقال الخليل بن أحمد :

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتَنى * أو كنتُ أجهل[1] ما تقول عذَلتُكا
لكن جَهِلتَ مقالتى فعذلتَنى * وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكا

قيل لبُزُرْجِمِهر : ما بالُكم لا تُعاتِبون الجَهَلَةَ ، قال : لأنا لا نريد من العُمْيان أن يُبْصِروا .

وقال آبن الدُّمَيْنة :

بنفسى وأهلى مَنْ اذا عرَضُوا له * ببعض الأذى لم يَدْرِ كيف يُجِيب
ولم يعتذرْ عذرَ البرىء ولم تزل * به ضَعْفةٌ[2] حتى يقالَ مُرِيبُ

وكتب رجلٌ الى صديق له يعتذر : أنا من لا يُحاجُّك عن نفسه، ولا يُغالِطك عن جُرْمه، ولا يلتمس رضاك إلّا من جِهته، ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالذنب، ولا يستميلك إلّا بالاعتراف بالزَّلّة .

(١) فى الأصل : « أو كنت أعلم ما أقول عذلتكا » وهو خطأ من الناسخ . (٢) فى حماسة أبى تمام : « سكتة » . وفى بعض كتب الأدب : « بهتة » .

وقرأت فى كتاب: لستُ أدرى بأىّ شىء آستجزتَ تصديقَ ظنك حتى أنفذتَ علىّ به حكمَ قَطيعتك، فوالله ماصَدَق علىّ ولا كاد، ولا آستجزتُ ما توهّمتَه فيمن لا يلزمنى حقُّه . وأُعيذك بالله من بِدارٍ الى حكمٍ يُوجب الاعتذار، فإن الأناةَ سبيلُ أهــلِ التقى والنُّهى، والظنّ والإسراعَ الى ذوى الإخاء يُنتجان الجفاءَ، ويُميلان عن الوَفاءِ الى اللَّفَاء[1] .

قال إسماعيل بن عبد الله وهو يعتذر الى رجل فى آخر يوم من شعبانَ: والله فإنّى فى غُبّر[2] يومٍ عظيمٍ، وتلقاءَ ليلةٍ تَفْتَرّ عن أيامٍ عظامٍ، ما كان ما بلغك .

وقرأتُ فى كتاب معتــذرٍ : إنك تُحْسِن مجاورتَك للنعمة، وآستدامتَك لها، واجتلابَك مابَعُد منها بشكرِ ماقَرُب، واستمالَك الصفحَ لِمــا فى عاقبتِه من جميل عادة الله عندك؛ ستقبلُ العذر على معرفةٍ منك بشناعة الذنب، وتُقِيل العثرةَ وإن لم تكن على يقينٍ من صدق النيّة، وتدفع السيئةَ بالتى هى أحسن .

اعتــذر رجلٌ الى جعفر بن يحيى البرمكى، فقال له جعفر : قد أغنــاك الله بالعذر منّا عن الاعتذار، وأغنانا بالمودّة لك عن سوء الظن بك .

وقال بعض الشعراء :

إذا ما آمرؤٌ من ذنبه جاء تائبًا * إليك فلم تَغْفِر له فلك الذنبُ

كان الحسن بن زيد بن الحسن واليا للنصور على المدينة، فهجاه وَرْدُ بن عاصم المُبَرْسَم فقال :

له حقٌّ وليس عليــه حقٌّ * ومهما قال فالحَسَنُ الجميلُ
وقد كان الرسول يَرى حقوقا * عليــه لأهلها وهو الرسولُ

(١) اللفاء : اليسير الحقير، يقال : رضى فلان من الوفاء باللفاء، أى رضى من حقه الوافى بالقليل .
(٢) غبر يوم : بواقيه، جمع غابر .

فطلبه الحسن فهرب منه، ثم لم يشعر إلا وهو ماثلٌ بين يديه يقول :

سيأتي عُذرِىَ الحسنَ بن زيدٍ * وتَشْهَدُ لى بصِفِّينَ القبورُ
قبورٌ لو بأحمدَ أو علىٍّ * يلوذ مُجِيرها حُفِظ المُجِيرُ
هما أبَوَاكَ مَنْ وَضَعا تَضَعْه * وأنتَ برفع مارفعا جديرُ

فاستخفَّ الحسنَ كرمُه، فقام اليه فبسط له رداءَه وأجلسه عليه .

وفى كتابٍ لمعتذرٍ : عُلُوّ الرُّتبة واتّساعُ القدرة وانبساطٌ اليد بالسَّطوة ، ربما أنْستْ ذا الحَنَق المُحْفَظَ من الأحرار فضيلةَ العفو وعائدةَ الصَّفح ومافى إقالة المذنب واستبقائه من حسن السماع وجَميل الأُحدوثة ، فبعثته على شِفاء غَيْظه، وحركته على تبريد غُلته، وأسرعتْ به الى مُجَانبة طِباعه وركوبِ ما ليس من عادته . وهِمّتك تَجِلّ عن دناءة الحِقد، وترتفع عن لؤم الظَّفَر .

وفى فصل : نَبَتْ بى عنك غِرّة الحَدَاثة فردّتنى اليك الحُنْكة، وباعدتْنى عنك الثقةُ بالأيام فأدنتْنى اليك الضرورةُ، ثقةً بإسراعك الىّ وإن كنتُ أبطأتُ منك ، وقبولك العذرَ وإن كانت ذنوبى قد سدّت عليك مسالكَ الصَّفح؛ فأىُّ موقفٍ هو أدنى من هذا الموقف لولا أن المخاطبةَ فيه لك! وأىُّ خُطّةٍ هى أودَى بصاحبها من خُطّةٍ أنا راكبُها لولا أنها فى رِضاك ! .

أوقع الحجاج يوما بخالد بن يزيد يَعيبه وينتقِصُه(١) وعنده عمرو بن عُتْبة : فقال عمرو: إن خالدا أدرك مَنْ قبلَه وأتعب مَنْ بعده بقديمٍ غلَب عليه وحديثٍ لم يُسْبق اليه؛ فقال الحجاج معتذرا : يابن عُتْبة، إنا لنَسترضيكم بأنْ نَغضَبَ عليكم، ونستعطفكم

(١) الذى فى كتب اللغة : «وقع فيه : أعابه» .

بأن نال منكم، وقد غلَبتم على الحلم، فوثِقنا لكم به ، وعلِمنا أنكم تحبون أن تحلُمُوا ، فتعرّضنا للذى تحبّون .

قال المنصور لرجل أتاه تائبا معتـذرًا من ذنب : عهدِى بك خطيبا فما هذا السكوت ! فقال : يا أمير المؤمنين، لسنا وفدَ مُبَاهاة وإنما نحن وفد توبة، والتوبةُ تُتَلقّى بالاستكانة .

وقع بين أبى مسلم وبين قائد له كلام ، فأرْبَى عليه القائد الى أن قال له : يا لَقِيط ! فأطرق أبو مسلم، فلما سكنتْ عنه فَوْرةُ الغضبِ نَدِم وعلِم أنه قد أخطأ واعتذر وقال : أيها الأمير، والله ما انبسطتُ حتى بسطتَنى ولا نطقتُ حتى أنطقتَنى فاغفر لى؛ قال : قد فعلتُ؛ فقال : إنى أُحبّ أن أستوثِقَ لنفسى؛ فقال أبو مسلم: سبحان الله ! كنتَ تُسيء وأُحسِن، فلما أحسنتَ أُسيء ! .

قال الطّائى :

وكم ناكثٍ للعهدِ قد نَكَثتْ به * أمانيه واستخذَى بحقّك باطلُهْ
فخاطَ له الإقرارُ بالذنب روحَه * وجثمانَه اذ لم تَحُطْه قبائلُهْ

وقال آخر :

حتى متى لا تَزال معتـذرًا * من زلّة منك ما تُجانبُها
لا تَتّقِى عيبَها عليك ولا * ينهاك عن مثلِها عواقبُها
لَتَركُكَ الذنبَ لا تقارفه * أيسرُ من توبةٍ تقارِبُها

قال أعرابىٌّ لابن عمٍّ له : سأتخطّى ذنبَك الى عذرِك، وإن كنتُ من أحدهما على يقينٍ ومن الآخرِ على شك ؛ ليتمّ المعروفُ منّى اليك ، ولتقوم الحجّةُ منّى عليك .

عَتْبُ الإخوان والتباغُض والعداوةُ

حدّثنى الزِّيادىّ قال حدّثنا عبد الوارث عن يزيدَ بن القاسم عن مُعَاذة أنها سمعت هشامَ بن عامر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لا يَحِلّ لمُسلم أن يُصارِم مسلما فوقَ ثلاثٍ ، وأيّهما فعل فإنهما نا كِبَان عن الحقّ ما داما على صُرْمهما وإن ماتا لم يَدْخُلا الجنة" .

قال بعض الشعراء :

سَنّ الضغائنَ آباءٌ لنا سلَفوا * فلن تَبِيدَ وللآباء أبناءُ

هذا مثل قول أبى بكر الصّدّيق رضى الله عنه : العداوةُ تُتوارثُ .

وقرأتُ فى كتاب للهند : اذا كانت المَوْجِدة عن علّة كان الرضا مرجوًّا ، واذا كانت عن غير علة كان الرضا معدوما . ومن العجب أن يطلب الرجلُ رضا أخيه فلا يَرضى، وأعجبُ من ذلك أن يُسخِطَه عليه طلبُه رضاه .

قال بعض المحدّثين :

فلا تَلْهُ عن كسب وُدّ العدوّ * ولا تجعلنّ صديقًا عدوّا

ولا تغترِرْ بهُدُوّ امرئٍ * اذا هِيج فارق ذاك الهدوّا

وقال آخر :

احذَرْ مودّةَ ماذِقٍ (١) * شابَ المرارةَ بالحلاوه

يُحصِى العيوبَ عليك أيّام الصداقةِ والعداوه

وقال أبو الأسود الدُّؤَلىّ :

اذا المرءُ ذو القربى وذو الضِّغْنِ أجحفت * به سَنَةٌ حَلّتْ مصيبتُه حِقْدِى

---

(١) المـاذق : الذى يشوب الودّ بكدر ولا يخلصه .

وقال محمد بن أبان اللّاحِق لأخيه إسماعيلَ :

تلومُ على القطيعة مَن أتاها * وأنت سَننتَها فى الناس قبْلِي

وقال آخر :

ورُوّعتُ حتى ما أراعُ من النّوى * وإن بان جِيرانٌ علىّ كِرامُ
فقد جعلتْ نفسى على اليأس تنطوِى * وعَيْنى على هجر الصديق تنامُ

قال أحمدُ بن يوسف الكاتب :

ما على ذا كنّا ٱفترقْنا بسِنْدا[1] * دَ ولا بيننا عقَدْنا الإخاءَ
نطعنُ الناسَ بالمُثقَّفةِ السُّمْـ * ـرِ على غدْرهم وننسى الوفاءَ

قيل لأفلاطون : بماذا ينتقم الإنسانُ من عدوّه ؟ قال : بأن يزداد فضلا فى نفسه .

وكان يقال : احذرْ مُعاداة الذليل، فربما شَرِق بالذّباب العزيزُ .

كتب رجل من الكتّاب الى صديقٍ له تجنّى عليه :

عَتبْتَ علىّ ولا ذنبَ لِى * بما الذنبُ فيه ولا شكّ لَكْ
وحاذرتَ لَومى فبادرتَنى * الى اللومِ من قبل أن أبْدُرَكْ
فكنّا كما قيل فيما مضى * خُذِ اللصَّ من قبل أن يأخُذَكْ

وقال آخر :

رأيتُك لمّا نِلتَ مالًا، ومَسّنا * زمانٌ ترى فى حدّ أنيابه شَغْبا[2]
جعلتَ لنا ذنبًا لتمنعَ نائلًا * فأمسِكْ ولا تجعل غِناك لنا ذنبا

(١) سداد : اسم موضع . (٢) الشعب : تهييج الشرّ، وفى الأصل : «شعبا» .

وقال آخر :

تُرِيدين أن أرضَى وأنتِ بخيلةٌ * ومَنْ ذا الذى يُرضِى الأخلّاءَ بالبخلِ
وجَدِّكِ لا يَرضَى (١) اذا كان عاتبا * خليلُكِ إلا بالمودّةِ والبَذْلِ
متى تجبى مِنّا كثيرًا ونائلًا * قليلا يُقَطِّعْ ذاك باقيةَ الوصلِ

كتب رجل الى صديقٍ له :

لئن ساءنِى أن نِلتنِى بمَساءةٍ (٢) * لقد سرّنى أنّى خطرتُ ببالكِ

وقال آخر :

إذا رأيتُ آزورارا من أخى ثقةٍ * ضاقتْ علىّ برُحْبِ الأرض أوطانى
فإن صددتُ بوجهى كى أُكافئه * فالعينُ غَضْبَى وقلبى غيرُ غضبانِ

وقال إبراهيمُ بن العباس :

وقد غضِبتُ فما بالَيتُمُ غضبِي * حتى آنصرفتُ بقلبٍ ساخطٍ راضِى

وقال زُهيرٌ :

وما بك فى عدوٍّ أو صديقٍ * تُخَبِّرُك العيونُ عن القلوبِ

وقال دُرَيْد :

وما تَخْفَى الضغينةُ حيث كانت * ولا النظرُ الصحيحُ من السقيمِ

وقال آبن أبى خازم :

خُذْ من الدهر ما كَفَى * ومن العيش ما صفا
لا تُلِحَّنَّ بالبكا * ء على منزلٍ عفا

---

(١) فى الأصل : «وجدتك لا ترضى» . (٢) هذا البيت من قصيدة لابن الدمينة مطلعها :

قفى يا أميم القلب نقض لبانة * ونشك الهوى ثم افعلى ما بدالك

حَلَّ عنـــك العتاب إن * خان ذو الـودّ أو هفـا
عينُ من لا يُحِبّ وصـ * ـلَك تُبدى لك الجفـا

وقال أعرابىّ يذكر أعداءً :

يُزَمِّلُون[1] جَنِينَ الضِّغنِ بينهـم * والضِّغنُ أَشوهُ أو فى وجهه كَلَفُ[2]
إن كاتَمونا القِلَى نمّت عيونُهـم * والعينُ تُظْهِر ما فى القلب أو تَصِفُ

وقال آبنُ أبى أميّة :

كم فَرْحةٍ كانت وكم تَرْحةٍ تخرصَتْها لِىَ فيـكَ الظنونْ
اذا قـلوبٌ أظهـرت غيرَما * تُضمره أنبتْـك عنها العيونْ

وقال آخر :

أما تُبْصِـر فى عيـنَىَّ عُنوانَ الذى أُبدى

وقال آخر :

ومولًى كأنّ الشمس بينى وبينه * اذا ما آلتقينا ليس ممّن أُعاتبُهْ

يقول : لا أقدر [أن] أنظر اليه، فكأن الشمس بينى وبينه . ومثلُه :

اذا أبصرتَنى أعرضتَ عنّى * كأنّ الشمس من قِبَلِى تدورُ

وقال النَّمِر بن تَوْلَب فى الإعراض :

فصدّتْ كأنّ الشمس تحت قِناعِها * بَدا حاجِبٌ منها وضَنّتْ بحاجِبِ

أخذه أبو نواس فقال :

يا قمرا للنِّصفِ من شَهْرِهِ * أبدى ضِياءً لثمانٍ بَقِينْ

يريد أنه أعرض بوجهه فبدا له نصفُه .

---

(١) زمل الشىء : أخفاه . (٢) الكلف : شىء يعلو الوجه كالسمسم و يعرف بالنمش .

وقال آخر فى الضغينة :

وفينا وإن قيل اصطلحنا تضاغنٌ * كما طَرّ أوبارُ الجراب على النَّشْرِ (١)

وقال آخر فى نحوه :

وقد ينبُتُ المرعَى على دِمَنِ الثَّرَى * وتبقَى حَزَازاتُ النفوس كما هِيَاَ

وقال الأخطل :

إنّ الضغينةَ تلقاها وإن قَدُمتْ * كالعُرِّ (٢) يكْمُنُ حينا ثم ينتشرُ

شُمْسُ العَداوةِ حتى يُستقادَ لهم * وأعظمُ الناسِ أحلاما اذا قَدَروا

وقرأتُ فى كتابِ للهنـد : ليس بين عداوةِ الجوهريّة صلحٌ إلا ريثما ينتكثُ، كالمـاء إن أُطيل إسخانُه فانه لا يمتنع من إطفاء النار اذا صُبّ عليها .

قال سـعد بن أبى وقّاص لعمّار بن ياسر : إن كنا لنعدُّك من أكابر أصحاب محمد صلى الله عليه وسـلم، حتى اذا لم يبق من عمرك إلا ظِمْءُ (٣) الحمـار فعلتَ وفعلتَ؛ قال : أيّما أحبُّ اليك : مودّةٌ على دَخَلٍ أو مُصارمةٌ جميلة ؟ قال : مصارمةٌ جميلةٌ؛ قال : لله علىّ ألّا أُكلّمكَ أبدا .

وقال بعضُ الشعراء فى صديقٍ له تغيّر :

إحوَلَّ (٤) عنّى وكان ينظرُ من * عينى ويَرمى بساعدى ويَدى

(١) النشر : الكلأ يهيج أعلاه وأسفله ندىّ أخضر تدوى منه الابل (يكثر وبرها وشحمها) اذا رعته؛ كذا ذكره صاحب اللسان فى مادة (نشر)، وقد ساق هذا البيت فى أبيات لعمير بن حباب، وقال فى تفسيره : يقول : ظاهرنا فى الصلح حسن فى مرآة العين وباطننا فاسد كما تحسن أوبار الجرب عن أكل النشر وتحتها داء منه فى أجوافها . قال أبو منصور : وقيل النشر فى هذا البيت : نشر الجرب بعد ذهابه ونبات الوبر عليه حتى يخفى . قال : وهذا هو الصواب . يقال : نشر الجرب ينشر نشرا ونشورا اذا حيى بعد ذهابه» ا هـ .

(٢) العرّ : الجرب . (٣) يقال : ما بقى منه إلا قدر ظمء الحمار أى لم يبق من عمره إلا اليسير لأنه يقال : إنه ليس شىء من الدواب أقصر ظمأ من الحمار وهو أقل الدواب صبرا على العطش يرد الماء كل يوم فى الصيف مرتين . (٤) احولت عينه بمعنى حولت ، والمراد الإعراض والانصراف .

وقال المُثَقَّب العَبْدِىّ :

ولا تَعِدِى مواعِدَ كاذباتٍ * تمرّ بها رياحُ الصيفِ دونِى
فإنى لو تُعانِدنى شِمَـالِى * عِنادَكِ ما وصلتُ بها يمينى
اذًا لقطعتُهـا ولقلتُ بِينِى * كذلك أجتوِى مَنْ يجتوِينى

وقال الكُمَيْت :

ولكنّ صبرًا عن أخٍ عنك صابرٍ[1] * عَزاءً اذا ما النفس حَنّ طَرُوبُها
رأيتُ عذابَ المـاءِ إن حِيل دونها * كفاك لِمـا لا بُدّ منه شَرُوبُهـا[2]
وإن لم يكن إلا الأسِنّةَ مركبٌ * فلا رأىَ للمَجْهـــود[3] إلا ركوبُها

وقرأت فى كتابٍ للهند : العدوّ اذا أحدث صداقة لعلةٍ ألجأته اليها فمع ذهابِ العلة رجوع العداوة، كالمـاء يسخن فاذا رُفِعَ عاد باردا .

قال محمد بن يزداد الكاتب : اذا لم تستطع أن تقطعَ يدَ عدوّك فقبّلها .

قال الشاعر :

لقـــد زادنى حبًّـا لنفسىَ أننى * بغيضٌ الى كل آمرِئٍ غيرِ طائلِ
اذا ما رآنى قَطَّـعَ الطرفَ دونَه * ودُونِىَ فعـلَ العارفِ المتجاهلِ
ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنهـا * من الضِّيق فى عينيه كِفّةُ حابلِ

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اعتزِلْ عدوّك وآحذرْ صديقَك إلا الأمينَ، ولا أمينَ إلا من خشِىَ اللهَ .

الهيثم عن آبن عيّاش قال: أخبرنى رجل من الأَزْد قال: كنا مع أسد بن عبدالله بخراسانَ، فبينا نحن نسير معه وقد مَدّ نهرُ بَلْخ فجاء بأمرٍ عظيم لا يوصفُ، وإذا رجل

(١) كذا فى كتاب الشعر والشعراء (ص ٣٧١ طبع أوروبا) . وفى الأصل : «ملك» .
(٢) الشروب والشريب : المـاء بين العذب والملح وليس يشرب به الناس إلا للضرورة . (٣) فى كتاب الشعر والشعراء : « للمضطر » وهى الرواية المشهورة .

يضربه الموج وهو ينادى : الغريقَ الغريقَ ! فوقف أسد وقال : هل من سابح ؟ فقلت : نعم، فقال : ويحك ! الحقِ الرجلَ ! فوثبتُ عن فرسى وألقيتُ عنّى ثيابى ثم رميتُ بنفسى فى الماء، فما زلتُ أسبحُ حتى إذا كنت قريبا منه قلت : ممن الرجلُ؟ قال : من بنى تميم؛ قلت : امضِ راشدًا، فوالله ما تأخرتُ عنه ذراعا حتى غَرِق : فقال ابن عياش : فقلت له : ويحك ! أما اتقيتَ الله ! غرَّقتَ رجلا مسلما ! فقال : والله لو كانت معى لبِنةٌ لضربتُ بها رأسَه .

طاف رجلٌ من الأزد بالبيت وجعل يدعو لأبيه؛ فقيل له : ألا تدعو لأمّك؟ فقال : إنها تميميةٌ .

وقرأت فى كتابٍ للهند : جانب الموتورَ[1] وكن أحذرَ ما تكون له ألطفَ ما يكون بك، فإنّ السلامةَ بين الأعداءِ توحُّشُ[2] بعضهم من بعض، ومن الأنس والثقةِ حضورُ آجالهم .

أراد الملكُ قتلَ بُزُرْجِمْهر وأن يتزوّج ابنته بعد قتله؛ فقال : لو كان مِلكُكم حازما ما جعل بينه وبين شعاره موتورة .

قال أبو حازم : لا تُعَاديَنّ رجلا حتى تنظر الى سَريرته؛ فإن تكن له سريرةٌ حسنةٌ فإن الله لم يكن يخذله بعداوتك إياه، وإن كانت سريرته رديئةً فقد كفاك مساويَه، لو أردتَ أن تعمل بأكثرَ من معاصى الله لم تقدِر .

قال رجل : إنى لأغتنم فى عدوّى أن أُلقِيَ عليه النملةَ وهو لا يشعُر لتؤذيَه .

وقال الأفوه الأوْدىّ :

بلوتُ الناسَ قرنا بعد قرنٍ * فلم أر غيرَ خَلّابٍ وقالِى

وذُقتُ مرارةَ الأشياءِ جمعا * فما طعمٌ أمرُّ من السؤالِ

ولم أر فى الخطوب أشدَّ هولًا * وأصعبَ من مُعاداةِ الرجالِ

(١) فى الأصل : «توحشة» . (٢) رويت هذه الحكاية برواية أخرى فى العقد الفريد ج ١ ص ٧٩

وقال آخر :

بلاءٌ ليس يشــبهه بلاءٌ * عداوةُ غيرِ ذى حسبٍ ودِينِ
يُبيحكَ منه عِرضا لم يَصُنه * ويرتعُ منك فى عِرضٍ مصون

شمـاتة الأعـــــداء

بلغ عمرو بن عتبة شماتةُ قومٍ به فى مصائبَ؛ فقــال : والله، لئن عظُم مُصابنا بموت رجالنا لقد عظُمتِ النعمةُ علينا بما أبقى الله لنا : شُبّاناً يَشُبّون الحروبَ، وسادةً يُسْدُون المعروفَ، وما خُلقنا ومَنْ شَمِتَ بنا إلا للموت .

قيل لأيوبَ النبيّ عليه السلام : أىّ شىء كان أشدَّ عليك فى بلائك ؟ قال : شماتةُ الأعداء .

اشتكى يزيدُ بن عبد الملك شَكاةً شــديدةً وبلغه أنّ هشاما سُرَّ بذلك ، فكتب الى هشام يعاتبه، وكتب فى آخر الكتاب :

تمنّى رجالٌ أن أموتَ، وإن أَمُتْ * فتلك سبيلٌ لستُ فيهــا بأوحدِ
وقد علِموا، لو ينفعُ العلمُ عندهم ، * متى مِتُّ ما الداعِى علىّ بمُخْــلَدِ
مَنِيّتُــه تجرِى لوقتٍ وحتفُــه * يصــادفُه يوما على غير مَوعِدِ
فقل للذى يبغى خِلافَ الذى مضى * تهيّأْ لأخرى مثــلِها فكأنْ قَــدِ

وقال الفرزدقُ :

اذا ما الدهرُ جرّعلى أُناسٍ * حوادثَه أناخ بآخرينــا
فقل للشامتين بنا أَفِيقُوا * سيلقَى الشامتون كما لَقِينا

أُغِير على رجلٍ من الأعراب فنُهِب بإبله فقال :

لا والذى أنا عبدٌ فى عِبادته * لولا شماتةُ أعداءٍ ذوِى إحَنِ
ما سرّنى أنّ إبْلِى فى مَبَارِكها * وأنّ شيئاً قضاه الله لم يكنِ

وقال عدىّ بن زيد العِبادىّ :

أَرَواحٌ مُودِّعٌ أم بُكورُ * لكَ فانظُر لأىّ حالٍ تَصيرُ
وابيضاض السوادِ من نُذُرِ المو * تِ فهل بعده لإنسٍ نَذيرُ
أيها الشامتُ المعيِّرُ بالده * رِ أأنتَ المبرّأُ الموفورُ
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيـ * ـام أم أنت جاهلٌ مغرورُ
مَن رأيتَ المنونَ خلّدن أم مَنْ * ذا عليه من أن يُضامَ مُجيرُ
أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشر * وانُ أم أين قبله سابورُ (١)
وأخو الحَضْرِ (٢) إذ بناه وإذ دجـ * ـلةُ تُجبَى إليه والخابورُ (٣)
شادَهُ مَرمرًا وجلّله كِلْ * سًا (٤) فللطيرِ فى ذُراه وُكورُ
لم يَهَبْه ريبُ المنونِ فباد الـ * ـملكُ عنه فبابُه مهجورُ
وتبيّنْ ربَّ الخَوَرنقِ إذ أشـ * ـرفَ يوما وللهُدَى تفكيرُ
سرّه حالُه وكثرةُ ما يمـ * ـلكُ والبحرُ مُعرِضًا (٥) والسَّدِيرُ
فارعَوى قلبُه فقال وما غِبـ * ـطةُ حىٍّ الى المماتِ يصيرُ
ثم بعد الفلاحِ والمُلكِ والنّعـ * ـمةِ (٦) وارَتْهُمُ هناك القبورُ
ثم أضحَوْا كأنهم وَرَقٌ جَفْـ * ـفَ فألوَتْ به الصَّبا والدَّبُورُ

(١) سابور الجنود وهو ابن أردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز، وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنوشروان . (٢) الحضر : قصر بحيال تكريت بين دجلة والفرات، ويعنى بأخيه الضيزن بن معاوية بن العبيد، وخبر قصرى الحضر والخورنق مذكور فى الأغانى ج ٢ ص ١٤٠ — ١٤٦ طبع دار الكتب المصرية . (٣) الخابور : اسم نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة . (٤) الكلس : الصاروج وهو النورة التى تطلى بها المنازل . (٥) معرضا : متسعا، ومنه أعرض الثوب أى اتسع وعرض . (٦) فى الأغانى ج ٢ ص ١٣٩ : «والإمّة» وهو بمعناها .

قال ابن الكلبي : لما قُبِض النبيّ صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساءٌ من كندة وحضرموت فخَضَبْن أيديهنّ وضربْنَ بالدفوف، فقال رجل منهم :

أبلغْ أبا بكرٍ اذا ما جئتَــه * أنّ البغـايا رُمْنَ أىّ مَرامِ
أظهـرن من موت النبيّ شماتة * وخضــبن أيديهـــنّ بالعُــلّام (١)
فاقطعْ، هُدِيتَ، أكفَّهنّ بصارمٍ * كالبرقِ أومضَ من متون غمـامِ

فكتب أبو بكر الى المهاجر عامله، فأخذهنّ وقطّع أيديهنّ .

وقرأت فى كتاب ذُكر فيه عدوّ : فإنه يتربّص بك الدوائرَ، ويتمنّى لكَ الغوائلَ، ولا يؤمّل صلاحًا إلا فى فسادك، ولا رِفعةً إلا فى سقوط حالك والسّلام .

---

(١) العلام بالتشديد : الحناء، عن ابن الأعرابى .

وجد بالأصل فى آخر هذا الكتاب ما نصّه :

آخر كتاب الإخوان، وهو الكتاب السابع من عيون الأخبار، تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِىّ رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرىّ، وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة . وصلى الله على سيدنا محمد النبىّ وآله الطاهرين .

وفى هذه الصفحة عينها وجد ما يأتى — وهو من زيادة الناسخ — :

قيل قدم المهدى أمير المؤمنين، وقيل الرشيد(١)، فتلقّاه الناس، وتلقّاه أبو دُلَامة فى جملة الناس، فأنشده :

إنى نذرتُ لئن رأيتُك سالمـا * بقُرَى العراق وأنت ذو وَفْـرِ
لتصلّيَنْ على النبىّ محمـد * ولتملأَنْ دراهمًا حِجْـرى

فقال له أمير المؤمنين : أما الأولى فنعمْ . اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وأما الأخرى فلست أفعل، فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ما نذرت إلا الاثنين، فضحك وأمر حتى ملئوا حِجْرَه دراهم .

شاعر(٢) :

ولقد تنسمتُ الرياحَ لحاجتى * فاذا لها من راحتيكَ نسيمُ
ولربّما استيأستُ ثم أقول لا * إن الذى ضمن النجاحَ كريمُ

---

(١) لم يدرك أبو دلامة خلافة الرشيد إذ أنه توفى سنة إحدى وستين ومائة ، وتولى الرشيد الخلافة سنة سبعين ومائة، ثم قال ابن خلكان : ويقال إنه عاش الى أيام الرشيد .

(٢) هو أبو العتاهية .

كتاب الحوائج

استنجاح الحوائج[1]

حدثني أحمدُ بن الخليل قال حدثنا محمدُ بن الحَصِيب قال حدثني أوسُ بن عبد الله بن بُرَيدَةَ عن أخيه سهل بن عبد الله بن بُرَيدة عن بُرَيدَةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اِسْتَعِينُوا على الحوائج بالكتمان فإنّ كلّ ذي نِعمةٍ محسودٌ".

قال خالدُ بن صفوان : لا تطلُبوا الحوائجَ في غير حينها، ولا تطلبوها الى غير أهلها، ولا تطلُبوا ما لستم له بأهلٍ فتكونوا للنع خُلَقاءَ .

قال شبيبُ بن شيبةَ : إنّي لأعرف أمرًا لا يتلاقَى به آثنان إلّا وجب النُّجْحُ بينهما؛ فقال له خالدُ بن صفوانَ : ما هو ؟ قال : [العقل، فإنّ][2] العاقل لا يَسأل مالا يجوز ولا يُرَدُّ عما يُمكن، فقال له خالد : نَعَيْتَ الىّ نفسى ! إنّا أهلُ بيتٍ لا يموتُ منا أحدٌ حتى يرى خَلَفَه .

---

(١) الحوائج : جمع حاجة على غير قياس ، وجمعها القياسي : حاج وحاجات ، وقد أنكر الأصمعي حوائج وقال هو مولد . قال الجوهري : وإنما أنكره لخروجه عن القياس وإلا فهو كثير في كلام العرب ، ثم استشهد بكثير من الشعر وأحاديث ذكرها المؤلف هنا . والنحويون يزعمون أنه جمع لواحد لم ينطق به وهو حائجة . وذكر بعضهم أنه سمع حائجة لغة في الحاجة . (٢) التكملة من العقد الفريد ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

أبو اليقظان قال : كان بنو رَبيعة — وهم من بنى عِسْلِ بن عمرو بن يربوع —[1] يُوصونَ أولادهم فيقولون : استعينوا على الناس فى حوائجكم بالتثقيل عليهم، فذاك أنجح لكم .

قال الشاعر :

هَيبـةُ الإخوان مَقْطَعـةٌ * لأخى الحاجاتِ عن طَلَبِهْ
فإذا ما هِبتَ ذا أَمَـلٍ * مات ما أمّلتَ من سببِهْ

وقال أبو نُوَاس :

وما طالبُ الحاجاتِ ممّن يَرومُهـا[2] * من الناس الا المُصبِحونَ على رِجْلِ
تأنّ مواعيـدَ الكرامِ فربّمـا * أصبتَ من الإلحاح سَمْحًا على بُخْلِ

والبيتُ المشهور فى هذا :

إنّ الأمورَ اذا انسدّتْ مَسَالِكُها * فالصـبرُ يفتحُ[3] منها كلّ ما ارْتُتِجـا
أخلِقْ بذي الصبر أن يحظَى بحاجته * ومُدمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يلِجَا
لا تيأسَنّ وإن طالتْ مُطالبةٌ * إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترى فرجَا

وقال آخرُ :

إنّى رأيتُ، وللأيّامِ تجـربةٌ، * للصبرِ عاقبـةً محمـودةَ الأثرِ
وقلّ مَنْ جَدّ فى أمرٍ يُطالبه[3] * واستصحبَ الصبرَ إلّا فاز بالظّفَرِ

---

(١) ورد هذا الاسم بالأصل محرفا هكذا : « غسان » وصوابه كما أثبتناه (انظر القاموس وشرحه مادة عسل) . (٢) روى هذا فى اللسان مادة رجل هكذا :

* ولا يدرك الحاجات من حيث تبتغى *

(٣) فى العقد الفريد ج ١ ص ٨٩ : « يجاوله » .

والعرب تقول : «رُبَّ عَجَلَة تَهَبُ رَيْثًا» . يريدون أن الرجل قد يَخْرَقُ ويعجل فى حاجته فتتأخّر أو تبطل بذلك . وتقول : «الرَّشْفُ أَنْقَعُ» . يريدون أن الشراب الذى يُترَشَّفُ رُويدًا رُويدًا أقطعُ للعطش وإن طال على صاحبه .

وقال عامر بن خالد بن جعفر ليزيدَ بنِ الصَّعِق :

إنك إن كلّفتنى ما لم أُطِـقْ * ساءكَ ما سرَّكَ مِنّى من خُلُقْ

وكانوا يَستنجحُون حوائجهم بركعتين يقولون بعدهما : اللهم إنّى بكَ أستفتِـحُ ، وبكَ أستنجحُ ، وبمحمّد نبيك اليك أتوجّه ، اللهم ذَلِّل لى صعوبتَه ، وسَهِّل لى حُزُونَتَه ، وآرزُقنى من الخير أكثرَ مما أرجُو ، وآصرِف عنّى من الشّر أكثرَ مما أخاف .

وقال القَطامىُّ :

قد يُدرِكُ المتأنّى بعضَ حاجتِه (١) * وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

عمرو بن بحرٍ عن إبراهيم بن السِّنْدىّ قال : قلت فى أيام ولايتى الكوفةَ لرجلٍ من وجوهها ، كان لا يجِفُّ لِبْدُه ولا يستريح قلبه (٢) ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الرجال وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلا مُفَوّها ، خبِّرنى عن الشىء الذى هوّن عليك النَّصَبَ وقوّاكَ على التعب ما هو؟ قال : قد والله سمعتُ تغريدَ الطير بالأسحار ، فى أفنان الأشجار ، وسمعتُ خَفْقَ أوتارِ العيدان ، وترجيعَ أصوات القِيانِ الحسان ، ماطرِبتُ من صوتٍ قطُّ طربى من ثناء حسنٍ بلسانٍ حسنٍ على رجلٍ قد أحسن ، ومن شكرِ حُرٍّ لمنعِمٍ حُرٍّ ، ومن شفاعة مُحتَسِبٍ لطالبٍ شاكر . قال إبراهيم : فقلتُ : لله أبوك لقـد حُشيتَ كرما فزادكَ الله كرما ، فبأىّ شىء سَهُلَتْ عليـك المعاودةُ والطلبُ؟

(١) كذا فى ديوان القطامى وهى الرواية المشهورة فى كتب الأدب . وفى الأصل : * قد يدرك المتأنى بعدَ حاجته * وهى رواية جيدة .

(٢) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٨٦ ، وفى الأصل : «قلبه» .

قال: لأني لا أملّ المجهودَ ولا أسأل ما لا يجوز، وليس صدقُ العذر أكرَهَ إليّ من إخلاف الوعد، ولستُ لإكداء السائل أكره مني للإلحاف بالمسئول، ولا أرى الراغبَ وجبَ عليّ حقًّا للذي قدّم من حسن ظنه من المرغوب إليه الذي احتمل من كَلِّه(١).
قال إبراهيم: سمعتُ كلامًا قطُّ أشدَّ موافقةً لموضعه ولا أليقَ بمكانه من هذا الكلام.

وقال مُصعبٌ:

في القوم مُعتصِمٌ بقوة أمره * ومُقصِّرٌ أودى به التقصيرُ
لا ترضَ منزلةً لذليل ولا تُقِمْ * في دار مَعجِزةٍ وأنت حسيرُ
وإذا هممتَ فامضِ همَّك إنما * طلبُ الحوائج كلُّه تغريرُ

وكان يقال: إذا أحببتَ أن تُطاع، فلا تسألْ ما لا يُستطاع.
ويقال: الحوائج تُطلَبُ بالرجاء، وتُدرَكُ بالقضاء.

الاستنجاح بالرّشوة والهديّة

حدثني زيد بن أخزم عن عبد الله بن داود قال: سمعتُ سفيانَ الثوريَّ يقول: إذا أردتَ أن تزوّج فأهدِ للأم. والعرب تقول: «من صانَع(٢) لم يحتشم مِنْ طلب الحاجة».

قال ميمون بن ميمون: إذا كانت حاجتُك إلى كاتب فليكن رسولَك الطمعَ.
وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: نعم الشيءُ الهديّةُ أمامَ الحاجةِ.

(١) الكَلّ بالفتح: عيال وثقل من كل ما يتكلف. (٢) صانع: هادى.

وقال رؤبة:

لمّا رأيتُ الشُّفعاءَ بلَّدوا[1] * وسألوا أميرَهم فأنكدوا[2]
نامستُهم[3] برشوةٍ فأقردوا[4] * وسهّل الله بها ما شدّدوا

وقال آخر[5]:

وكنتُ إذا خاصمتُ خصماً كببتُه * على الوجه حتى خاصمتني الدراهمُ
فلما تنازعنا الخصومةَ غُلِّبتْ[6] * عليّ وقالوا قم فإنك ظالمُ

والعرب تقول في مثل هذا المعنى «مَنْ يَخطُبِ الحَسْناءَ يُعطِ مَهرًا» يريدون من طلب حاجةً مُهِمّةً بذل فيها.

وقال بعض المحدَثين:

ما من صديقٍ وإن تمّت صداقته[7] * يومًا بأنجحَ في الحاجات من طَبَقِ
إذا تلثّم[8] بالمنديل منطلقًا * لم يَخشَ نَبْوةَ بوّابٍ ولا غَلَقِ
لا تُكذِبَنَّ[9] فإنّ الناس مُذْ خُلِقوا * لرغبةٍ يُكرمون الناسَ أو فَرَقِ

وقال آخر:

ما أرسل الأقوامُ في حاجةٍ * أمضى ولا أنجحَ من درهمِ
يأتيك عفوًا بالذي تشتهي * نِعمَ رسولُ الرجلِ المسلمِ

(١) يقال: بلد الرجل إذا لم يتجه لشيء، وبلد إذا كسل في العمل وضعف. (٢) أي منعوا الحاجة ولم يعطوا. (٣) يقال: نامس الرجل صاحبه منامسة ونماسا إذا ساوره. (٤) يقال: أقرد الرجل وقرد إذا ذلّ وخضع. (٥) هو رجل من ولد طلبة (ضبط في الكامل بفتح الطاء وسكون اللام وكسرها واقتصر في المعارف على كسر اللام) بن قيس بن عاصم (انظر الكامل للمبرد ج ١ ص ٨٤ طبع أوربا). (٦) يقال غلب الرجل على صاحبه إذا حكم له عليه بالغلبة. (٧) في المحاسن والأضداد للجاحظ ص ٣٦٧ طبع أوربا. «أبدى مودّته». (٨) في المحاسن والأضداد «تقنّع». (٩) في المحاسن والأضداد «لا تكثرنّ».

الاستنجاح بلطيف الكلام

حدّثني سهلُ بن محمد عن الأصمعيّ قال : دخل أبو بكر الهَجَريّ على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين نَغِصَ فِيَّ[1] وأنتم أهل بيت بركة، فلو أذنتَ لي فقبّلتُ رأسك لعل الله يُشَدِّدُ لي منه . فقال أبو جعفر : اختر منها ومن الجائزة . فقال : يا أمير المؤمنين، أهون عليّ من ذهاب درهم من الجائزة ألّا تبقى في فمي حاكّة[2] .

قال أبو حاتم وحدّثنا الأصمعيّ عن حنيف قال: كنتُ أرى أنّه ليس في الدنيا رُقية إلا رقية الحيّات ، فإذا رقية الخبز أسهلُ . يعني ما يتكلّفه الناسُ من الكلام لطلب الحيلة .

قال رجلٌ للفضل بن سَهْل يسأله :الأجلُ آفةُ الأمَل، والمعروفُ ذخيرةُ الأبد، والبِرُّ غنيمةُ الحازم، والتفريطُ مصيبةُ ذي القدرة ؛ فأمَر وهبًا كاتبَه أن يكتُبَ الكلماتِ . ورفَع[3] اليه رُقعةً فيها . يا حافظ مَنْ يُضَيِّع نفسَه عنده ، ويا ذاكر مَنْ ينسَى نصيبَه منه ، ليس كتابي إذا كتبتُ آستبطاءً، ولا إمساكي إذا أمسكتُ آستغناءً، لكنّ كتابي إذا كتبتُ تذكرةٌ لك ، وإمساكي إذا أمسكتُ ثِقَةٌ بك .

وقال رجل لآخر : ما قصَرتْ بي همّة صيّرتني اليك ، ولا أخّرني آرتيادٌ دلّني عليك ، ولا قَعَد بي رجاءٌ حداني الى بابك . وبحَسْبِ معتصمٍ بك ظَفَرٌ بفائدةٍ وغنيمةٍ ، ونُجْحٌ في مؤمَّلٍ وسَعْيٍ .

دخل الهُذَيل بن زُفَر على يزيد بن المُهلَّب في حَمَالاتٍ[4] لَزِمتْه ، فقال له : قد عظُمَ شأنُك عن أن يُستعان بك أو يُستعان عليك ، ولستَ تصنع شيئًا من المعروف إلا وأنت أكبرُ منه . وليس العَجَبُ أن تفعل ، وإنما العجبُ من ألّا تفعل .

(١) نغص : نغص به أي غضب وتحرك . (٢) الحاكة : السنّ لأنها تحك صاحبتها أو تحك ما تأكله ، صفة غالبة . (٣) في الأصل : « ورقع » . (٤) الحمالات جمع حمالة (بالفتح) وهي ما تحمله الإنسان من دية أو غرامة .

قال الحمدونى فى الحسين بن أيوب وأبى النضرة :

قُلْ لابنِ أيوبَ قد أصبحتَ مأمولا ... لا زال بابك مَغشيًّا ومأهولا
إن كنتَ فى عُطلةٍ فالعذرُ متّصلٌ ... وصلٌ إذا كنتَ بالسلطانِ موصولا
شرُّ الأخلاءِ مَنْ ولّى قفاه إذا ... كان لمولًى وأعطى البِشرَ معزولا
مَنْ لم يُسَمِّنْ جوادًا كان يركبُهُ ... فى الخصبِ قدّمه فى الجدبِ مهزولا
افْرغْ لحاجاتنا ما دمتَ مشغولا ... لو قد فرغتَ لقد أُلفيتَ مبذولا

وقال آخر :

ولا تعتذرْ بالشغلِ عنّا فإنما ... تناطُ بك الآمالُ ما اتّصل الشغلُ

وأتى رجلٌ بعضَ الولاة، وكان صديقَه، فتشاغل عنه، فتراءى له يومًا، فقال: اعذرنى فإنى مشغول، فقال: لولا الشغلُ ما أتيتُك.

وكتب رجلٌ إلى صديقٍ له : قد عرضتْ قِبَلَك حاجةٌ، فإن نجحتْ بك فالفانى منها حظّى والباقى حظُّك، وإن تتعذرْ فالخيرُ مظنونٌ بك والعذرُ مُقدَّمٌ لك.

وفى فصلٍ آخر : قد عذرك الشُّغلُ فى إغفالِ الحاجةِ وعذرنى فى إذكارك .

وفى فصل آخر: قد كان يجب ألّا أشكوَ حالى مع علمك بها، ولا أقتضيك عمارتَها بأكثرَ من قدرتك عليها، فربّما نيلَ الغنى على يدَىْ مَنْ هو دونك بأدنى من حُرمتى. وما أستصغرُ ما كان منك إلا عنك، ولا أستقلّه إلا لك .

وقال آخر: إن رأيتَ أن تَصطنعَ يدًا تصنيعه باقٍ ذكرُها جميلٍ فى الدهر أثرُها، تغتنمُ غِرّةَ الزمان فيها وتُبادر فوتَ الإمكان بها، فافعل .

قدم على زيادٍ نفرٌ من الأعراب فقام خطيبُهم فقال: أصلح الله الأمير! نحن، وإن كانت نزعت بنا أنفسُنا إليك وأنضينا[1] ركائبنا نحوك التماسًا لفضلِ عطائك،

(١) أنضينا : أهزلنا .

عالمون بأنه لا مانِعَ لما أعطَى الله ولا مُعْطِيَ لما منَع ؛ وإنما أنت أيّها الأميرُ خازنٌ ونحنُ رائدون ، فإنْ أُذِنَ لك فأعطيتَ حَمِدْنا اللهَ وشكرْناك ، وان لم يُؤذَنْ لك فمنعتَ حَمِـدنا الله وعذَرْناك ، ثم جلس ؛ فقال زياد لجلسائه : تاللهِ ما رأيتُ كلامًا أبلغَ ولا أوجَزَ ولا أنفعَ عاجلةً منه ، ثم أمر لهم بما يُصْلِحُهم .

دخل العَتّابيّ على المأمون ، فقال له المأمون : خُبِّرتُ بوَفاتِك فغَمّتْني ، ثم جاءتني وِفادتُك فسرّتْني ؛ فقال العتّابي : لو قُسِمتْ هذه الكلماتُ على أهل الأرض لوَسِعَتْهم ؛ وذلك أنه لا دِينَ إلا بِك ولا دُنْيا إلا معــك ؛ قال : سَلْني ، قال : يَداكَ بالعطيّة أطلقُ من لساني .

قال نُصَيْب لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، كَبِرتْ سِنِّي ورَقَّ عَظْمي ، وبُلِيتُ ببُنَيّاتٍ نَفَضتُ عليهنّ من لوني فكَسَدْنَ عليّ ؛ فرَقَّ له عمر ووصَله .

سأل رجلٌ أسَدَ[(١)] بن عبد الله فاعتلّ عليه ؛ فقال : إني سألتُ الأميرَ من غير حاجة ؛ قال : وما حَمَلك على ذلك؟ قال : رأيتُك تُحِبُّ مَنْ لك عنده حسنُ بَلَاء ، فأحببتُ أنْ أتعلّق منك بحبلِ مَوَدّة .

لَزِم بعضُ الحكماءِ بابَ بعضِ ملوكِ العجم دهرًا فلم يَصِلْ اليه ، فتَلَطّف للحاجب في إيصال رُقْعةٍ فعمل ، وكان فيها أربعةُ أسطُرٍ .

السطرُ الأوّلُ " الأملُ والضّرورةُ أقدمانِي عليك " .

والسطرُ الثاني " والعُدْمُ لا يكونُ معه صبرٌ على المُطَالبة " .

والسطرُ الثالثُ " الانصرافُ بلا فائدةٍ شماتةٌ للأعداء " .

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥ طبع بولاق) «سأل رجل خالدا القسري حاجة الخ» .

والسطرُ الرابعُ " فإمّا نَعَمْ مثمِرةٌ ، وإمّا لَا مُريحةٌ " . فلما قرأها وَقّع فى كلّ سطرٍ : زه [(١)]، فأُعطِىَ ستّةَ عشَرَ ألفَ مِثْقالِ فِضّة .

دخل محمد بن واسع على قُتَيبة بن مُسْلِم، فقال له : أتيتُك فى حاجةٍ رفعتُها الى الله قبلَك، فإنْ تَقْضِها حَمِدنا الله وشكرناكَ، وإن لم تَقْضِها حَمِدنا الله وعَذَرناك؛ فأمر له بحاجته. وقال له أيضا فى حاجةٍ أُخرى : إنى أتيتُك فى حاجةٍ، فإنْ شئتَ قضيتَها وكُنّا جميعًا كريمَيْنِ، وإنْ شِئتَ منعتَها وكُنّا جميعًا لئيمَيْنِ [(٢)] .

أتى رجلٌ خالدَ بن عبد الله فى حاجةٍ، فقال له : أتكلّمُ بجُرْأة اليأسِ أم بهيبةِ الأَمَلِ؟ قال : بل بهيبة الأمل، فسأله حاجتَه فقضاها .

وقال أبو سَمّالٍ لرجل : لم أَصُنْ وجهى عن الطَّلَبِ اليك، فصُنْ وجهَك عن ردِّى، وضَعْنى من كرمِك بحيثُ وضعتُ نفسى من رجائك .

قال المنصور لرجل : ما مالُك ؟ قال : ما يَكُفُّ وجهى ويَعْجِز عن بِرِّ الصّديق فقال : لقد تلطّفتَ للسؤال، ووصَله .

وقال المنصور لرجلٍ أَحْمَدَ منه أمرًا : سَلْ حاجتَك فقال : يُبقيك الله يا أميرَ المؤمنين؛ قال : سل، فليس يمكنك ذلك فى كلِّ وقتٍ؛ فقال : ولِمَ يا أميرَ المؤمنين!

---

(١) كلمة « زه » فى لغة الفرس معناها أحسنت . وفى العقد الفريد ج ا ص ١٠٠ « فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها ألف مثقال وأمر له بها » . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠) بعد هذا الكلام تفسير لهذه الجملة هذا نصه : « أراد إن قضيتها كنت أنت كريما بقضائها وكنت أنا كريما بسؤالك إياها لأنى وضعت الطلبة فى موضعها ، وإن لم تقضها كنت أنت لئيما بمنعك وكنت أنا لئيما بسوء اختيارى لك » والجزء الأخير من هذا الشرح يشبه قول أبى تمام :

عياش إنك للئيم وإننى * مذ صرتَ موضع حاجتى للئيم

فوالله لا أستقصر عمرَك ولا أرهَبُ بُخْلَك ولا أغتنم مالَك وإنّ سؤالَك لزَيْنٌ، وإنّ عطاءَك لَشَرف، وما على أحدٍ بذَلَ وجهَه اليك نقصٌ ولا شَيْنٌ ، فأمَر حتّى مُلِئَ فُوه دُرًّا .

قال أبو العبّاس لأبي دُلَامة : سَلْ حاجتَك. قال : كلبٌ؛ قال : لك كلب. قال : ودابّةٌ أتصيد عليها؛ قال : ودابّة. قال : وغلام يركب الدابّة ويصيد؛ قال: وغلام . قال : وجارية تُصْلِح لنا الصيدَ وتُطْعِمنا منه ؛ قال : وجارية . قال : يا أمير المؤمنين، هؤلاء عِيال ولا بدّ من دار؛ قال : ودار. قال : ولا بدّ من ضَيْعة لهؤلاء؛ قال : قد أقطعتك مائة جَريبٍ عامرة ومائة جريب غامرة . قال : وأى شيء الغامرة؟ قال : ليس فيها نباتٌ. قال: فأنا أُقطِعك ألفا وخمسمائةِ جريبٍ من فيافي بني أسَدٍ؛ قال : قد جعلتُها [كلَّها لك] (١) عامرةً . قال : أَقَبِّل يدَك ؛ قال : أمّا هذه فدَعْها . قال : ما منعتَ عِيالى شيئاً أهونَ عليهم فقدًا (٢) منها .

قال عبـد الملك لرجل : مالى أراك واجِماً (٣) لا تَنْطِق؟ قال : أشكو اليك ثِقَلَ الشَّرَف؛ قال : أعِينوه على حَمْله .

رأى زياد على مائدته رجلا قبيحَ الوجه كثيرَ الأكل ، فقال له : كم عيالُك ؟ قال : تسع بنات ؛ قال : أينَ هنّ منك ؟ قال : أنا أجملُ منهنّ وهنّ آكلُ منّى؛ قال : ما أحسَنَ ما تلطّفتَ فى السؤال وفَرَض له وأعطاه .

---

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٩٨ طبع بولاق، وقد ذكر هـذه الحكاية صاحب الأغانى فى أخبار أبى دلامة بتوسع عما هنا بالجزء التاسع ص ١٢١ طبع بولاق . (٢) فى الأصل : « فقدا منه » وفى الأمالى : « ما منعت عيالى شيئا أقل ضررا عليهم منها » . (٣) الواجم : الذى اشتدّ حزنه حتى أمسك عن الكلام، وقد ساق صاحب العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥) هـذه الحكاية بأوسع مما هنا .

وقفتْ عجوزٌ على قيس بن سعد فقالت : أشكو اليك قِلّةَ الجِرْذانِ ؛ قال : ما أحسنَ هذه الكناية ! املئوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا .

وقال بعض القُصّاص فى قَصَصِه : اللهم أَقِلّ صِبْيانَنا وأَكثِرْ جِرْذانَنا .

كان سليمان بن عبد الملك يأخذ الولِىَّ بالولِىّ والجارَ بالجارِ؛ فدخل عليه رجلٌ وعلى رأسه وَصِيفةٌ رُوقةٌ(١)، فنظر اليها ؛ فقال سليمان : أأعجبتْك؟ قال : بارك الله لأمير المؤمنين فيها ! قال : هات سبعة أمثالٍ فى الاِستِ وخُذْها ؛ فقال : «صرّ عليه الغزوُ آستَه»(٢) . قال : واحد . قال : «آستُ البائنِ أعلم»(٣) ؛ قال : آثنان . قال : «آستٌ لم تُعوَّدِ المِجْمَرَ تحترِقُ»(٤) ؛ قال : ثلاثة . قال : الحُرُّ يُعطِى والعبدُ يَيْجَع بآستِه»(٥) ؛ قال: أربعة . قال : «آستِى أخبثِى»(٦) ! قال : خمسة . قال : «عادَ سَلَاها فى آستِها»(٧) ؛

(١) الوصيفة : الجارية، والروقة (بالضم) : الحسناء الجميلة .
(٢) يضرب لمن ضيق عليه تصرفه أمره .
(٣) البائن : الذى يكون عند حلب الناقة من جانبها الأيسر ويقال للذى من الجانب الآخر: المعلى أو المستعلى ، وهو الذى يعلى العلبة الى الضرع . وأصل المثل أن رجلا أضلّ إبله ووجدها فى مرّة فاستنجد بالحارث بن ظالم المرى فردّها عليه إلا ناقة كانت عند رجلين يحلبانها ، فقال لهما الحارث : خليا عنها فليست لكما ، وأهوى اليهما بالسيف فضرط البائن وقال المعلى : والله ما هى لك ، فقال الحارث : "إست البائن أعلم" فأرسلها مثلا : يضرب لمن ولى أمرا وصَلِىَ به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يَصْلَ به ، وقيل : يضرب لكل ما ينكر وشاهده حاضر .
(٤) يضرب لمن حصل فى نعمة لم يعهدها . وأصله أنّ ماوية بنت عَفْزَر كانت ملكة وكانت تتزوّج من أرادت ، وربما بعثت غلمانها ليأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة ؛ فجاءوها بحاتم الطائى ؛ فقالت له : آستقدمْ الى الفراش ؛ فقال هــذه الجملة . أراد : إنى أعرابىّ متقهل (يابس الجلد متقشف) لم أتعوّد الطيب والترف .
(٥) الذى فى الأمثال للميدانى : «الحر يعطى والعبــد يألم قلبه» وقال : يعنى أنّ اللئيم يكره ما يجود به الكريم . وقال فى فرائد اللآل : يضرب لمن يبخل ويأمر غيره بالبخل .
(٦) لم يذكر هــذا المثل الميــدانى ، وذكره الزمخشرى فى كتابه المستقصى فى أمثال العرب ومنــه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٢٣ أدب ؛ وقال فى شرحه : «يضرب فى وضــع الشيء فى غير موضعه ، وأصله أنّ سـعد بن زيد مناة زوّج أخاه مالكا النوار بنت جُلّ بن عدى رجاءَ أن يولد له ، وكان محمقا ، فانطلق به الى بيت العروس فأبى أن يلج البيت ، فقال له : «لِج مالِ ولِجت الرَّجَم» (أى القبر) ؛ حتى ولج ونعلاه معلقتان فى ذراعيه ، فقال له : ضع نعليك ، فقال : ساعداى أحرز لهما ، ثم أتى بطيب فجعل يجعله فى آسته ، فقالوا له فى ذلك ، فقال : «آستى أخبثى» .
(٧) السلى : الجلدة التى يكون فيها الولد ، من الناس والمواشى .

قل . سنة . قال : « لا ماءكِ نَقيتِ ولا حِرَكِ أنقيتِ »[1]، قال : ليس هذا من ذلك؛ قال : أحدثَ الحارّ بالحارّ كما يفعلُ أميرُ المؤمنين ! قل : خذها .

قال يزيد بن المهلّب لسليمان في حَمالةٍ[2] كلّمه فيها : يا أميرَ المؤمنين، واللهِ لحَمْلُها خيرٌ منها، ولَذِكْرُها أحسنُ من جمعها، ويدي مبسوطةٌ بيدك فابسُطْها لسؤالها .

قطع عبدُ الملك بن مروان عن آل أبي سفيان أشياء كان يُجْرِيها عليهم، لِتَبَاعُدٍ كان بينه وبين خالدِ بن يزيدَ بن معاوية، فدخل عليه عمرُو بن عُتْبة فقال : يا أميرَ المؤمنين، أدْنَى حقّك مُتْعِبٌ وتَقَصّيه فادحٌ، ولنا مع حقّك علينا حقٌّ عليكَ، لقرابتنا منك وإكرامِ سلفنا لك؛ فانظر إلينا بالعين التي نظروا بها إليك، وضَعْنا بحيث وضَعَتْنا الرَّحِمُ منك، وزِدْنا بقدر ما زادك الله؛ فقال : أفعَلُ، وإنما يَستحقّ عطيّتي من استعطاها، فأمّا من ظنّ أنه يَستغني بنفسه فسَنَكِلُه إليها ، يعرّض بخالد؛ فبلغ ذلك خالدا ، فقال : أمّا عمرٌو فقد أعطى من نفسه أكثرَ مما أخذ ، أوَ بالحرمان يتهدّدني ! يدُ الله فوق يده مانعةٌ، وعطاؤه دونه مبذول .

أتى رجل يزيدَ بن أبي مسلم برُقْعةٍ يسأله أن يرفعها الى الحجّاج؛ فنظر فيها يزيدُ فقال: ليست هذه من الحوائج التي تُرفع الى الأمير؛ فقال له الرجل : فإني أسألك أن ترفعها ، فلعلّها توافق قَدَرًا فيقضيها وهو كارهٌ ؛ فأدخلَها وأخبره بمقالة الرجل؛ فنظر الحجّاج في الرُّقعة ، وقال ليزيدَ : قلْ للرجل : إنها وافقتْ قَدَرا وقد قضيناها ونحن كارهون .

---

(١) أصله أن رجلا كان في سفر ومعه امرأته ، وكانت عاركا (حائضا) فطهرت ، وكان معهما ماء يسير فاغتسلت ، فلم يكفهما لغسلها وبعدت الماء فبقيا عطشانين ، فقال لها ذلك .

(٢) الحمالة (بالفتح) : ما يتحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة .

دخل بعض الشعراء على بِشْر بن مَرْوان (١) فأنشده :

أَغفيتُ عند الصبح نومَ مُسَهَّدٍ * فى ساعة ما كنتُ قبلُ أنامُها
فرأيتُ أنك رُعْتَنى بوليدةٍ * مَغْنُوجةٍ (٢) حَسَنٍ علىّ قيامُها
وببَدْرةٍ حُمِلَت الىّ وبغلةٍ * دهماءَ مُشْرِفةٍ (٣) يَصِلُّ (٤) لجامُها
فدعوت ربّى أن يُثيبك جنّةً * عِوضًا يُصيبك بردُها وسلامُها

فقال له بشر : فى كل شىء أصبتَ إلا فى البغلة فإنى لا أملك إلا شُهْبا : فقال : إنى والله ما رأيتُ إلا شُهْبًا .

قال رجل لمعاوية : أَقطِعْنى البَحْرَيْن، قال : إنى لا أصلُ الى ذلك . قال : فاستعمِلْنى على البَصْرة؛ قال : ما أُريدُ عَزْلَ عاملها . قال : تأمرُ لى بألفين؛ قال : ذاك لك . فقيل له : وَيْحَك ! أرضيتَ بعد الأُولَيَيْنِ بهذا ! قال : اسكتوا لولا الأُولَيَان ما أُعطيتُ هذه .

جاء أعرابىّ الى بعض الكُتّاب فسأله، فأمر الكاتبُ غلامَه بيمينه أن يعطيَه عشرة دراهم وقميصًا من قُمُصه؛ فقال الأعرابىّ :

حوِّل العَقْدَ بالشمال أبا الأصـ * ـبغ واضْمُمْ الى القميص قميصًا
إن عَقْدَ اليمين يَقْصُرُ عنّى * وأرى فى قميصكم تَقْليصًا

يقول : حوّل عَقْدَ اليمين وهو عشرة الى عَقْدِ الشمال (٥) وهو مائة .

---

(١) هو الحكم بن عبدل كما فى الأغانى (ج ٢ ص ٤٠٧ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) لم نعثر على هذه الصيغة فى معاجم اللغة، والذى بها : امرأة مِغناج وغَنِجة : حسنة الدل؛ ووجد هذا الشعر منسوبا الى حمزة بن بيض فى الأغانى (ج ١٥ ص ٢٣ طبع بولاق) وروايته مختلفة عن روايتى الأغانى الأولى وهذا الكتاب، وفيه موسومة بدل مغنوجة . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ١٠٣) «مقلوبة» . (٣) مشرفة : سريعة العدو، والمشرفة أيضا : العالية المرتفعة . (٤) يصل : يصوّت . (٥) كان للعرب حساب غير ما هو معروف اليوم ولهم فى ذلك اصطلاحات فى أصابع اليد، فالعشرة يُدَلّ عليها بجعل السبابة فى اليد اليمنى حلقة فاذا أريد المائة جعلت السبابة اليسرى حلقة وغير ذلك (انظره بتفصيل فى الجزء الثالث من كتاب بلوغ الأرب للآلوسى ص ٣٩٦ — ٤٠٢ طبع بغداد) .

سأل أعرابيّ فقال في مسألته : لقــد جُعتُ حتى أكلتُ النّوى المُحْرَقَ ولقد مَشَيتُ حتى انتعلتُ الدّمَ وحتى سقط من رجلي بَخَصٌ[1] لحمٍ وحتى تمنيّت أنّ وجهي حذاءٌ لِقَدَمي[2]، فهل من أخٍ يرحمنا ؟ .

وسأل آخرُ قوماً فقال : رَحِم الله آمرأً لم تَمُجَّ أذناه كلامي، وقدّم لنفسه مَعَاذًا من سوء مُقامي، فإن البلاد مُجْدِبة، والحالَ مُضْعِبَة[3]، والحياءَ زاجرٌ يمنع من كلامكم، والعُدْمَ عاذِرٌ[4] يدعو الى إخباركم، والدعاء أحدُ الصدَقتين فرحِم الله امرأ أمر بمِيرٍ[5]، ودعا بخير، فقال له رجل من القوم : ممّن الرجل ؟ فقــال : اللهم غَفْرا ممّن لا تَضرُّك جهالتُه، ولا تنفعُك معرفتُه، ذُلّ الاكتساب، يمنع من عِزّ الانتساب .

سأل أعرابيٌ رجلا فحَرَمه، فقال : عَلَامَ تَحْرِمُني ! فوالله ما زِلتَ قِبلةً لأملي لا تلفِتُني عنك المطامعُ ، فإن قلتَ : قــد أحسنتُ بَدْءًا، فما يُنْكَرُ لمثلك أن يُحسن عَــوْداً ! .

قال آبنُ أبي عَتِيق : دخلتُ على أشعبَ وعنده مَتَاعٌ حسن وأثاثٌ، فقلت له : ويحك! أما تستحيِي أن تَسأل وعندك ما أرى! فقال : يا فَدَيتُك! معي والله من لطيف السؤال مالا تَطيب نفسي بتركه .

قال الصَّلَتان العَبْديّ :

تَروح ونغـــدو لحاجاتنــا * وحاجةُ مَنْ عاش لا تَنْقضي
تموت مع المــرءِ حاجاتُه * وتبقَى له حاجَةٌ ما بَــقِي
إذا ليــلةٌ هَرَّمتْ يومَها * أتى بعــد ذلك يومٌ فَتِي

(١) البخص بالتحريك : لحم القدم. (٢) في الأصل : «حذاء لدى» . (٣) في المحاسن والمساوى للبيهقي طبع أوروبا ص ٦٣١ : «مسغبة» وقد رويت هذه الحكاية فيه بآختلاف عما هنا .
(٤) كذا في المحاسن والمساوى . وفي الأصل : «عار» . (٥) المير : الطعام .

وقال آخر :

وحاجةٍ دونَ أُخرى قد سَنَحتُ بها[1] * جعلتُها للتى أخفيتُ عُنـوانَا

كتب دِعْبِلٌ الى بعض الأمراء :

جئتُك مستشفِعاً[2] بلا سبب * اليـك إلا بُحرمةِ الأدبِ

فاْقضِ ذِمامى فإنّنى رجلٌ * غيرُ مُلِحٍّ عليك فى الطلبِ

من يُعتَمَد فى الحاجة ويُستَسعى فيها

روى هُشَيم عن عبد الحميد بن جعفر[3] عن محمد بن عبد الرحمن عن أبى مُصْعَب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اطلُبُوا الحوائجَ[4] الى حِسانِ الوُجوه" .

وفى حديث آخر: "اِعتَمِدْ لحوائجك الصِّباحَ الوُجوهِ، فإنّ حسنَ الصورةِ أوّلُ نعمةٍ تتلقّاكَ من الرجل" .

قالت آمرأةٌ من ولد حسّانَ بن ثابت :

سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قِدْمًا ولا تَسَلْ * فتًى ذاقَ طعمَ العيشِ منذُ قريبِ

ومن المشهور قولُ بعض المحدَثين :

حسنُ ظنّى إليكَ أكرمكَ اللهُ دعانى فلا عَدِمتَ الصّلاحَا

ودعانى إليكَ قولُ رسـولِ اللهِ إذ قال مُفصِحًا إفصاحَا

إن أردتم حوائجاً عند قومٍ * فتنقَّوا لها الوجوهَ الصِّباحَا

(١) سحت بكذا : عرضت ولحت ، وقد أورد صاحب اللسان هـذا البيت فى مادة « سح » ونسبه لسوّار بن المضرّب . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٨٩ طبع بولاق) : «مستوهدا» . (٣) كذا فى تهذيب التهذيب . وفى الأصل : «جبير» وهو تحريف . (٤) فى الجامع الصغير : « اطلبوا الخير الى حسان الوجوه» .

وقال آخر :

إنا سألنا قومَنا نخيارُهمْ * مَن كان أفضلَهم أبوه الأوّلُ
أعطى الذى أعطى أبوه قبلَه * وتبخّلتْ أبناءُ مَنْ يتبخّلُ

وقال خالدُ بن صفوانَ : فوتُ الحاجةِ خيرٌ من طلبها الى غير أهلها ، وأشدُّ من المصيبة سوءُ الخَلَف منها .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: قال مسلمُ بنُ قُتَيبة : لا تَطلُبَنّ حاجتكَ الى كذّابٍ فإنه يُقرّبُها وهى بعيدٌ(1) ويُبعّدها وهى قريب(1) ، ولا الى أحمقَ فإنه يريد أن ينفعكَ فيضرُّكَ ، ولاالى رجلٍ له عند من تسأله الحاجةَ مأكلةٌ ، فإنه لا يُؤثِرُكَ على نفسه .

أنشدنا الرِّياشىّ لأبى عَوْنٍ :

ولستُ بسائلِ الأعرابِ شيئاً * حَمِـدتُ الله إذ لم يأكُلونى

وقال ميمونُ بن ميمون : لا تَطلُبَنّ الى لئيم حاجةً ، فإن طلبتَ فأجِّلْه حتى يروضَ نفسَه .

هارونُ بن معروف عن ضَمْرة عن عثمانَ بن عَطَاء ، قال : عطاء الحوائج عند الشباب أسهلُ منها عند الشيوخ؛ ثم قرأ قولَ يوسفَ : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ وقولَ يعقوبَ ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

وقال بشارٌ :

إذا أيقظَتْكَ حروبُ العِدا(2) * فنبِّهْ لها عُمَـرًا ثم نَمْ
فتًى لا يَبيتُ على دِمْنَـةٍ * ولا يشربُ الماءَ إلا بِدَمْ
يَلَذُّ العطاءَ وسفكَ الدِّماء * فيغـدُو على نِعَمٍ أو نِقَمْ

(1) بعيد وقريب يوصف بهما المذكر والأنثى والمفرد والجمع ومنه قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) . (2) فى الأغانى (ج ٣ ص ٤٦ طبع بولاق) : * اذا دهمتك عظام الأمور *

وقال أبو عبّادٍ الكاتبُ: لا تُنزِلْ مُهِمَّ حوائجِكَ بالجيِّد اللسان، ولا المتسرِّع الى الضّمان، فإنّ العجزَ مقصورٌ على المتسرّع ؛ ومَن وعَد ما يَعجِزُ عنــه فقد ظلَم نفسَــه وأساء الى غيره ؛ ومن وَثِق بجَودةِ لسانه ظنّ أنّ فى فصل بيانه ما ينوبُ عن عذره وأن وعدَه يقومُ مقامَ إنجازه . وقال أيضا : عليك بذى الحَصَرِ البَكِىّ [(١)]، وبذى الخِيم [(٢)] الرضِىّ، فإن مثقالًا من شدّة الحياء والعِىّ ، أنفعُ فى الحاجة من قِنطارٍ من لسانٍ سَليطٍ وعقلٍ ذكىّ ؛ وعليك بالشّهم النَّدْب [(٣)] الذى إن عجز أيأسك، وإن قدَر أطمعك .

قال بعضُ الشعراء :

لا تَطلُبَنّ الى لئيم حاجــة * واقعُدْ فإنكَ قائما كالقاعدِ
يا خادعَ البُخلاءِ عن أموالهم * هيهاتَ! تضرِبُ فى حديدٍ باردِ

وقال آخرُ :

إذا الشافعُ استقصَى لكَ الجُهدَ كلَّه * وإن لم تَنَلْ نُجحًا فقد وجَب الشُّكرُ

وقال آخرُ [(٤)] :

وإذا امرؤٌ أسدَى اليك [(٥)] صنيعةً * مِن جاهــه فكأنّها مِن مالِهِ

ذكر أعرابىّ رجلا، فقال : كان والله إذا نزلَتْ به الحوائجُ قام إليها ثم قام بها، ولم تَقعُد به عِلّاتُ النفوس .

قال الشاعرُ :

ما إنْ مَدَحتُكَ إلا قلتَ تخدَعُنى * ولا استَعنتُكَ إلا قلتَ مشــغُولُ

ابنُ عائشةَ قال : كان شبيبُ بن شيبة رجلا شريفا يَفزَعُ اليــه أهلُ البصرة فى حوائجهــم، فكان إذا أراد الركوبَ تناولَ من الطعام شيئا ثم ركِبَ ؛ فقيل له :

---

(١) الكىّ : القليل الكلام . (٢) الخيم : السجية والطبيعة . (٣) الندب : الخفيف فى الحاجة . (٤) هو أبو تمام الطائى . (٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصل : «أهدى الىّ» .

إنك تُبَاكِر الغداءَ! فقال: أجَلْ! أُطفِئُ به فَوْرةَ جوعى، وأقطَعُ به خُلُوفَ[1] فمى، وأبلغ فى قضاء حوائجى، فخذ من الطعام ما يُذْهِبُ عنك النَّهَمَ، ويُداوِى من الخَوَى .

قال بعضُ المحدَثين :

لعمرُكَ ما أخلقتُ وجهًا بذلتُه * إليــكَ ولا عرّضتُه للمَعَــايرِ
فتًى وفّرتْ أيدى المحامدِ عرضَه * وحلّت[2] لديه مالَه غيرَ وافـــرِ

وقال آخرُ :

أتيتُــكَ لا أُدلِى بقُــرْبَى ولا يدٍ * اليك ســوَى أنى بجُودكَ واثقُ
فإن تُولِنى عُرفًا أكنْ لكَ شاكرا * وإن قلتَ لى عذرًا أقلْ أنت صادقُ

وقال رجلٌ لآخرَ فى كلامه : أيدينا ممدودةٌ اليكَ بالرغبة، وأعناقُنا خاضعةٌ لك بالذِّلة، وأبصارُنا شاخصةٌ اليك بالشكر؛ فافعلْ فى أمورنا حَسَبَ أمالنا فيكَ، والسلام.

الإجابة الى الحاجة والردّ عنها

قال رجل للعبّاس بن محمد : إنى أتيتُكَ فى حاجةٍ صــغيرةٍ؛ قال : أطلب لها رجلا صغيرا . وهذا خلافُ قولِ علىّ بن عبــد الله بن العبّاس لرجل قال له : إنى أتيتكَ فى حاجةٍ صغيرةٍ، فقال له علىّ بن عبد الله : هاتِها، إنّ الرجل لا يصغُر عن كبير أخيه ولا يكبُرُ عن صغيره .

قال رجل للأحنف: أتيتُكَ فى حاجةٍ لا تَنْكِيكَ[3] ولا تَرْزَؤك، قال: إذًا لا تُقضَى! أمثلى يؤتَى فى حاجةٍ لا تَنكِى ولا ترزأُ ! .

---

(١) الخلوف : رائحة الفم .

(٢) فى العقد الفريد : (ج ١ ص ٩٠) :
* عليه وحلت ماله غير وافر *

(٣) لا تنكيك : لا تنال منك، من نكى العدوّ نكاية : أصاب منه . ولا ترزؤك . لا تصيب من مالك شيئا .

جاء قومٌ الى رجل يُكلّمونه فى حاجةٍ لهم ومعهم رَقَبةُ، فقال لرقَبة : تضمَنُونَها؟ فقال له رَقَبة : جئناكَ نطلُب منكَ فضلَ التوسُّعِ فأدخلتَ علينا همَّ الضَّمان .

أتى عمرُو بن عُبيد حفصَ بن سالمٍ، فلم يسأله أحدٌ من حَشَمِه شيئا إلا قال: لا، فقال عمرو : أقِلَّ من قول: «لا» فإنّ «لا» ليستْ فى الجنّة .

كان رسولُ‌الله صلّى الله عليه وسلم اذا سُئل مايَجِدُ أعطَى، واذا سُئِلَ مالا يجِد قال : "يصنع الله" .

قال عمرُ بن أبى ربيعةَ :

إنّ لى حاجةً اليـكِ فقالت ✽ بين أُذْنى وعاتقى ما تُرِيدُ

أى قد تضمّنتُه لك فهو فى عُنُقى .

سأل رجلٌ قومًا، فقال له رجل منهم : اللهمّ هذا سائلنا ونحن سُؤّالُكَ، وأنت بالمغفرة أجودُ منّا بالعطاء، ثم أعطاه .

سأل رجلٌ رجلا حاجةً ، فقال : اذهَبْ بسـلام، قال السائلُ : أنصفَنَا مَنْ رَدّنا فى حوائجنا إلى الله عزّ وجلّ .

قال رجل لثُمَامةَ : إن لى اليـكَ حاجةً، قال ثمامةُ : ولى اليكَ حاجةٌ ، قال : وما هى؟ قال : لا أذكُرها حتى تتضمّنَ قضاءها ، قال : قد فعلتُ، قال : حاجتى ألّا تسألَنى هـذه الحاجةَ، قال : رجعتُ عما أعطيتُك، قال ثمـامةُ : لكنّى لا أرُدّ ما أخذتُ .

قال الجاحظ : تمشّى قومٌ الى الأصمعىّ مع رجل اشـترى منه ثمرةَ نخله، فناله فيها خُسرانٌ وسألوه حسنَ النظر له، فقال الأصمعىّ : أسَمِعتُم بالقِسْمة الضِّيزَى![1] هى

(١) القسمة الضيزى . الناقصة الجائرة .

ما تُريدونَ شيعَكمْ عليه، اشترى منّى على أن يكون الخسرانُ علىّ والربحُ له! اذهبوا فاشتروا لى طعامَ السّواد[1] على هذا الوجه والشرط . ثم قال : ها هنا واحدةٌ هى لكم دونى ، ولا بدّ من الاحتمال لكم اذ لم تحتملوا لى ، هــذا ما مَشَيتم معــه إلا وأنتم تُوجبون حقّه وتُحِبُّون رِفدَه، ولو كنتُ أُوجبُ له مثلَ الذى توجبونَ لقــد كنتُ أغنيتُه عنكم، ولكن لا أعرِفُه ولا يصرِّتنى بحق؛ فهَلُمَّ فلنتوزّعْ هــذا الخسرانَ بيننا بالسواء؛ فقاموا ولم يعودوا، وأيِس التاجرُ فخرج له من حقّه .

قال يزيدُ بن عُمَير[2] الأُسَيّدى لبَنِيه : يا بَنِىّ، تعلّموا الرّدّ فإنه أشدّ من الإعطاء، ولأن يعلَمَ بنو تميم أن عند أحدكم مائةَ ألف درهم أعظمُ له فى أعينهم من أن يَقسِمَها فيهم، ولَأنْ يقالَ لأحدكم : بخيلٌ وهو غنىٌّ خيرٌ له من أن يقال : سخىٌّ وهو فقير .

وقال إسحاق بن إبراهيم :

النصرُ يُقرئكَ الســلامَ وإنمــا * أهدَى الســلامَ تعرّضًا لِلّطَمَعِ
فاَقطَعْ لُبانَتَــه بيأسٍ عاجلٍ * وأرِحْ فؤادَكَ من تقاضِى الأضلُعِ

ذكر ثُمامةُ محمدَ بن الجَهْم فقال : لم يُطمِعْ أحدًا قطّ فى ماله إلا ليشغَلَهُ بالطمع فيه عن غيره، ولا شفَع لصديقٍ ولا تكلّم فى حاجةِ مُتَحرِّمٍ به، إلا ليُلَقِّنَ المسئولَ حُجّةَ منعٍ، وليفتحَ على السائل بابَ حِرمانٍ .

كتب سهلُ بن هارون الى موسى بن عمران :

إنّ الضميرَ اذ سألتُك حاجةً * لأبى الهُذَيل[3] خلافُ ما أُبدِى
فامنعْه رَوْحَ اليأس ثم امدُدْ له * حبــلَ الرجاء لمُخْلِفِ الوعــدِ

---

(١) السواد . ارجع (٢) فى الأصل . «عمر» والتصويب عن السمعانى .

(٣) هو أبو هذيل العلاف أحد عيون المعتزلة، وكان بخيلا، (انظر الملل والنحل ص ٦٩، ١٤٧، ١٤٨ طبع أوروبا)

وألِنْ له كَتَفًا ليحسُنَ ظنُّه * فى غــير مَنفعةٍ ولا رِفْــدِ
حتى اذا طالتْ شــقاوةُ جَدّه * وعنــاؤه فَأَجْبَهْــهُ بالردّ

قيل لحُبّى المَدينيّة : ما الجُرْحُ الذى لا يندمِلُ ؟ قالت : حاجة الكريم الى اللئيم ثم يردّه. قيل لها : فما الذلّ ؟ قالت : وقوف الشريف بباب الدنىء ثم لا يُؤْذَنَ له . قيل : فما الشرفُ ؟ قالت: اعتقاد المِنَنِ فى رِقاب الرجال .

قال مَعْنُ بنُ زائدة : ما سألنى قطّ أحدٌ حاجةً فرددتُه إلا رأيتُ الغنى فى قفاه.

روى علىّ بن مُسْهِر عن هشام عن أبيه قال: قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه: أعلمــتُمْ أن الطمعَ فقرٌ، وأن اليأسَ غِنًى، وأن المرءَ اذا يئس من شىء آستغنى عنه.

وقال آخر فى كلامٍ له : كُلُّ ممنوعٍ مُسْتَغْنًى عنه بغيره ،وكُلُّ مانعٍ ما عنده ففى الأرض غِنًى عنه .

وقد قيل : أرخص ما يكون الشىءُ عند غَلَائه .

وقال بشارٌ : * والدرُّ يُترَكُ من غَلائِهْ *

قال شُرَيح : مَنْ سأل حاجةً فقد عرَض نفسَه على الرقّ، فإن قضاها المسئولُ آستعبده بها، و إن ردّه عنها رجع حرًّا وهما ذليلانِ: هذا بذُلِّ البخل، وهذا بذلّ الردّ .

وقال بعضُهم: مَن سألكَ لم يُكرِم وجهَه عن مسألتكَ، فأكرِم وجهَكَ عن ردّه.

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يردّ ذا حاجةٍ إلا بها أو بميسورٍ من القول .

وقال أسمــاءُ بن خارجةَ : ما أُحِبُّ أن أردّ أحدا عن حاجةٍ؛ فإنه لا يخلو من أن يكون كريما فأصونَه، أو لئيما فأصون منه نفسى .

وقال أعرابىّ سأل حاجة فرُدَّ عنها :

ما يمنعُ الناسُ شــيئا كنتُ أطلبُه * إلا أرَى اللهَ يكفِى فقدَ ما منَعوا

أتى رجلٌ الحسنَ بن عليّ رضى الله عنهما يسأله؛ فقال الحسن: إن المسألة لا تصلُحُ إلا فى غُرْمٍ فادحٍ أو فقرٍ مُدْقِعٍ أو حَمَالةٍ مُفظِعةٍ؛ فقال الرجل: ما جئتُ إلا فى إحداهنّ، فأمر له بمائة دينار. ثم أتى الرجلُ الحسينَ بن على رضى الله عنهما فسأله، فقال له مثل مقالة أخيه، فردّ عليه كما ردّ على الحسن؛ فقال: كم أعطاك؟ قال: مائة دينار، فنقصه دينارا. كره أن يساوى أخاه. ثم أتى الرجلُ عبدَ الله بن عمرَ رضى الله عنهما فسأله فأعطاه سبعةَ دنانير ولم يسأله عن شيء؛ فقال الرجل له: إنى أتيتُ الحسنَ والحسينَ، واقتصّ كلامَهما عليه وفعلَهُما به؛ فقال عبدُ الله: ويحكَ! وأنّى تجعلنى مثلَهما! إنهما غُرَّا العلمَ غَرَّا المالَ (٢).

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: جاء شيخٌ من بنى عَقيلٍ الى عمرَ بن هُبيرةَ، فمتَّ بقرابةٍ وسأله فلم يعطه شيئا؛ فعاد اليه بعد أيام فقال: أنا العَقيلىّ الذى سألكَ منذ أيام؛ فقال عمر: وأنا الفَزارىّ الذى منعك منذ أيام؛ فقال: معذرةً الى الله! إنى سألتك وأنا أظنك يزيدَ بن هُبيرة المحاربىّ؛ فقال: ذاك ألأمُ لك، وأهونُ بك علىّ، نشأ فى قومك مثلى ولم تعلم به، ومات مثلُ يزيد ولا تعلم به! يا حَرَسىّ اسْفَعْ (٣) بيده.

أتى عبدَ الله بنَ الزبير (٤) أعرابىٌّ يسأله، فشكا اليه نَقَبَ (٥) ناقته وآستحمله (٦)؛ فقال له آبنُ الزبير: ارقَعها بسِبْتٍ (٧) وآخصِفْها بهُلْبٍ وآصل وآفعل...، فقال الأعرابىّ: إنى أتيتُك مُستوصِلًا ولم آتِكَ مُستوصِفًا، فلا حملَتْ ناقةٌ حملَتْنى إليكَ! فقال: إنَّ (٨) وصاحِبَها.

(١) فى الأصل: «وأمر...». (٢) غرّا العلم: ألقياه، يقال: غرّ الطائر فرخه اذا زقّه، ومنه حديث معاوية: «كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يغرّ عليا بالعلم». (٣) سفع ناصيته أو بيده: قبضها وجذبها. (٤) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبى الأسدى كما فى الأغانى ج ١ ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية، وقد رويت فيه هذه الحكاية باختلاف عما هنا. (٥) النقب: رقة وتنقب فى خف البعير. (٦) استحمله: حمله سواه يقضيها له. (٧) السبت (بالكسر): جلد البقر المدبوغ بالقرظ تحذى منه النعال السبتية. والخصف: أن يظاهر الجلدين فصمهما الى بعض ويخرزهما ولذلك قيل للخرز: الخصف. والهلب (بالضم): شعر الخنزير الذى يخرز به. (٨) إنّ بمعنى نعم.

والعربُ تقول لمن جاء خائبًا ولم يظفر بحاجته : «جاء على غُبيراءِ الظهرِ»(١) .

وتقول هي والعوامّ : «جاء بخُفَّيْ حُنَينٍ» و «جاء على حاجبه صُوفةٌ» .

وقال أبو عطاء السِّنْديّ في عمرَ بن هُبيرة :

ثلاثٌ حُكْتُهنّ لقرم قيسٍ * طلبتُ بها الأخوّةَ والثناءَ(٢)
رجَعْنَ على حواجبهن صُوفٌ * فعند الله أحتسبُ الجزاء

والأصل في قولهم : « جاء بخُفَّيْ حُنَيْن » أن إسكافًا من أهل الحيرة ساومَه أعرابيٌّ بخفَّيْن ، فآختلفا حتى أغضبه ، فآزداد غيظ الأعرابيّ ؛ فلما آرتحل أخذ حُنَينٌ أحد خفّيْه فألقاه على طريقه ثم ألقى الآخَرَ في موضع آخر ؛ فلما مرّ الأعرابيّ بأحدهما قال : ما أشبهَ هذا بخفّ حنين ! ولو كان معه الآخر لأخذته ، ومضى ؛ فلما آنتهى الى الآخر نَدِم على تركه الأوّل ، وأناخ راحلتَه فأخذه و رجع الى الأوّل ، وقد كَمَن له حنينٌ فعمَد الى راحلته وما عليها فذهب به ؛ وأقبل الأعرابيّ ليس معه غيرُ الخفّين ؛ فقال له قومه : ما الذي أتيتَ به ؟ قال : بخفّي حنين .

قالوا : فإن جاء وقد قُضيتْ حاجتُه قيل : « جاء ثانيًا من عِنانه »(٣) . فإن جاء ولمّا تُقْضَ حاجتُه وقد أُصيب ببعض ما معه ، قالوا : «ذهب يبتغي قَرْنًا فلم يرجع بأذُنَيْن» . يقول بشار :

فكنتُ كالعَيْرِ غدَا يبتغِي * قرْنًا فلم يَرجِعْ بأُذْنَيْنِ(٤)

---

(١) غبيراء الظهر : الأرض ، تصغير الغبراء . ويروى : جاء على ظهر الغبيراء ، أي جاء لا يصاحبه غير أرضه التي يجيء ويذهب فيها . (انظر ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف اليه ، النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٧٨ أدب م) . (٢) كذا في الشعر والشعراء . القرم من الرجال السيّد المعظم وفي الأصل : «لقوم» . (٣) في الأصل : « فلما جاء ... » وهو غير مستقيم . (٤) رواية هذا البيت في الأغاني ج ٣ ص ٢٠٦ طبع دار الكتب :

فصرت كالعير غدا طالبا * قرنا فلم يرجع بأذنين

وقد روى أبو الفرج أن عقبة بن سلم دعا بشارا وحماد عجرد وأعشى باهلة ، وطلب اليهم أن يضمنوا هذا المثل في شعر ، وعيّن لمخرجه جائزة ، وهددهم إن لم يفعلوا ، فضمنه بشار على البديهة وأخذ جائزته .

سأل أعرابيٌّ قوما، فقيل له : بُورِك فيك ! فقال : وكَلَكم الله الى دعوةٍ لا تحضُرها نيّة .

أرسل الوليد خيلا فى حَلْبةٍ[1]، فأرسل أعرابيٌّ فرسًا له فسبَقت الخيلَ؛ فقال له الوليد : آحمِلنى عليها؛ فقال : إن لها حُرمةً، ولكنى أحملك على مُهْرٍ لها سَبَق الخيل عام أوّل وهو رابض .

وتقول العرب فيمن يَشْغَله شأنُه عن الحاجة يُسألُها : «شَغَلَ الحَلْىَ أهلَه أن يُعَارا» بِنَصْب الحلى ، ويعار : من العارية . فأمّا قولهم : «أحقُّ الخيل بالركض المعار»، فإنّ المُعار[2] : المَنْتوف الذَّنَبِ وهو المَهْلُوب؛ يريدون أنه أخفّ من الذيّال الذنبِ[3]، يقال : أعَرْتُ الفرس إذا نتفته .

وتقول العرب لمن سُئل وهو لا يَقدِر فَرَدّ : «بِيَتِى يَبْخَل لا أنا» ؛ يريدون أنه ليس عنده ما يُعطى .

ووعد رجلٌ رجلا فلم يَقدِرْ على الوفاء بما وعده؛ فقال له : كَذَبْتَنِى؛ قال: لا ، ولكن كذَبَك مالى .

وتقول العرب فيمن آعتذر بالمنع بالعُدْم وعنده ما سُئل : «أبَى الحَقِينُ العِذْرةَ[4]» . قال أبو زيد : وأصله أن رجلا ضاف قوما فآستسقاهم لبنًا، وعندهم لبنٌ قد حَقَنوه فى وَطْبٍ ، فاعتذروا أنه لا لبنَ عندهم ؛ فقال : "أبَى الحَقِينُ العِذْرةَ" . ويقال : «العِذْرةُ طَرَفُ البخل» .

(١) فى الأصل «من حلبة» . (٢) ما ذكره المؤلف هنا هو أحد ما فسرّت به هذه الكلمة ، وقيل . المعار . المسمن، يقال : أعرت الفرس اذا سمنته ، وقيل : المعار : المضمر، من عار الفرس اذا أخذ يذهب ويجىء مرحا ونشاطا ، فالمعار : ما ردد الذهاب به والمجىء حتى ضمر، ويروى : المِعارُ — بكسر الميم — وهو الفرس الذى يحيد راكبه عن الطريق ، وكذلك يروى : المُغار — بالغين المعجمة — أى المضمر من أغرت الحبل اذا فتلته . (٣) الذيال الذنب : الطويله . (٤) الحقين : اللبن المحقون . والعذرة (بكسر العين) : العذر .

وقال الطائى يذكر المَطْل :

وكان المَطْــلُ فى بدءٍ وعَوْدٍ * دُخَانًا للصــنيعة وهى نارُ
نسيبُ البخلِ مذ كانا وإن لم * يكن نسبٌ فبينهما جِوارُ
لذلك قيــل بعضُ المنع أدنى * الى جُودٍ وبعضُ الجــود عارُ

قال إسماعيلُ(١) القراطيسىّ فى الفضل بن الربيع :

لئن أخطأتُ فى مدحِــك ما أخطأتَ فى منعى *(٢)
لقــد أحللتُ حاجاتى * بــوادٍ غيرِ ذى زَرْعِ

عزا المُنذرُ بن الزُّبَيْر [فى] البحر ومعه ثلاثون رجلا من بنى أسد بن عبد العُزّى، فقال له حكيم بن حِزام : يابن أخى، إنى قد جعلتُ طائفةً من مالى لله عزّوجلّ، وإنى قد صنعتُ أمرًا ودعوتكم له، فأقسمتُ عليك لا يردُّه علىّ أحدٌ منكم؛ فقال المُنْذِر : لاها الله إذًا(٣)، بل نأخذ ما تُعطى، فإن نَحْتَجْ إليه نَستعِنْ به ولا نكره أن يأجُرك اللهُ، وإن نستغْنِ عنه نُعطِه من يأجُرنا اللهُ فيه كما أجرَك .

سأل أعرابىٌّ رجلا يقال له : الغَمْر فأعطاه درهمين، فردّهما وقال :

جعلتُ لغَمرٍ درهمَيْــه ولم يكن * ليُغنِىَ عنى فاقتى دِرْهما غَمْــرِ
وقلت لغمرٍ خذهما فاصْطَرِفْهما * سريعَيْنِ فى نقض المُرُوءة والأجرِ
أتمنَعُ سُؤّال العشيرةِ بعــد ما * تَسَمَّيْتَ عمرًا واكتنيتَ أبا بحرِ

(١) نسبهما ابن حجة فى حرانه ص ٥٤٠ طبع بولاق لابن الرومى . وذكر صاحب معاهد التنصيص فى الكلام عليهما ص ٥٦٤ طبع بولاق أنهما ينسبان لابن الرومى ولكنه قال : ورأيت فى الأغانى نسبتهما الى اسماعيل القراطيسى . وقد ذكرا فى ترجمته فى الأغانى ج ٢٠ ص ٨٨ — ٨٩ ولم يذكرا فى ديوان ابن الرومى . (٢) فيه الكف وهو حذف السابع الساكن، والكف حسن فى هذا البحر وهو المزج . وفى الأغانى (ج ٢٠ ص ٨٩ طبع بولاق) : « فى مدحيك » وبهذه الرواية لا كف فيه .
(٣) أى لا يردّه عليك أحد والله اذا، فكلمة «ها» هنا للقسم . ويجوز فيها مع كلمة الجلالة، بعد حذف همزة الوصل، إثبات ألفها — وينطق بها كما ينطق بدابّة — وحذفها .

اختلف أبو العَتَاهِيَة الى الفضل بن الربيع فى حاجةٍ له زماناً فلم يقضِها له، فكتب :

أكلّ طُولِ الزمانِ أنتَ اذا * جئتُكَ فى حاجةٍ تقولُ غدًا!
لا جعل اللهُ لى اليك ولا * عندك ما عشتُ حاجةً أبدا!

وقال آخر :

إن كنتَ لم تَنْوِ فيما قلتَ لى صِلةً * فما ٱنتفاعُك من حَبْسى وتَرْديدى
فالمنعُ أجمَلُه ما كان أعجلَه * والمَطْل من غير عُسْرٍ آفةُ الجودِ

وقال آخر :

بسطتَ لسانى ثم أوثقتَ نصفَه * فنصفُ لسانى فى ٱمتداحك مُطْلَقُ
فإن أنتَ لم تُنْجِزْ عِداتى تركْتَنى * وباقى لسانِ الشكر باليأسِ مُوثَقُ

وقال آخر :

يا جوادَ اللسانِ من غير فعلٍ * ليتَ جُودَ اللسانِ فى راحتَيْكا

المواعيدُ وتَنَجُّزها

ذكر جبّار بن سُلْمَى(1) عامرَ بن الطُّفَيل فقال : كان والله اذا وعَد الخيرَ وفَى، واذا أوْعَد بالشرّ أخلفَ وعفا .

وأنشد أبو عمرو بن العَلاء فى مثل هذا المعنى .

ولا يَرْهَبُ ٱبنُ العمّ ما عشتُ صَوْلتى * ويأمَنُ منّى صَولةَ المتهدِّدِ
وإنّى إنْ أوعدتُه أو وعدتُه * لَيكذِبُ إيعادى ويَصْدُقُ مَوْعِدِى

(1) فى الإصابة : « بضم السين وقيل بفتحها »

وكان يقال : وَعْدُ الكريم نقدٌ، ووعدُ اللئيم تسويف .

وقال عبد الصّمد بن الفضل الرَّقاشيُّ (أبو الفضلِ والعباسِ الرَّقاشيَّيْنِ البغداديّين) لخالد بن دَيْسم عامل الرّيّ :

أخالدُ إنّ الرّيّ قد أجحفتْ بنا * وضاق علينا رَحْبُها ومَعَاشُها
وقد أطمعتْنا منك يوما سحابةٌ * أضاء لنا برقٌ وكفَّ رِشاشُها
فلا غيمُها يصحو فيُؤْيِسَ طامعٌ * ولا ماؤها يأتى فتُروَى عِطاشُها

وقال رجل فى الحَجّاج .

كأنّ فؤادى بين أظفارِ طائرٍ * من الخوف فى جوّ السماء مُحَلِّقِ
حِذارَ امرئٍ قد كنتُ أعلم أنه * متى مَا يَعِدْ من نفسه الشرَّ يَصْدُقِ

قال عمرو بن الحارث : كنتُ متى شئتُ أجد من يَعِد ويُنجز، فقد أعيانى مَنْ يَعِد ولا يُنجز . قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون، فقد صاروا يقولون ويفعلون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون .

قال بشار :

وَعَدتِنِى ثم لم تُوفِى بمَوعِدَتِى * فكنتِ كالمُزْنِ لم يُمطِرْ وقد رعَدَا

هذا مثل قول العرب لمن يَعِدُ ولا يَفِى : «برقٌ خُلَّبٌ» .

وقال آخر :

قد بَلَوْناكَ بحمد الله إنْ أغنَى البَلاءُ
فإذا جُلُّ مواعيـ * ـدِكَ والجحدُ سواءُ

وقال آخر :

لها كلَّ عامٍ موعدٌ غيرُ ناجزٍ * ووقت اذا ماراُسَ حولٍ تَجرَّما (١)
فإن أوعدتْ شرًّا أتى دون وقتِه * وإن وَعَدتْ خيرا أراثَ وأعتَما (٢)

(١) تجرّم : مضى وانقضى . (٢) أراث وأعتم كلاهما بمعنى أبطأ .

وعد عبـــد الله بن عمر رجلا من قريش أن يزوّجه ابنته ؛ فلما كان عند موته أرسل اليه فزوّجه إياها ، وقال : كَرِهتُ أن ألقى اللهَ عزّ وجلّ بثُلُث النفاق .

وقال الطائىّ :

تقولُ قولَ الذى ليس الوفاءُ له ، خُلْقًا وتُنجزُ إنجازَ الذى حَلَفَا

وأثنى الله تبارك وتعالى على نبيّه إسماعيل صلّى الله عليه فقال : ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ .

وقال بشّار يمدح :

اذا قال تَمّ عـلى قَـــوْله * وماتَ العَنَـاءُ بِـلَا أو نَعَمْ
وبعضُ الرجالِ بِمَـوْعُوده * قريبٌ وبالفعلِ تحت الرَّجَم(١)
كجارى السَّرابِ تَرَى لَمْعَــهُ * ولستَ بواجده عنــــد كَمْ

وقال العبّاس بن الأحنف :

ماضرّ مَنْ قطعَ الرجاءَ بِبُخله * لو كان علّلنى بوعدٍ كاذبِ

وقال آخر :

عسى منك خيرٌ من نَعَمْ ألف مرّةٍ * مِنَ آخَرَ غالَ الصِّدقَ منه غوائلُهْ

وقال نُصَيْب :

يقول فيُحسِنُ القولَ ابنُ ليلى * ويفعل فوق أحسن ما يقولُ

وقال زيادٌ الأعجم :

لله درُّك من فتًى * لو كنتَ تفعلُ ما تقولْ
لا خير فى كذب الجوا * د وحبّذا صِدقُ البخيلْ

(١) الرجم (بالتحريك) [illegible] موضع [illegible] ، ويعنى أو نسم [illegible] : الحجارة التى توضع على القبر ، يريد أنه فى تحقيق وعده كاذب .

والعرب تضرب المثلَ فى الخُلْف بعُرْقوب . قال ابن الكلبىّ عن أبيه : كان عُرْقوب رجلًا من العماليق؛ فأتاه أخٌ له فسأله شيئا؛ فقال له عُرْقوب : اذا أَطْلَع[(١)] نخلى. فلما أَطْلَع أتاه، قال : اذا أَبْلح . فلما أبلح أتاه، فقال : اذا أَزْهى[(٢)]. فلما أزهى أتاه، قال : اذا أَرْطَب . فلما أرطب أتاه، قال : اذا صار تمرا. فلما صار تمرًا جَدَّه من الليل ولم يُعطِ أخاه شيئا .

قال كعبُ بن زُهَيْر :

كانتْ مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلًا * وما مواعيــدُها إلّا الأباطيـــلُ

وقال الأشجعىّ :

وعدتِ وكان الخُلْفُ منكِ سَجيّةً * مواعيدَ عُرْقوبٍ أخاهُ بيَتْرَبِ[(٣)]

هكذا قرأته على البِصْريين فى كتاب سيبويه بالتاء وفتح الراء .

وقال الشاعر :

متى ما أَقُلْ يومًا لطالبِ حاجةٍ * نَعَمْ، أقضِها قُدْما وذلكَ من شَكْلى
وإنْ قلتُ لا ، بيّنتُها من مكانها * ولم أُوذِهِ منها بجَــرٍّ ولا مَطْــلِ
ولَلبَخْلَةُ الأُولى أقــلُّ مَلامــةً * من الجُــود بَدْءًا ثم يُتبِع بالبُخْلِ

وقال أبو نُوَاس لامرأة :

أنضيتِ أحرفَ لا مما لَهجتِ بها * فحــوِّلى رحلَها عنهــا الى نَعَمِ
أو حوِّليها الى «لا» فهى تَعدِلُها[(٤)] * إنْ كنتِ حاولتِ فى ذا قلّةَ الكَلِمِ
قِسْــتُمْ علينا فعارضْـنا قياسَــكُمُ * يا مَــنْ تناهَى اليه غايةُ الكَرَمِ

---

(١) أطلع النخل : خرج طَلْعه . (٢) أزهى : تلون تمره بالحمرة والصفرة . (٣) يترب بالتاء المثناة : موضع قريب من اليمامة . (٤) كذا فى الأصول، وفى ديوانه «أو حولوها اليها فهى تعدلها» . والظاهر أنه يريد أن يقول : أو حولوها الى «ها» التى بمعنى «خذ» فكتبت موصولة ليدل ظاهرها على غير باطنها، و«ها» تعدل «لا» فى قياسها لفظا . وبين ما فى الأصل وما فى الديوان تغير طفيف فى هذه الأبيات .

وفى هذا معنًى لطيفٌ .

كتب رجلٌ الى صــديق له : قد أوردتك رجائى بعــد الله ، وتعجّلتُ راحةَ اليأس ممن يجود بالوعد ويَضَنُّ بالإنجاز، ويحسُدُ أن يُفْضَل، ويَزْهَدُ أن يُفْضِل، ويعيبُ الكذبَ ولا يصدُق .

وقال آخر :

وذى ثقة تبدّل حين أثْرى * ومن شِيَمى مراقبةُ الثّقاتِ
فقلتُ له عَتَبْتَ علىّ إثمًــا * فِرارًا من مَؤُوناتِ العِدَاتِ
فعُــدْ لمودّتى وعلىّ نَذْرٌ * سألْتُك(1) حاجةً حتّى المماتِ

وقال آخر فى أصحاب البيذ :

مواعيدُهم رِيحٌ لمن يَعِدونَه * بها قطعُوا بردَ الشتاء وقاظُوا

وقال مسلم :

لسانُك أحلَى من جَنَى النحلِ موعدًا * وكفُّكَ بالمعروف أضيقُ من قُفْلِ
تُمَنِّى الذى يأتيـــك حتّى اذا انتهى * الى أجلٍ ناولتَــه طَرَفَ الحبـــلِ

وسأل خَلَف بن خليفة أبانَ بن الوليد أن يهبَ له جاريةً، فوعده وأبطأ عليه، فكتب اليه :

أرى حاجتِى عند الأمير كأنّما * تَهُــمُّ زمانًا عنـــده بمُقَامِ
وأحْصَرُ من إذْكارِه إن لَقِيتُــهُ * وصــدقُ الحيــاءِ مُلْجِمٌ بلجامِ
أراهــا اذا كان النهــارُ نَسِيئةً * وبالليـــلِ تُقضَى عندَ كلِّ منامِ
فيارَبِّ أخرِجْها فإنك مُخْـرِجٌ * من المَيْتِ حَيًّا مُفصِحًا بكلامِ

(1) الكلام على تقدير «لا» النافية ، أى لا سألتك .

فتعلمَ ما شُكري اذا ما قضيتَها(١) * وكيف صلاتي عندها وصيامي
وإنْ حاجتي من بعد هذا تأخّرتْ * خشيتُ لمـا بي أن أزور غُلامي

والعرب تقول: «أنجزُ حُرٌّ ما وعدَ».

وقال أميّة بن أبي الصَّلْت لعبد الله بن جُدْعان:

أأذكرُ حاجتي أم قـد كفاني * حياؤك إنّ شيمتَك الحيـاءُ
إذا أثنى عليـك المـرءُ يومًا * كفاه من تعرّضه الثنـاءُ

وقال الطائيّ:

وإذا المجـدُ كان عَوْني على المر * ءِ تقاضيتُهُ بـترك التّقاضي

وقال الزُّهريّ: حقيقٌ(٢) على مَنْ أَوْرَقَ بوعدٍ، أن يُثمر بفعل.

وقال المُغيرةُ: من أخّر حاجةَ رجلٍ فقد تضمّن قضاءها.

وقال الشاعر:

كفاكَ مُذكّرًا وجهي بأمري * وحَسْبي أن أراكَ وأن تراني
وكيف أحُثّ من يُعْنَى بشأني * ويعرف حاجتي ويرى مكاني

وقال الشاعر:

ياصاح قُـلْ في حاجتي * أذكرتَها فيما ذكرتَا
إنّ السّراحَ(٣) من النجا * ح إذا شَفَيتَ(٤) بما طلبتَا

(١) في الشعر والشعراء (ص ٤٤٩ طبعة أوربا): «قضيتها»، وورد فيه بعد ذكر الأبيات: «فصدقه أماه وبعث اليه بجارية».
(٢) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠ و ٩١ طبع بولاق) وفي الأصل: «حقيقة من أوهن الخ ...» والظاهر أنه تحريف.
(٣) قال في اللسان مادة (سرح): «وفي المثل: السراح من النجاح، أي اذا لم تقدر على قضاء حاجة الرجل فأيئسه، فإن ذلك عنده بمنزلة الإسعاف». وقال الميداني بعد ذكر هذا المثل: «يضرب لمن لا يريد قضاء الحاجة، أي ينبغي أن تؤيسه منها اذا لم تقض حاجته».
(٤) في الأصل: «شفيت» بالفاء.

وقال آخر :

فى تَصـدِّيكَ للطـالبِ إذْ كا * نَ بوعدٍ جرى به المِقـــدارُ

وكتب بعضُ الكتّاب إلى صديقٍ له : إن من العَجَب إذكارَ مُعْنىٍّ، وحثَّ مُتَيَقِّظٍ، واستِبْطاءَ ذاكرٍ؛ إلّا أن ذا الحاجة لا يَدَعُ أن يقولَ فى حاجته، حلّ بذلك منها أو عَقَلَ . وكتابى تذكرةٌ والسلام .

وقال الطِّرِمّاحُ :

أَلِحُسْنِ مَـــنزِلتى تُؤَخِّرُ حاجتى * أم ليسَ عندكَ لى بخيرٍ مَطْمَعُ

وقال حمزةُ بن بَيْضٍ لمَخْلَدِ بن يزيدَ بن المُهلَّب :

أَتيناكَ فى حاجـــةٍ فاقضِها * وقُلْ مَرْحبًا يَجِبُ المرحَبُ

ولا تَكِلَنّـا إلى مَعْشَـــرٍ * متى يَعِـــدوا عِدَةً يَكْذِبوا

وقال بعض المحدَثين :

حوائجُ النـاسِ كُلُّهـا قُضِيَتْ * وحاجتى لا أراكَ تَقضِـــيها

أناقـةُ[1] الله حاجتى عُقِـــرَتْ * أم نَبَتَ الحُــرْفُ[2] فى نواحِيهـا

وقال جريرٌ لعمرَ بن عبد العزيز :

أأذكُرُ الضُّرَّ والبَـلْوَى التى نزلتْ * أم تكتفِى بالذى بُلِّغْتَ من خبَرِى

وقال آخر :

أروحُ لتسليمٍ عليك وأغتَـدِى * وحسبُك بالتّسليم منّى تقاضِـيَا

كفى بِطِلابِ المرءِ ما لا ينـالُه * عناءً وباليأسِ المصرِّحِ[3] ناهِيَـا

(١) يعنى ناقة الله هنا ناقة صالح التى عقرتها ثمود . (٢) الحرف : حب الرشاد أو الخردل . ولعله يريد : أم أهملت، فكنى بنبات الحرف فى نواحيها عن الإهمال، كما يهمل كريم النبات فينبت حوله أرذله . (٣) اليأس المصرح : الخالص الذى ليس للإنسان معه أمل فى شىء، يقال : صرح الشىء تصريحا اذا صار خالصا .

وقال آخر :

ما أنتَ بالسّبب الضّعيف وإنما * نُجْحُ الأمورِ بقوّةِ الأسبابِ
فاليومَ حاجتُنا اليكَ(1) وإنما * يُدعَى الطبيبُ لكثرة الأوصابِ

كتب بعضُ الكُتّاب الى بعض السلطان : أنا أنزّهك عن التجمّلِ لى بوعدٍ يطول به المَدَى ويَعترِله الوفاء، وأُحبّ أن يتقرر عندك أن أملي فيك أبعدُ من أن أختلسَ الأمورَ منك اختلاسَ من يَرى فى عاجلِكَ عِوضًا من آجلِك، وفى الراهنِ من يومِك بدلا من المأمول فى غَدِك، وألّا تكون منزلتى فى نفسك منزلةَ مَنْ يُصرَفُ الطرفُ عنه وتُستكرَهُ النفسُ عليه ويُتكلّفُ ما فوق العفوِ له، وأن تَختارَ(2) بين العذرِ والشكرِ؛ فاللهُ يعلمُ أنّ آثَرَ الحظّين عندى أحقُّهما عليكَ، وأصونُهما لحالِى عندك .

وفى كتاب : ذو الحرمة مَلُومٌ على فَرْطِ الدّالّةِ، كما أنّ المتحرّمَ به مذمومٌ على التناسِى والإزالةِ . ومن مذهبى الوقوفُ بنفسى دون الغايةِ التى يَقْتَضِى اليها حقٌّ، لأمرين : أحدُهما ألّا أرضى بدون الحقّ أزيدَ فى الحقّ . والثانى أن أرى النفيسَ من الحظّ زهيدا اذا أتى من جهة الإرهاقِ. ولى ذِمامُ المودّةِ الصادقةِ التى كلُّ حُرْمةٍ تَبَعٌ لها، وحق الشكرِ الذى جعله الله وفاءً بالنعم وإن جلّ قدرُها؛ وأنتَ مُراعِى المعالى وحافظُ بقيّةِ الكرم؛ فأىُّ سبيلٍ للعذرِ، بل أىّ موضعٍ للإكداء بين حُرْمَتِى ورعايتكَ، وذِمامِى وكرمِك ! .

قال أحمد بن يوسف : أوّلُ المعروفِ مُسْتَخَفٌّ، وآخرُه مُسْتَثقَلٌ؛ يكاد أوّلُه(3) يكون للهوى دون الرأى، وآخرُه للرأى دون الهوى . ولذلك قيل : ربُّ الصّنيعةِ أشدُّ من ابتدائها .

(1) فى الأصل : «اليه» وما أثبتناه يتفق مع السياق . (2) فى الأصل : «يختار» بالياء المثناة من تحت . (3) ربّ الصنيعةَ ربًّا : تعهدها ونماها .

قال أبو عطاء السِّنْدىّ فى يزيدَ بن عمر [بن هُبَيرة] :

ثلاثٌ[1] حُكْتُهنّ لقَرْمِ[2] قيس * رجَعْنَ الىّ صِفْرًا خائبات

أقام على الفُرات يزيدُ شهرًا * فقال الناسُ أيُّهما الفراتُ[3]

فيـا عجبًا لبحرٍ فاض يسقِى * جميعَ الناسِ لم يَبْلُلْ لَهَـاتِى[4]

حال المسئول عند السؤال

قال الشاعر[5] :

سألنـاه الجزيلَ فـا تَلَكَّا[6] * وأعطى فوق مُنيتنـا وزادا

مِرارًا ما أعود[7] إليـــه إلّا * تبسّم ضاحكا وثنَى الوِسادا

وقال آخرُ :

قومٌ اذا نزل الغـريبُ بدارهم * تركوه رَبَّ صَـواهلٍ[8] وقِيانِ

وإذا دعوتَهُـمُ ليومٍ كريهـةٍ * سَدُّوا شُعَاعَ الشمسِ بالفُرْسانِ

لا ينقُرونَ الأرضَ عند سؤالهم * لِتلَمُّسِ العِـلّات بِالعِيـدانِ

بل يبسُطونَ وجوهَهم فترى لها * عند السؤال كأحسنِ الألوانِ

وقال آخرُ :

يَجعَـــلُ المعـروفَ والبِرَّ ذُخْرًا * ويَعُـدّ الحمـدَ خـيرَ التِّجارَه

(١) يعنى ثلاث قصائد . (٢) كذا فى الشعر والشعراء لمؤلف . وفى الأصل : «لقوم» . (٣) فى هذا البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروىّ ، وقد تقدم هذا الشعر قريبا برواية أخرى يمدح به أباه فى ص ١٤١ وليس فيه هذا العيب . (٤) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . (٥) هو زياد الأعجم يمدح عمر بن عبد الله . (٦) فى الأغانى (ج ١٤ ص ١٠٢ طبع بولاق) «تأبى» . (٧) فى الأغانى : «ما دنوت» . (٨) كذا فى العقد الفريد . والصواهل : جمع صاهل وهو الفرس والبعير الذى يخبط برجله ويده الأرض ولا يرغو ، وفى الأصل : «صياهل» ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا صيغة هذا الجمع .

وإذا ما جئتَه تجتديهِ * خِفْته بشَّرتْه بِشارهْ
فترى فى الطَّرْفِ منه حياءً * وترى فى الوجه منه استنارهْ

وقال آخر :

إذا غدا المهدىُّ فى جنده * أو راح فى آل الرسول الغِضابْ
بدا لك المعروفُ فى وجهه * كالضوء يجرى فى ثنايا الكِعابْ (١)

وأنشدنى العُتْبىّ :

له فى ذُرَى المعروف نُعْمَى كأنها * مواقع ماءِ المُزْن فى البلد القَفْرِ
إذا ما أتاه السائلون توقّدتْ * عليه مصابيحُ الطلاقةِ والبِشْرِ

والمشهور فى هذا قول زهيرٍ :

تَراه اذا ما جِئتَه متهلّلًا * كأنّك تُعطيهِ الذى أنتَ سائلُهْ

وسأل رجل من الأعراب رجلا [فلم يُعْطِه] شيئا، فقال :

كَدَحْتُ بأظفارى وأعمَلْتُ مِعْوَلِى * فصادَفْتُ جُلْمُودًا من الصَّخر أملَسَا
تشاغَلَ لما جئتُ فى وجه حاجتى * وأطرَقَ حتى قلتُ قد ماتَ أو عسَى
وأجمعتُ أن أنعاه حين رأيتُه * يفوقُ فُواقَ [الموت] (٢) ثم تنفّسَا
فقلتُ له لا بأسَ ، لستُ بعائذٍ (٣) * فأفرخَ (٤) تعلوهُ الكآبةُ مُبلِسَا

وقال مسلمٌ :

أطرقَ لما أتيتُ ممتدِحًا * فلم يقُلْ "لا" فضلًا على "نَعَمِ"

---

(١) الكعاب : جمع كاعب، والكاعب : الجارية الناهد . والثنايا : أربع أسنان فى مقدم الفم : ثنتان فى الفك الأعلى وثنتان فى الأسفل . (٢) زيادة يستقيم بها المعنى والوزن . (٣) العائذ : الملتجئ . وفى الأصل : «بعاند» بالدال المهملة . (٤) مأفرخ : ذهب روعه، وفى الأصل : « مافرج » بالجيم . ومبلسا : حزينا مفكرا .

نخفتُ إن ماتَ أن أُقادَ به * فقمتُ أبغى النَّجاةَ من أَمَمِ[1]
لو أنّ كنزَ البـــلادِ فى يده * لم يَدَعِ الإعْتِـــلاَلَ بالعَـــدَمِ

وقال الحارث الكِنْدِىّ :

فلما أن أتيناه وقلنــا * بحاجتنا تَلَوَّنَ لونَ وَرْسِ[2]
وآضَ بكفّه يَحْتكُّ ضرسًا * يُرِينَــا أنه وَجِعٌ بِضِرْسِ[3]
فقلتُ لصاحبى أبه كُزَازٌ[4] * وقلتُ أَسِرّه أتُراه يُمْسِى
وقمنَا هاربيْن معًا جميعًا * نُحاذِرُ أن نُزَنَّ[5] بقتلِ نَفْسِ

قال الأصمعىّ :

دخل أعرابىّ على المُسَاوِرِ الضَّبِّىّ وهو بِبُنْـدَارِ[6] الرّىّ ، فسأله فلم يُعطه شيئا ، فأنشأ يقول :

أتيتُ المساورَ فى حاجـــةٍ * فما زال يَسْعُلُ حتى ضَرَطْ
وحكَّ قفـــاه بكُرْسُوعِه[7] * ومَسَّـــحَ عُثْنُونَه وامْتَخَطْ
فأمسكتُ عن حاجتى خِيفةً * لأخرى تُقَطِّعُ شَرْجَ[8] السَّفَطْ
فأُقسِمُ لو عُـــدتُ فى حاجتى * لَلَطَّـــخَ بالسَّلْحِ[9] وَشْىَ النَّمَطْ[10]
وقال غَلِطْنا حسابَ الخــراجِ * فقلتُ من الضَّرْطِ جاء الغَلَطْ

قال : فكان العاملُ كلّما ركِبَ صاح به الصِّبيانُ . « من الصرط جاء العلط » فهرب من عير عزْل الى ملاد أصبهانَ .

---

(١) من أمم : من قريب . (٢) الورس : نبات أصفر يصبغ باليمن . (٣) آض : صار وعاد . (٤) الكزاز : داء يحصل من شدة البرد أو رعدة . (٥) نزن : نتهم .
(٦) البندار : الحافظ . (٧) الكرسوع : طرف الزند الذى يلى الخنصر . (٨) الشرج بالتحريك : العرى ، ومكان للصرورة . والسفط : وعاء كالقفة ، وشرج السفط هنا كناية عن الأست .
(٩) السلح : النجو . (١٠) النمط : الفراش .

وقال نهارُ بنُ تَوسِعةَ فى قُتَيبةَ بن مسلم :

كانتْ خُراسانُ أرضا اذ يزيدُ بها * وكلُّ بابٍ من الخيرات مَفتوحُ
فبُدِّلَتْ بعـــدَه قِردًا نُطِيفُ به * كأنما وجْهُـهُ بالخلّ مَنضُوحُ

وقال جرير[1]:

يَزِيدُ يُغضُّ الطَّـــرفَ دونى كأنمـا * زَوَى بين عينَيْـــهِ عـلىَّ المحاجِمُ[2]
فلا يَنبَسِطْ من بين عينَيْكَ ما آنزَوى * ولا تلقَـــنِى إلا وأنفُـــكَ رَاغِـمُ

وقال آخَرُ :

لا تَسأَلِ المرءَ عن خلائقه * فى وجههِ شاهدٌ من الخبَرِ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن الأبجّ[3] عن البَتّىّ قال قال محمـد بن واسع : إنك لتعرِفُ فُجورَ الفاجر فى وجهه .

قال أبو العتاهية :

مالى أرَى الناس قـد أبرقُوا[4] * بلُؤمِ الفِعال وقـــد أرعدوا
اذا جئتَ أفضلَهم للســـلا * م ردّ وأحشـاؤه تُرعَــدُ
كأنكَ، من خشيةٍ للســـؤا * ل، فى عينه الحيّةُ[5] الأسـودُ

(١) نسب المبرّد فى الكامل (ج ١ ص ٣٩٦ طبـع أوربا) هذا الشعر للأعشى يعاتب به يزيد بن مسهر الشيبانى ، وورد فى الأغانى فى ترجمة الأعشى (ج ٨ ص ٨٦ طبع بولاق) ولسان العـرب مادّة «زوى» ما يؤيد ذلك . (٢) المحاجم : جمع محجم ، وهو قارورة الحجام . (٣) ورد هذا الاسم فى الأصل هكذا «الأيج» بالياء المثناة من تحت ، ولم نعثر فى الرواة على من تسمى بهذا الاسم . وقد ورد فى تهذيب التهذيب حماد بن يحيى الأبح ، فلعله محرّف عنه . (٤) دخل هذا البيت الخرم وهو حذف الحرف الأوّل من «فعولن» وفى هذه الحالة يسمى «أثلم» . وقد ورد فى ديوانه طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين هكذا : ترى الناس طرا وقد أبرقوا ... ... الخ .

(٥) كذا فى ديوانه، وفى الأصل : «الأسد الأسود» .

وقال آخر :

إذا ما الرزقُ أحجمَ عن كريمٍ * فألجأه الزمانُ إلى زيادِ
تلقّاه بوجهٍ مُكفهِرٍّ * كأنّ عليه أرزاقَ العبادِ

وقال آخرُ :

ولي خليلٌ ما مسّني عدمٌ * مذ نظرتْ عينُه إلى عدمي
بشّرني بالغنى تهلُّلُه * وقبل هذا تهلّلُ الخدَمِ
وصحّةُ الزائرين بيّنةٌ * تُعرَفُ قبل اللقاء في الحشَمِ

العادةُ من المعروف تُقطَعُ

كان يقال : انتزاعُ العادةِ ذنبٌ محسوبٌ .

وقال أبو الأسود [الدُّؤلي] (١) :

ليت شعري عن أميري ما الذي * غاله في الودّ حتى ودّعَهْ
لا تُهنّي بعد إذ أكرمتَني * وشديدٌ عادةٌ مُنتزَعَهْ
أذكرِ البلوى التي أبليتَني * وكلامًا قلتَه في المجمَعَهْ (٢)
لا يكنْ برقُك برقًا خُلَّبًا * إنّ خيرَ البرقِ ما الغيثُ معَهْ

والمشهورُ في هذا قولُ الأعشى :

عوّدتَ كِندةَ عادةً فاصبرْ لها * واغفِرْ لجاهلها وروِّ سِجالَها

(١) وردت هذه الأبيات في حماسة البحتري (ص ٢٧٢ طبعة أوروبا) برواية أخرى منسوبة لأنس ابن أبي أنس الليثي وهي :

سل أميري ما الذي غيّر لي * ودّه والصنع حتى ودّعه
ما الذي أنكر من فأتى * وهو يبدي لي أمورا شنعه
لا تهنّي بعد إكرامك لي * وشديد عادة منتزعه
واذكر العهد الذي عاهدتني * وحديثا قلته في المجمعه
ليت من يسعى بسوء بيننا * حمّه الليل بأرض مسبعه

(٢) المجمعة : مجلس الاجتماع ، قال الشاعر : وتوقد ناركم شررا ويرفع * لكم في كل مجمعة لواء

سأل أعرابيٌّ قوماً، فرقّ له رجلٌ منهم فضمّه اليه وأجرى له رزقاً أياماً ثم قطع عنه؛ فقال الأعرابيّ :

تَسَرَّى[(١)] فلمّا حاسبَ المرءُ نفسَه * رأى أنه لا يستقيم له السَّرْوُ

وقدِم أبو زيادٍ الكِلَابيّ مع أعرابٍ سنةَ القَحْمة[(٢)]، فأجرى عليهم رجلٌ رغيفا لكل رجلٍ ثم قطعه؛ فقال أبو زياد :

إن يقطعِ العباسُ عنا رَغيفَهُ * فما يأتِني من نِعمةِ الله أكثرُ[(٣)]

والحكماء تقول : «العادة طبيعةٌ ثانيةٌ» .

وفى الحديث : "الخيرُ عادةٌ والشرّ لجاجةٌ" .

وقال بعضُ الشعراء لرجلٍ من الأشراف :

ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجِد * أحدا سِواك الى المكارم يُنْسَبُ
فاْصبِرْ لعادتك التى عوّدتنا * أولا فأرشِدْنا الى مَنْ نَذهبُ

وتقولُ العربُ فيمن اصطنعَ معروفا ثم أفسده بالمنّ أو قطعه حين كاد يتمّ : «شوَى[(٤)] أخوكَ حتى اذا أنضجَ رمَّدَ» .

قال أبو كعب القاصّ : كان رجل يُجرِى علىّ رغيفا فى كلّ يوم، وكان يقول اذا أتاه الرغيفُ : لعنك الله ولعن من بعث بك، ولعننى إن تركتُك حتى أُصيبَ خيرا منك.

والعربُ تقولُ فى مثل هذا : «خُذْ[(٥)] من الرَّضْفةِ ما عليها» .

(١) تسرّى : تكلف السرو، والسرو: السخاء . (٢) القحمة : القحط . (٣) دخل على هذا البيت الخرم وقد تقدّم شرحه فى صفحة ١٥٥ حاشية رقم ٤ (٤) كذا فى مجمع الأمثال للميدانى . ورمد : ألقى الشىء فى الرماد . وفى الأصل : « رمّل » باللام وهو يصح به المعنى أيضا .

(٥) هذا المثل يضرب فى اغتنام الشىء من البخيل وإن كان نزرا ، والرضفة : الحجارة المحماة يوغر (يسخن) بها اللبن، وهى اذا ألقيت فى اللبن لزق بها شىء منه .

وقال الشاعر :

وخُذِ القليلَ من اللئيم وذُمَّهُ * إنّ اللئيم بمـا أتى معذورُ

ومعذور : موسوم فى موضع العِذار، وليس هو من العذر .

الشكـــر والثنـــاء

حدّثنى شيخ لنا عن وَكيع عن سفيان عن منصور عن هلال بن أساف[(١)] قال قال صلى الله عليه وسلم : " اذا صَلّى أحدُكم فَلْيُدْنِ[(٢)] عليه من سِـتر بيته فانّ الله عزّ وجلّ يَقسِمُ الثناء كما يَقسِمُ الرزقَ " .

وحدّثنى أيضا عن وَكيع عن سعيد عن أبى عِمرانَ الجَوْنِى عن عبـد الله بن الصّامت قال قال أبو ذرّ : قلتُ للنبيّ صلى الله عليـه وسلم : الرجلُ يعمَل العمـلَ ويحبّه الناس؟ قال: " تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المؤمِنِ " .وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " إذا أردتُم أن تَعلَموا ما لِلعبدِ عند اللهِ فانظُروا ما ذا يَتْبَعُه مِن الثَّناءِ " .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : كان يقال : الثناء يُضَاعَفُ كما تُضاعَفُ الحسناتُ ؛ يكون الرجل سخيًّا فيزيدُ اللهُ فى سخائِه ، و يكون شُجاعًا فيزيدُ الله فى شجاعته .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعيّ عن العُمَرىّ قال :قال رجلٌ لعمر بن الخطّاب رضى الله عنـه : إنّ فلانًا رجلُ صِدْقٍ ؛ قال : سافرتَ معـه ؟ قال لا . قال : فكانت بينك و بينه خُصُومةٌ ؟ قال لا . قال : فهـل آئتمنتَه على شيء؟ قال لا . قال : فأنت الذى لا علم لك به، أراك رأيتَه يرفع رأسَه ويَخْفِضه فى المسجد ! .

---

(١) ترجم له فى الخلاصة ، وتهذيب التهذيب تحت اسم هلال بن يساف بالياء المثناة وقال فى التهذيب : « و يقال ابن أساف » .

(٢) و رد هذا الحـديث فى الجامع الصغير هكذا : « اذا صلى أحدكم فليصل الى سترة وليدن من سترته لا يقطع الشيطان عليه صلاته » .

قال بعضُ الحكماء : إذا قصُرتْ يدُك عن المكافأة فلْيَطُلْ لسانُك بالشكر .

وقال آخرُ : حقُّ النِّعمةِ أن تُحسِنَ لباسَها، وتَنْسُبَها إلى وليّها، وتذكُرَ ما تناسى عندك منها .

وقال بعضُ الحارثيّين :

عثمانُ يعـلَمُ أنّ الحمـدَ ذو ثمنٍ * لكنّه يَشْتهِى حَمـدًا بمجّانِ
والناسُ أكيَسُ من أن يَحمَدُوا أحدًا * حـتى يَرَوْا قبـله آثارَ إحسـانِ

وقال حمّـادُ عَجْرَد :

قد يَنقضِى كلُّ ما أُولِيتَ من حَسَنٍ * إذا أتى دونَ ما أُولِيتَ يومانِ
تنْأى بُودّك ما آستغنيتَ عن أحدٍ * وإن طمِعْتَ فأنتَ الواصلُ الدّانى
الشّهدُ أنتَ إذا ما حاجةٌ عرَضَتْ * وحَنْظَـلٌ كلّما آستغنيتَ خُطْبانُ[1]

وقال عِمْرانُ بن حِطّان :

وقد عرَضَتْ لى حاجةٌ وأظنّنى * بأنّى إذا أنزلتُها بك مُنْجِحُ
فإن أكُ فى أخذ العطيّـة مُرْبِحًا * فإنك فى بـذل العطيّـة أربَحُ
لأنّ لك العُقْبَى من الأجرِ خالصًا * وشُكرِىَ فى الدنيا، فحظّك أرجَحُ

وقال معاويةُ بن أبى سُفيانَ يعاتب قُرَيشا :

اذا أنا أعطيتُ القليلَ شكوتمُ * وإن أنا أعطيتُ الكثيرَ فلا شُكْرُ
وما لمتُ نفسى فى قضاء حقوقكمْ * وقد كان لى فيما آعتذرتُ به عُذرُ
وأمنحكمْ مالى وتكْفرُ نِعمتى * وتَشْتِمُ عِرضى فى مجالسها فِهْـرُ

(١) أخطب الحنظل : أصفرّ وصار خطبانا وهو أن يصفرّ وتصير فيه خطوط خضر . وفى الأصل : « حطبان » بالحاء المهملة وهو تحريف . وفى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروى .

إذا العذرُ لم يُقبَلْ ولم ينفعِ الأسى * وضاقت قلوبٌ منهمُ حَشوُها الغِمرُ (١)

فكيف أداوى داءكم ودواؤكم * يَزيدكم غَيّا ! فقــد عظُمَ الأمرُ

سأحرِمُكمْ حتى يَذِلّ صِـعابكم، * وأبلُـغُ شيءٍ في صَلاحِكمُ الفقــرُ

وقال طُرَيحٌ الثقفيّ :

سَعيتُ ابتغاءَ الشكر فيما صنعتَ بي * فقصّــرتُ مغلوباً وإنى لشـاكرُ

ومثله قول الخُرَيمي :

لِأنك تُعطيـــنى الجزيلَ بَداهــةً * وأنت لِمَا استكثرتُ من ذاك حاقرُ

ومثلُه قولُه أيضـا :

زاد معروفَكَ عنـدي عِظَمًا * أنه عنــدك مَحقُورٌ صَــغيرُ

تَتَنـاساه كأنْ لم تأته * وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ

قال رجل لبعض السلطان : المواجهةُ بالشكر ضربٌ من الملَق ، منسوبٌ من عُرِف بها الى التخلّقِ (٢)؛ وأنت تَمنَعُني من ذلك وترفع الحالُ بيننـا عنه ، ولذلك تركتُ لقاءك به ، غير أني من الاعتراف بمعروفك ونَشرِ ما تَطوِى منه والإشادةِ بذكره عند إخوانك والانتسابِ إلى التقصير مع الإطناب في وصفه، على ما أرجو أن أكونَ قد بلغتُ به حالَ المحتمِلِ للصَّنيعة، الناهضِ بحقّ النعمة .

قال ابنُ عنقاء الفَزاريّ :

رآني على ما بي عُمَيلَةُ فاشتكَى * الى ماله حالي أسَرّ كما جَهَرْ

دعاني فآساني ولو صَدّ لم أَلُمْ (٣) * على حين لا بَدوٌ يُرَجّى ولا حَضَرْ

فقلتُ له خيراً وأثنيتُ فِعلَه (٤) * وأوفاك ما أسديتَ مَنْ ذمّ أو شكَرْ

---

(١) الغمر (بالكسر) : الحقد . (٢) تخلق الرجل : أظهر فى خلقه خلاف ما فى نفسه .
(٣) فى ديوان الحماسة لأبى تمام ص ٦٩٦ طبع أوربا : «صد» . (٤) أثنيت فعله أى على فعله ، فحذف حرف الجر، ويجوز أن يكون عدّى أثنى لأنه بمعنى مدح (انظر شرح الحماسة للتبريزى) .

وقال آخر[1] :

ساشكر عمــرًا إن تراخت منيّتى * أيادىَ لم تُمْنَن وإن هى جلّتِ
فتًى غيرُ محجوبِ الغِنَى عن صديقه * ولا مُظْهِرِ الشكوَى اذا النعلُ زَلّتِ
رأى خَلّتى[2] من حيثُ يَخفَى مكانُها * فكانت قَذَى عينيــه حتى تجلّتِ

وقرأتُ فى كتاب للهند : أربعةٌ ليست لأعمالهم ثمرة : مُسَارُّ الأصمّ ، والباذرُ فى السَّبِخَة ، والمُسْرِجُ فى الشمس ، وواضعُ المعروف عند مَنْ لا شكرَ له .

وقال بعضُ الشـعراء المُحْدَثين ، وقيل : إنه للبحترىّ ، فبعثتُ إليه أسأله عنـه فأعلمنى أنه ليس له :

فلو كان للشكر شخصٌ يَبِينُ * إذا ما تأمّــله الناظــرُ
لبيّنتُــهُ لك حــتّى تراه * فتعــلَمَ أنّى آمرؤٌ شاكرُ
ولكنه ساكنٌ فى الضميرِ * يُحَــرِّكه الكَلِمُ السائرُ

وقال آخرُ :

فلو كان يَستغنى عن الشكر سيِّدٌ * لعِــزّة مُلْكٍ أو عُلوِّ مَــكانِ
لمــا أمر اللهُ الجليــلُ بشكره * فقــال آشكرونى أيهــا الثَّقلانِ

وقال آخرُ :

فأثنُــوا علينا لا أبَا لأبيكمُ * بإحساننا إنّ الثناءَ هو الخُلْدُ

وقال رجل من غَنِيٍّ :

فإذا بلغتم أهلكم فتحدّثوا * ومن الثناء مَهَالِكٌ وخُلودُ

---

(١) يقال : إنه محمد بن سعيد الكاتب (انظر ديوان الحماسة لأبى تمام ص ٦٩٧ طبع أوربا) .

(٢) الخلة (بالفتح) : الفقر والحاجة .

وكانت عائشة رضى الله عنها تتمثّل بقول الشاعر :

يَجزيك أو يُثنى عليك وإنّ مَنْ * أثنى عليك بما فعلتَ كمن جَزَى

وقال الحارثُ بن شدّاد فى علىّ بن الربيع الحارثىّ :

الناسُ تحتك أقدامٌ وأنت لهم * رأسٌ وكيف يُسوَّى الرأسُ والقدمْ
حسْبُهُ من ثناء المادحين إذا * أثنَوْا عليك بأن يُثنوا بما علموا

وقال آخر :

بأىّ الخصلتين عليك أُثنى * وإنى عند منصرَفى مَسُولُ
أبالحُسنى وليس لها ضياءٌ * علىّ فمَنْ يُصدّقُ ما أقولُ
أم الأُخرى ولستَ لها بأهلٍ * وأنت البحرُ من ذهبٍ يسيلُ

وقال بشّار :

أُثنِى عليك ولى حالٌ تُكذّبنى * فيما أقول فأستحيى من الناس
قد قلتُ إنّ أبا حفص لأكرمُ مَنْ * يمشى فخاصمنى فى ذاك إفلاسى

وكتب بعض الكتّاب إلى وزير : لستَ تُشبه حالَنا فى الحُرْمة ، ولا تُشبه حالَك فى الجاه والقُدرة، ولا ظاهرُ ما نحن عليه الباطن . وليس بعد حُرمتى حرمةٌ، ولا فوق سَبَبى سببٌ ، ولا بعد حالك حالٌ تُرتَجى، ولا بعد منزلتك منزلةٌ تُتمنّى، ولا تنتظر شيئا ولا أنتظره، ولا أتوقّع حقّا أزيدُه فى حقوقى، ولا نتوقّع فائدة تزيدها فى ذات يدك . وكم تحتال بالألفاظ، وتُموّه بالمعانى، والناس يحتجّون بالعمل ويقضون بالعيان .

وقال بعض الشعراء :

وزهّدنى فى كلّ خيرٍ صنعتُه * إلى الناس ما جرّبتُ من قلّة الشكرِ

وقال أبو الهَوْل فى أبى المراء عُتْبة بن عاصم :

اذا فاخرَتْنَا من مَعَدٍّ عِصابةٌ * فخرنا عليها بٱبن عُتْبَةَ عاصِمِ
يَجُرُّ رِياطَ الحمدِ فى دار قومه * ويختال فى عِرْضٍ من الذمّ سالِمِ

وقال رجل لبعض السلطان : مِثلك أوجب حقًّا لا يجب عليه ، وسمَح بحقّ يجب له ، وقبِل واضحَ العذر، وٱستكثرَ قليلَ الشكرِ . لا زالت أياديك فوق شكرِ أوليائك، ونعمةُ الله عليك فوق آمالهم فيك .

وكتب آخر :

ما أنتهى الى غايةٍ من شكرك ، إلا وجدتُ وراءها غايةً من معروفك يَحْسُرنى(١) بلوغُها . وما عَجَز الناسُ عنه فالله من ورائه . فلا زالت أيامك ممدودةً بين أملٍ [لك] تبلغه، وأملٍ فيك تُحقّقُه، حتى تَمَلَّ من الأعمار أطولَها، وتنالَ من الهِبَاتِ أفضلَها .

ونحو هذا قولُ آخر :

كان لى فيك أملانِ : أحدُهما لك، والآخَرُ بك . فأمّا الأملُ لك فقد بَلَغتَه، وأمّا الأملُ بك فأرجو أنْ يُحقّقَه الله ويُوشِكَه .

وفى كتاب آخر :

أيّامُ القدرةِ وإن طالتْ قصيرةٌ، والمُتْعةُ بها وإن كَثُرتْ قليلةٌ، والمعروفُ وإنْ أُسدِىَ الى من يَكفُرُه مشكورٌ بلسان غيره .

وفى كتاب بعض الكُتّاب :

وما ذكرتُ — أعزّك الله — من ذلك قديمًا ولا جَدّدتَ منه حديثًا ، إلّا وأصغرُ أملى فيك فوقَه وإن كان ٱستحقاق دونه . فإن أقضِ واجبَ حقّ الله علىّ

(١) يحسرنى (من باب نصر، ويجوز فيه أحسر أيضا) : يعيينى ويتعبنى .

فى شكر نعمك بتوفيقه وعونه، وإن أُقصّر عن كُنْهه فعن غير تقصير فى بلوغ الجهد فيـــه .

وفى هذا الكتاب :

أمّا ما بذل الأمير من ماله، فذلك ماقد سبق الرجاء بل اليقين اليه، معرفة منّى بطَوْله وكرمه، وليس ينكر أياديه ولا يدع صنائعه . وما يرشدنى أملى بعد الله إلّا اليه، ولا أفزع لحادثة الى غيره، ولا أتضاءل لنائبة معه. ولو عجزت عن النهضة لمـا حاولت الاستقلال والانتعاش إلّا به. ومال الأمير الكثير المذخور عند انقطاع الحِيَل، لا مُعنَّف طالبه، ولا مُخوَّف على الردّ عنه واهبه، ولا عائق منع دونه، ولا تنغيص من ورائه ؛ ولا كثرَ أولى بالصون وأن يُحصَّل وَقفًا على النوائب والعواقب من كثرِ مَنْ هذه حاله .

قالت بنو تميم لسلامة بن جندل(1) : مجّدنا بشعرك ؛ فقال : افعلوا حتّى أُثنِيَ .
ونحوه قول عمرو بن معديكرب :

فلو أنّ قومى أنطقتنى رماحهم * نطقتُ ولكنّ الرّماحَ أجرّتِ(2)

قال رجل من قريش لأشعب : والله ما شكرتَ معروفى عندك ؛ فقال : إنّ معروفك كان من غير مُحتسِب، فوقع عند غير شاكر .

وقال أبو نُوَاس :

أنت امرؤٌ أوليتـــنى نعمًا * أوهتْ قُوَى شكرى فقد ضعُفا

---

(١) كذا فى الشعر والشعراء (ص ١٤٧ س ٤) وخزانة الأدب للبغدادى (ج ٢ ص ٨٦ س ٢٢) وفى الأصل : « حندب » بالباء وهو تحريف . (٢) أجرّت : قطعت، يقول : لو قاتل قومى أو أبلوا لذكرت ذلك وفخرت بهم ، ولكن رماحهم أجرّتنى أى قطعت لسانى عن الكلام بفرارهم .

فإليكَ بعدَ اليومِ تقدِمةً * وَآلَتكَ[1] بالتصريحِ مُنكشِفَا
لا تُحدِثَنّ إليّ عارفةً * حتّى أقومَ بشكرِ ما سَلَفَا

وقال أبو نُخَيْلة :

شكرتُكَ إنّ الشكرَ حبلٌ من التُّقَى * وما كلُّ مَنْ أقرضتَه نعمةً يَقضِي
فأحييتَ من ذِكرِى وما كان مَيِّتًا[2] * ولكنّ بعضَ الذِّكرِ أنبهُ من بعضِ

آخــر :

لأشكُرنَّك معروفًا هَمَمتَ به * إنّ اهتمامَك بالمعروفِ معروفُ
ولا أَلومُك إن لم يُمضِهِ قَدَرٌ * فالشيءُ بالقَدَرِ المحتومِ مصروفُ

وقال رجل لسعيد بن جُبَير : المجوسىُّ يُولينى خيرًا فأشكرُه، ويُسلِّمُ علىّ فأردُّ عليه ؛ فقال سعيد : سألتُ ابنَ عبّاس عن نحو هذا، فقال لى : لو قال لى فرعونُ خيرا لرَدَدتُ عليه مثله .

أنشد ابن الأعرابىّ :

أهلكَتْنى بفلانٍ ثِقَتِى * وظُنونٌ بفلانٍ حسَنَهْ
ليس يَستوجِبُ شكرًا رجلٌ * نِلتُ خيرًا منه من بعدِ سَنَهْ

وقال بعضهم : لا تثِقْ بشكرِ من تُعطيه حتى تمنَعه ؛ فإنّ الصابرَ هو الشاكر، والجازعَ هو الكافر .

وقال أَوْسُ بن حَجَر :

سأَجزِيكَ أو يَجزِيكَ عَنّى مُثوِّبٌ[3] * وقصدُكِ أنْ يُثْنَى عليكِ وتُحمَدِى

---

(١) وآلتك : تابعتك ، وفى ديوانه المطبوع : فإليك قبل اليوم تقدمة * لاقتك بالتصريح مكشفا
(٢) فى نهاية الأرب : * ونبهت لى ذكرى وما كان خاملا * (٣) كذا فى ديوانه طبع أوربا والأغانى (ح ١٠ ص ٧ طبع ولاق) ، وفى الأصل :
... . مى مثوب ، وحسبك منّى أن أوَدّ وأحمَدَ وروىّ القصيدة بالكسر .

والعربُ تقول : فلانٌ « أشكَرُ من البَرْوَق » وهو نبت ضعيف ينبتُ بالسحاب إذا نشأ و بأدنى مطر .

وقال الشاعر :

لئن طِبتَ نفْسًا عن ثَنَائِى فإننى * لَأَطيَبُ نفسًا عن نَدَاك على عُسْرى
فلستُ الى جَدْواكَ أعظَمَ حاجةً * على شِدّةِ الإعسارِ منكَ إلى شُكرِى

وقال آخر :

حَسْبُ آمرِئٍ إن فاتنى غرضٌ * من بِرّه أنْ فاته شُـكْرِى
إنّى اذا ضاق آمرؤٌ بجَـدًا[1] * عنّى آتّسعتُ عليـه بالعُــذْرِ

وقال الطائىّ لإسحاق بن إبراهيم :

ومُحَجَّبٍ حاولتُـه فوجدته * نَجْمًا عن الركبِ العُفاةِ شَسُوعَا
أعدمتُـه لمّـا عَدِمتُ نوالَه * شُكرِى فرُحْنا مُعدِمَيْن جميعَا

وقال :

فإنْ يكُ أرْبَى[2] عفوُ شكرِى على نَدَى * أُنَاسٍ فقد أرْبَى نَدَاهُ على جُهدِى

وقال :

وكيفَ يجورُ عن قَصْدٍ لسانِى * وقلبى رائحٌ برِضَاكَ[3] غادِى
ومِمّـا كانتِ العلمـاءُ قالتْ * لسانُ المرءِ مِن خَدَمِ الفُـؤادِ

وقال :

أبا سَـعيدٍ وما وصفِى بمُتَّهَـمٍ * على الثَّنـاءِ[4] وما شُكرِى بمُخْتَرَمِ

(١) الجدا : العطية . (٢) كذا فى ديوان أبى تمام ، وفى الأصل : «أدنى» وهو تحريف .
(٣) كذا فى ديوان أبى تمـام وهو الذى يناسب البيت الذى بعده ، وفى الأصـل : « بذاك » .
(٤) فى الديوان : «على المعالى» .

لئن جَحَدتُكَ ما أوْليتَ من نِعَمٍ * إنّى لفى الشُّكر أحظى منك فى النِّعَمِ (١)
أنسى ٱبتسامُك والألوانُ كاسِفةٌ * تبسُّمَ الصبح فى داجٍ من الظُّلَمِ
رَدَدتَ رَونَقَ وجهى فى صَفيحتِه * رَدَّ الصِّقالِ بَهاءَ الصارِمِ الخَذِمِ
وما أُبالى، وخيرُ القول أصدقُه، * حَقَنتَ لى ماءَ وجهى أم حقنتَ دَمِى

وقال :

فلا تَكدَرْ حِياضُك لى فإنى * أَمُتُّ اليك آمالًا طِوالَا
وفِرْ (٢) جاهِى علىّ فانّ جاهى * اذا ما غَبَّ يومٌ كان مالَا

وقال :

يا مِنّةً لك لولا ما أُخَفِّفُها * به من الشكر لم تُحمَلْ ولم تُطَقِ
بالله أدفعُ عنّى ثِقلَ فادِحِها * فإنّنى خائفٌ منه (٣) على عُنُقِى

وقال بشّارٌ فى عمرَ بنِ العلاء :

دعانى الى عُمَرٍ جُودُه * وقولُ العشيرةِ بَحرٌ خِضَمّْ
ولولا الذى زعموا لم أكن * لِأمدحَ رَيحانةً قبلَ شَمّْ

ويقال : الشكر ثلاثُ منازلَ : لِمن فوقك بالطاعةِ، ولِنظيرِك بالمكافأةِ، ولمن دونك بالإفضال عليه .

---

(١) كذا ورد هذا الشطر فى الأصل ، وهو غير واضح المعنى، وقد ورد البيت فى الديوان هكذا :

لئن جَحَدتُكَ ما أوليتَ من حسَنٍ * إنى لفى اللوم أحظَى منكَ فى الكرمِ

(٢) فِرْ : فعل أمر من قولهم : وفَرَ عِرضَه ويوفره له لم يشتمه كأنه أبقاه له طيبا لم ينقصه بشتم قال الشاعر :

ألكنى وفِرْ لابن الفريرة عِرضه * الى خالد من آل سلمى بن جندل

(٣) فى الديوان «منها» .

قال إبراهيمُ بنُ المهدىّ[1] يشكر المأمونَ :

رَددتَ مالى ولم تَمْنُن[2] علىّ به * وقبل ردِّكَ مالى قد حَقَنْتَ[3] دَمِى
فأُبْتُ منــكَ وقــد جلّلتَنِى نِعَماً * هى الحياتان من موتٍ ومن عَدَمِ
فلو بذلتُ دَمِى أبغى رضــاكَ به * والمــالَ حتى أسُلَّ النعلَ من قدَمِى
ما كان ذاك سِوى عاريّةٍ رجعَتْ * اليـكَ لولم تُعِـرْها كنتَ لم تُلَمِ
وقام علمُكَ بى فاحتجَّ عندكَ لى * مقامَ شـاهدٍ عدلٍ غيرِ مُتَّهَمِ

وقال آخرُ، وبلغنى أنه الخَثْعَمىّ :

فاذْهَبا بى إن لم يكن لكما عَقْـ * ـرٌ الى جَنب قـبره فاعقِـرانى
وانضَحا من دمى عليه فقد كا * ن دمى من نَداه لو تَعلمانِ

وفد رجل على سليمانَ بن عبد الملك فى خلافته ؛ فقال له : ما أقدمكَ؟ قال : ما أقدمنى عليك رَغْبةٌ ولا رَهْبةٌ؛ قال : وكيف ذاك؟ قال : أما الرَّغبةُ فقد وصَلَتْ الينا وفاضتْ فى رِحالنا وتَناوَلهــا الأقصى والأدنى منّا، وأما الرَّهبَــةُ فقد أَمِنّا بعدْلِ أمير المؤمنين علينا وحُسنِ سِيرتِه فينا من الظلم، فنحن وَفدُ الشكر .

وقال الفرزدقُ فى عمرو بن عُتبةَ :

لولا ٱبنُ عُتبــةَ عمرٌو والرجاء له * ما كانت البَصْرةُ الحمقاءُ لى وطَنَا
أعطانِىَ المــالَ حتى قلتُ يُودِعُنِى * أو قلتُ أُودِعَ لى مالاً رآه لنَــا

---

(١) راجع استعطاف إبراهيم بن المهدى وشكره للمأمون وعفوه عنه وردّ ماله وضياعه اليه فى أمالى القالى (ج ١ ص ١٩٩ طبع دار الكتب) . (٢) فى أمالى القالى : «ولم تمنن» . (٣) كذا فى أمالى القالى والعقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٩) وفى الأصل : «ما حقنت دمى» . وهى هنا مصدرية .

بجُودِهِ مُتعِبٌ شكرِي ومِنّتُه * وكلّما زدتُ شكرا زادني مِنَنَا
يَرمِي بهمّتِه أقصى مسافتها * ولا يُرِيدُ على معروفِه ثمَنَا

هذا مثل قول الأعرابي : ما زال فلانٌ يُعطيني حتى ظننتُ أنه يُودِعُني ماله . وما ضاع مالٌ أورثَ المحامدَ .

ويقال : خمسةُ أشياءَ ضائعةٌ : سراجٌ يُوقَدُ في شمسٍ ، ومَطَرٌ جَوْدٌ في سَبَخَةٍ ، وحَسناءُ تُزَفُّ الى عِنّينٍ ، وطعامٌ استُجِيدَ وقُدِّمَ الى سكرانَ ، ومعروفٌ صُنِعَ الى مَنْ لا شكرَ له .

وكان يقال : الشكرُ زيادةٌ في النِّعم وأمانٌ من الغِيَر .

وقال أسماءُ بنُ خارجةَ : اذا قَدُمَتِ المصيبةُ تُرِكَتِ التَّعزيةُ ، واذا قَدُمَ الإخاء قَبُحَ الثناء .

بعثَ رَوْحُ بنُ حاتم الى كاتبٍ له بثلاثين ألفَ درهم ، وكتبَ(١) اليه : قد بعثتُ بها اليك ، ولا أُقلّلها تكبّراً ، ولا أُكثّرها تمنّنا ، ولا أستثيبُكَ عليها ثناء ، ولا أقطعُ عنك بها رجاء .

وفي كتاب للهند : لا ثناءَ مع كِبْر . وفيه : ستّةُ أشياءَ لا ثباتَ لها : ظِلُّ الغمامِ ، وخُلّةُ الأشرارِ ، وعِشقُ النساءِ ، والمالُ الكثيرُ ، والسّلطانُ الجائرُ ، والثناءُ الكاذبُ .

والعربُ تقول : « لا تَهرِفْ(٢) قبل أن تَعرِف » أي لا تُطنِبَنّ في الثّناء قبل الاختبار .

---

(١) في الأصل : «فكتب اليه» . (٢) هذه الرواية أشار اليها صاحب اللسان في مادة «هرف» وفي مجمع الأمثال للميداني : «لا تهرف بما لا تعرف» وهي الرواية المشهورة .

وكتب أبو نُوَاس من الحبس الى الفضل بن الربيع :

ما من يدٍ فى الناس واحدةٍ * كيدٍ أبو العباس مَولاها

نام الثِّقاتُ على مَضاجعهم * وسَرَى الى نفسى فأحياهَا

قـد كنتُ خفتُكَ ثم آمنَنِى * من أن أخافَكَ خوفُـكَ اللهَ

فعفوتَ عنّى عفوَ مُقتَـدِرٍ * وجبَتْ له نِـقَمٌ فألغاهَـا

والبيتُ المشهور فى هذا قول النّجاشىّ :

لا تحمَدَنّ آمرأً حتى تُجَرِّبَه * ولا تَذُمَّنّ مَنْ لم يَبْلُه الخُـبُرُ

وقال آخَرُ فى الآختبار :

إنّ الرجالَ إذا آختبرْتَ طباعَهم * ألفيتَهُمْ شتّى على الأخبـارِ

لا تَعجَلَنّ الى شَريعـةِ مَوردٍ * حتى تَبيَّنَ خُطّةَ الإصـدارِ

وقال الرّياشىّ : أنشدَنى أبو العالية :

اذا أنا لم أشـكُرْ[(١)] على الخير أهلَه * ولم أذمُمِ الجِبْسَ[(٢)] اللئيمَ المذمَّمَـا

ففيمَ عرَفْتُ الخيرَ والشرَّ بآسمِهِ * وشَـقّ لِىَ اللهُ المسامعَ والفَمَا

قال آبن التَّوأم: كلُّ مَنْ كان، جُودُه يرجِـع اليه؛ ولولا رجوعه اليه لمـا جاد عليك،ولو تهيأ له ذلك المعنى فى سِواك لمـا قصدَ اليك، فليس يجب له عليكَ شكْرٌ. وإنما يُوصفُ بالجود فى الحقيقةِ ويُشكَرُ على النفع فى حُجّة العقل، الذى إن جاد عليك فلك جادَ، ونفعك أراد، من غير أن يرجع اليه جودُه بشىءٍ من المنافع على جهةٍ من الجهات، وهو الله وحدَه لا شريكَ له . فإن شكَرْنا الناسَ على بعض ما جرى لنا على

(١) فى زهر الآداب للحصرى (ج ١ ص - ٢٥) : « اذا أنا لم أمدح » . (٢) الجبس : الدنىء الجبان .

أيديهم، فلأمرين : أحدُهما التعبُّدُ ؛ وقد أمرَ اللهُ تعالى بتعظيم الوالدَين وإن كانا شيطانَين وتعظيمِ مَنْ هو أسنُّ منّا وإن كنّا أفضلَ منه . والآخرُ : لأنّ النفسَ مالا تحصّلُ الأمورَ وتميّزُ المعانيَ، فالسابقُ إليها حُبُّ مَنْ جرى لها على يديه الخيرُ وإن كان لم يُردْها ولم يقصد إليها . ألا ترى أنّ عطيّةَ الرجلِ صاحبَه لاتخلو أن تكونَ لله أو لغير الله؛ فإن كانتْ لله فثوابُه على الله؛ وكيف يجبُ[1] في حجّة العقل شكرُه وهو لو صادف ابنَ سبيلٍ غيري لما أعطاني، وإما أن يكونَ إعطاؤه إياى للذكرِ؛ فإن كان كذلك فإنما جعلني سُلّمًا إلى حاجته وسببًا إلى بُغيته؛ أو يكونَ إعطاؤه إياى طلبًا للمكافأة؛ فإنما ذلك تجارةٌ؛ أو يكونَ إعطاؤه لخوف يدى أو لساني أو اجترارِ معونتى ونصرتى، وسبيلُ هذا معروفٌ؛ أو يكونَ إعطاؤه للرحمةِ والرقّةِ ولما يجدُ في فؤاده من العصرِ والألمِ، فإنما داوى بتلك العطيّةِ من دائه ورقَّه من خناقه .

وكان محمد بن الجَهْم يقول : نحوُ هذا قول الشاعر :

لَعَمْرُك ما النّاسُ أثنَوا عليك * ولا عظَّمُوك ولا عَظَّمُوا[2]
ولا شايَعُوك على ما بَلَغْـ * ـتَ من الصالحات ولا قدّموا
ولو وَجَدوا لَهُمُ مَطْمَعًا * الى أن يَعيبوك ما جَمْجَموا
ولكن صَبَرْتَ لِمَا ألزموك * وجُدتَ بما لم يكن يلزمُ
وكان قِراكَ اذا ما لَقُوكَ * لسانًا بما سرّهم يَنْعِمُ
وخَفْضَ الجناحِ وَوَشْكَ النجاح * وتصغيرَ ما عظّم المُنْعِمُ
فأنتَ بفضلك ألجأتَهم * الى أن يُجِلّوا وأن يُنْعِموا

وقال خَلَف بن خليفة الأقْطع :

وفى اليأس من أن تسألَ الناسَ راحةٌ * تُميتُ بها عُسْرًا وتُحْيي بها يُسْرًا

(١) فى الأصل : « وكيف يجب على حجة العقل » . (٢) كذا بالأصل ، والتكرار هنا غير مستساغ ، ولعل فيه تحريفا من الناسخ فى الكلمة الأولى بأن يكون أصلها « بجلوك » مثلا ، أو فى الكلمة الثانية بأن يكون أصلها « نظّموا » أى أكثروا من نظم المدائح فيك .

وليس يـــدٌ أوليتَهـا بغنيمـــة * اذا كنتَ تبغي أن يعـدّ لهـا شكرا
غِنَى النفس يكفي النفس ما سدّ فاقةً * فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقـرا

قال ابن عائشة : بلغني أنّ عبد الرحمن بن حسّان سأل بعض الولاة حاجةً فلم يقضها له ، فسألها آخرَ فقضاها له (١) ؛ فقال :

ذُممتَ ولم تُحمَـد وأدركتُ حاجتي * تولّى سِواكم أجرَهـا واصطناعَها
أبى لك كسبَ الحمدِ رأيٌ مُقَصِّرٌ * ونفسٌ أضاقَ اللهُ بالخـيرِ باعَهـا
اذا هي حثّتـه على الخـيرِ مرّةً * عصاها وإن همّتْ بشرٍّ أطاعَهـا

وقال ابن عائشـة : قال رجلٌ يوما لابن عُيَينة : ما شيء تُحدِّثونه يا أبا محمد؟ قال : ما هو؟ قال : يقـولون إن الله تعالى يقول : أيّمـا عبدٍ كانت له اليَّ حاجةٌ فشـغله الثناء عليّ عن سؤال حاجته ، أعطيته فوق أُمنيّتـه ؛ فقال له : يابن أخي ، وما تُنكِر من هذا! أما سمعتَ قول أُميّة بن أبي الصلْت في عبد الله بن جُدْعان :

اذا أثنَى عليـــه المرءُ يومًا * كفاهُ مِن تعرُّضِــهِ الثناءُ

فكيف بأكرم الأكرمين !

وكان يقال : في طلب الرجل الحاجةَ الى أخيه فتنةٌ : إن هو أعطاه حَمِـد غيرَ الذي أعطاه ، وإن منعه ذمّ غيرَ الذي منعه .

حدّثنا الرِّياشيّ قال : أنشدنا كَيْسان لدُكَين الراجز :

اذا المرءُ لم يَدْنَس من اللُّؤمِ عِرضُه * فـكلُّ رداءٍ يَرتديهِ جميـــلُ (٢)
اذا المرءُ لم يَضْرَع عن اللؤم نفسَهُ * فليس الى حُسْنِ الثناء سبيلُ

---

(١) كذا في أمالي القالي (ج ٢ ص ٢٢١ طبع دار الكتب المصرية) : وهو المناسب للشعر ، وفي الأصل : «فشفع رجل فقضيت حاجته» .   (٢) المعروف أن هذا البيت هو مطلع قصيدة للسموءل بن عادياء اليهوديّ ، كما في أمالي القالي وديوان الحماسة لأبي تمام وغيرهما ، والبيت الثاني يروى في الحماسة هكذا :

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء ســـبيل

ويروى في أمالي القالي هكذا .   اذا المرء لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

وكان يقال : أوّلُ منازِل الحمدِ السلامةُ من الذمّ .

قال عُرْوةُ بن أُذَيْنَةَ[1] اللَّيثيّ :

لا تَتْرُكَنْ ، إنْ صَنِيعةٌ سَلَفَتْ * منكَ وإن كنتَ لا تُصغِّرُها
الى امرئٍ ، أنْ تَقولَ إنْ ذُكِرَتْ * عندكَ فى الحِدِّ لستُ أذكُرُها
فإنَّ إحياءها إماتَتُها * وإنَّ مَنًّا بها يُكَدِّرُها
وإن تَوَلَّى امرؤٌ بشُكرِ يَدٍ * فاللهُ يَجزِى بها ويَشكُرُها

ويقال : أحيُوا المعروف بإماتته .

أبو سُفيان الحِمْيَرِىّ قال : كان مَسْعَدَةُ الكاتب أبو عمرو بن مسعدة مَوْلَى لخالد القَسْرِىّ ، وكان فى ديوان الرسائل بواسط ، وكان مُوجِزًا فى كُتُبه ، فكتب الى صديقٍ له : أما بعد، فإنه لن يَعدَمك من معروفك عندنا أمران : أجرٌ من الله وشكرٌ منّا . وخيرُ مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر . والسلام .

وكتب بعضُ الكُتّاب الى بعض العُمّال : وما أتأمّلُ فى وقت من الأوقات ولا يوم من الأيّام آثارَ أياديك لدىّ ، ومواقعَ معروفك عندى ، إلا تَبيَّنَ التأمّلُ على ما يُحسِرُ الشكرَ ويُثقِل الظهرَ ، لأنك أنعشتَ من عَثْرَة ، وأنهضتَ من سَقْطة ، وتلافيْتَ نعمةً كانت على شَفَا زَوالٍ ودُروس ، وتَقَبَّيتَ ما ألقيتُ عليك من الكَلِّ بوجهٍ طَلِيقٍ وباعٍ رَحِيب[2] . والسلام .

---

(١) أدينة : لقب لأبيه ، واسمه يحيى بن مالك بن الحارث الليثى . وكان عروة شاعرا غزلا من شعراء أهل المدينة وثقة ثبتا ، روى عنه مالك وغيره من الأئمة رضى الله عنهم (راجع كتاب التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه ص ٢٦ طبع دار الكتب المصرية) وترجمته فى كتاب الأغانى (ح ٢١ ص ١٦٢ طبع أوربا) .

(٢) فى الأصل : «وبال» .

الترغيب فى قضـاء الحاجة واصطناع المعروف

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنا داود بن المُحَبَّر عن محمـد بن الحسن الهَمْدَانى عن أبى حمزة عن علىّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : "مَنْ تَرَكَ مَعُونَةَ أخيه المسـلم والسَّعْىَ معه فى حاجته قُضِيَتْ أوْ لم تُقْضَ كُلِّف أن يسعى فى حاجة مَنْ لا يُؤْجَر فى حاجته، ومَنْ ترك الحجَّ لحاجة عَرَضتْ له لم تُقْضَ حاجتُه حتى يرى رءوس المحلّقين".

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنا ابن عُيَينة عن يزيد بن عبد الله بن أبى بُرْدة عن أبيه عن جدّه عن أبى موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اِشْفَعُوا إلىَّ ويَقْضِى اللهُ على لِسَانِ نَبِيِّكم ما شاءَ".

بلغنى عن جعفر بن أبى جعفر المـازنىّ عن ابن أبى السَّرِىّ عن إبراهيم بن أدهم عن منصور بن المعتمر قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أحببتَ أن يُحِبَّـك اللهُ فازْهَدْ فى الدنيـا وإن أحببتَ أن يُحِبَّك النّاسُ فلا يقع فى يدك من حُطامها شىء إلا نبذتَه إليهم".

حدّثنى محمد بن داود عن محمد بن جابر قال : قال ابن عُيَينَة : ليس أقول لكم إلّا ما سمعتُ : قيل لابن المنكدر : أىُّ الأعمالِ أفضـلُ ؟ قال : إدخالُ السرور على المؤمن . وقيل : أىّ الدنيا أحبُّ إليك ؟ قال : الإفضالُ على الإخوان .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : حدّثنا زَرِيرٌ[1] العُطَارِدِىّ قال : صلّى بنـا أبو رجاء العُطَارِدِىُّ العَتَمَةَ ثم أوَى الى فراشه، فأتته امرأةٌ فقالت : أبا رجاء، إنّ

(١) ورد هـذا الاسم بالأصل هكذا : «زذريك» بالكاف وهو تحريف، فقد جاء فى القاموس وشرحه مادّة زذر : «سلم بن زذير بكر بر من تابعى التابعين عطاردىّ بصرى سمع أبا رجاء العطاردىّ» .

اطارف الليل حقًّا، وإنّ بني فلان خرجوا الى سَفْوَان(١) وتركوا كُتُبَهم وشيئًا من متاعهم، فآنتعل أبو رَجاء وأخذ الكُتُبَ وأدّاها وصلّى بنا الفجرَ، وهو مسيرهُ ليلةٍ للابل، والناسُ يقولون: إنها أربعة فراسخ.

حدّثني أحمد بن الخليل عن محمد بن سعيد قال حدّثنا آبن المبارَك عن حميد عن الحسن قال: لَأَنْ أَقضِيَ حاجةً لأخٍ أحبُّ إليَّ من أن أعتكفَ سنةً.

قال آبنُ عائشة: كان عمرو بن معاوية العُقَيليّ يقول: اللهم بلِّغْني عَثَراتِ الكرام.

قال المأمونُ لمحمد بن عبّاد المُهَلّبيّ: أنت مِتلافٌ، فقال: يا أمير المؤمنين، مَنْعُ الموجود سُوءُ ظنٍّ بالله، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

وكان ابنُ عبّاس يقول: صاحبُ المعروف لا يَقَعُ، فإن وَقَع وجد مُتَّكَأً. هذا نحوُ قولِ النبيّ صلى الله عليه وسلم: "المعروفُ يَقِي مَصارِعَ السُّوء".

وكان آبن عبّاس يقول أيضا: ما رأيتُ رجلا أَوْلَيْتُه معروفا إلّا أضاء ما بيني و بينه، ولا رأيتُ رجلا أَوْلَيْتُه سوءا إلّا أظلم ما بيني و بينه.

قال جعفر بن محمد: إن الحاجة تَعرِض للرجل قِبَلي فأُبادِر بقضائها مخافة أن يستغنيَ عنها أو تأتيَه وقد آستبطأها فلا يكون لها عنده موقع.

وقال الشاعر:

وبادِرْ بسلطان إذا كنتَ قادرًا * زوالَ اقتدارٍ أو غِنًى عنك يُعقِب

(١) سفوان: ماء على قدر مرحلة من باب المِرْبَد بالبصرة وبه ماء كثير السافي (التراب).

وقال آخر فى مثله :

بدا[1] حين أثرى بإخوانه * ففكّك[2] عنهم شباةَ[3] العَدَمْ

وذكّره الحزمُ غِبَّ الأمور * فبادرَ قبل انتقال النِّعَمْ

وقرأتُ فى كتاب للهند: مَنْ صَنَع المعروفَ لِعاجل الجزاء، فهو كمُلْقِى الحَبِّ لِيَصِيدَ به الطيرَ لا لِينفعَه .

قال ابن عباس : ثلاثة لا أكافئهم : رجل بَدَأنِى بالسلام ، ورجلٌ وسّع لى فى المجلس، ورجل اغبرّت قدماه فى المشى إلىّ إرادةَ التسليم علىّ ؛ فأما الرابع فلا يكافئه عنّى إلا الله جلّ وعزّ؛ قيل : ومن هو؟ قال: رجل نزَل به أمرٌ فبات ليلَته يفكّر بمَنْ يُنزِله، ثم رآنى أهلًا لحاجته فأنزلها بى .

وقال سَلْمُ[4] بن قُتَيْبة : رَبُّ[5] المعروفِ أشدّ من ابتدائه .

ويقال : الابتداء بالمعروف نافلةٌ، وربُّه فريضة .

قيل لبُزُرْجِمهر : هل يستطيع أحد أن يفعل المعروف من غير أن يُرْزَأ شيئا ؟ قال : نعم، من أحببتَ له الخير وبذلتَ له الوُدّ، فقد أصاب نصيباً من معروفك .

قال جعفر بن محمد : ما توسّل إلىّ أحدٌ بوسيلةٍ هى أقربُ به إلى ما يُحِبّ من يدٍ سَلَفتْ منّى اليه ، أتبعتُها أختَها لأُحْسنَ رَبّها وحِفظَها ؛ لأن منعَ الأواخرِ يقطع شكرَ الأوائل .

قام رجل من مجلس خالد بن عبد الله القَسْرىّ ؛ فقال خالد : إنى لأُبغض هذا الرجل وماله إلىّ ذنب[6]، فقال رجل من القوم: أَوْلِه أيها الأمير معروفًا ففعل، فما لبِث أن خفّ على قلبه وصار أحدَ جلسائه .

(١) بدا بمعنى بدأ بالهمز وسهل لضرورة الشعر . (٢) لعله : «فصّل» . (٣) الشباة : طرف السيف وحدّه ، وشباة العقرب : إبرتها ، والظاهر أن المراد هنا أذى العـدم وشدّته وحدّته .
(٤) فى الأصل «سالم» وما أثبتناه هو الصواب . (٥) ربّ الشىء يربّه ربّاً : تعهده وأنماه .
(٦) فى الأصل : «وماله اليه ذنب» وهى لا تتفق والسياق .

قال ابن عباس : لا يَتِمّ المعروف إلا بثلاثٍ : تعجيلُه وتصغيرُه وسَتْرُه، فإنه اذا عجّله هنّأه، وإذا صغّره عظّمه، واذا ستره تمّمه .

وقال الخُرَيمى فى نحو هذا :

زاد معروفَك عنـدى عِظَمًا * أنه عنـــدك محقورٌ صغير
تتنـاساه كأنْ لم تأته * وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ

وقال الطائى :

جودٌ مشيتَ به الضَّراءَ(١) تواضعًا * وعَظُمْتَ عن ذكراه وهو عظيمُ
أخفيتَـه خُفْيَتَه(٢) وطويتَـه * فنشرتُه والشخصُ منه عميم(٣)

وكان يقال : سَتْرَ رجلٌ ما أولى، ونَشَرَ رجلٌ ما أُولِىَ .

وقال رجل لبنيه : إذا اتخذتم عند رجل يدا فأنسَوْها . وقالوا : المنّة تهـدم الصنيعة . قال الشاعر :

أفسدتَ بالمنّ ماأسديتَ من حَسَنٍ * ليس الكريمُ إذا أسـدى بمنّانِ

قال رجل لابن شُبْرُمة : فعلتُ بفلانٍ كذا وفعلتُ به كذا ؛ فقال : لاخيرَ فى المعروف إذا أُحصِىَ .

وفى بعض الحـديث : "كُلُّ معروفٍ صَـدَقةٌ وما أنفقَ الرجلُ على أهـله ونفسِه وولدِه صَدَقةٌ وما وَقَى المرءِ به عِرضَه فهو صدقة وكلُّ نفقةٍ أنفقَها فعلى الله خَلَفُها مثلها إلا فى معصيةٍ أو بنيانٍ(٤)". وفى الحديث المرفوع "فَضلُ جاهِكَ تَعودُ به

---

(١) هكذا ورد هذا الشعر فى ديوان أبى تمام الطائى (ص ١٥١ طبع مصر) والضراء (بفتح الضاد وتخفيف الراء) : ماواراك من الشجر وغيره وهو أيضا : الاستخفاء والمشى فيما يواريك عمن تكيده وتختله ، يقال : لاأمشى له الضراء ولا الخمر أى أجاهره ولا أخاتله . (٢) خفيته : أظهرته . (٣) العميم : الطويل التام . (٤) قال العزيزى فى شرحه لهذا الحديث : إنه البنيان الذى لم يقصد به وجه الله تعالى .

على أخيكَ صدقةٌ منك عليه ولِسانُكَ تُعبّر به عن أخيك صدقةٌ منكَ عليه وإماطتُك الأذى عن الطريق صدقةٌ منك على أهله ".

وكان يقــال : بذلُ الجاهِ زكاةُ الشرف .

وقال بعض الشعراء :

وليس فتى الفِتْيانِ مَنْ راحَ واَغتَدَى * لشُربِ صَـبُوحٍ(١) أو لشُربِ غَبوقِ
ولكنْ فتى الفِتيانِ مَنْ راح واَغتدى * لِضَـــرِّ عدوٍّ أو لنفعِ صـــديقِ

قال آبن عباس : لا يُزَهِّدنَّك في المعروف كفرُ من كفره، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه .

وقال حمّاد عَجْرد :

إنّ الكريمَ ليُخفِي عنك عُسْرتَه * حتى تراه غَنِيًّـا وهـــو مجهودُ
إذا تكرّمتَ أنْ تُعطِي القليلَ ولم * تَقْدِر على سَـعَةٍ لم يَظهرِ الجودُ
وللبخيــلِ على أمواله عِلَلٌ * زُرْقُ العيونِ عليها أوجُهٌ ســودُ
أوْرِقْ بخيرٍ تُرَجَّى للنوال فمــا * تُرْجَى الثِّمارُ اذا لم يُورِقِ العودُ
بُثَّ النوالَ ولا تمنَعْـك قِلّتُــه * فكلُّ ما سَـدّ فقرا فهــو محمودُ

والعــرب تقول : "مَنْ حَقَرَ حَرَمَ(٢)" .

حدّثني عبد الرحمن عن عمه قال: قال سَلْمُ بن قتيبة : أحدُهم يَحْقِرُ الشيءَ فيأتي ما هو شرٌّ منه، يعني المنع .

وقال الشاعر :

---

(١) الصبوح : ما شرب من اللبن بالغداة فما دون القائلة ، والغبوق : ماشرب بالعشيّ . (٢) هذا مثل ذكره الميدانيّ وشرحه بقوله : يقال : حقرته واحتقرته اذا عددته حقيرا أي من حقر يسيرا مما يقدر عليه ولم يقــدر على الكثير ضاعت لديه الحقوق . وفي الحديث : « لا تردّوا السائل ولو بظلف محرق » .

وما أبالى إذا ضَيفٌ تضيَّفنى * ما كان عندى إذا أعطيتُ مجهودِى
جُهدُ المقِلّ إذا أعطاك مُصْطَبِراً * ومُكثِرٌ من غِنًى سِيّانِ فى الجودِ

وفى الحديث المرفوع "أفضلُ الصّدقةِ جُهْدُ المُقِلّ" .

وقال البُرَيْق الهُذَلىّ :

أبو مالكٍ قاصِرٌ فقرَه * على نفسه ومُشِيعٌ غِنَاه

وكان خالد بن عبد الله يقول على المِنبر : أيها الناس عليكم بالمعروف ، فإنّ فاعل المعروف لا يَعْدَم جوازِيَه ، وما ضَعُفَ الناسُ عن أدائه قَوِىَ اللهُ على جَوازِيه ، والبيت المشهور فى هذا قول الحُطَيْئة :

مَنْ يفعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازِيَهُ[1] * لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ

ويقال : إنه فى بعض كتب الله عزّ وجل .

قال وَهْبُ بن مُنَبِّه : إن أحسنَ الناس عيشا من حَسُنَ عيشُ الناسِ فى عيشِه ، وإنّ مِن ألَذّ اللَّذّة الإفضالَ على الإخوان . وفى الحديث المرفوع "إنّما لَكَ[2] من مالِكَ ما أكلتَ فأفنيتَ أو لبِستَ فأبليتَ أو أعطيتَ فأمضيتَ وما سِوى ذلك فهو مِلكُ الوارثِ" .

وقال بشّارٌ :

أنفِقِ المالَ ولا تَشْقَ به * خيرُ دِينارَيك دِينارٌ نَفِقْ[3]

قال بُزُرْجِمِهْر : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق فإنها لا تَفْنَى وإذا أدبرت عنك فأنفِق فإنها لا تَبْقَى . أخذه بعض المُحْدَثين فقال :

(١) قال ابن جنى : ظاهر هذا أن تكون جوازيه جمع جاز أى لا يعدم جزاء عليه ، جاز على جواز لمشابهة اسم الفاعل المصدر ، فكما جمع سيل على سوائل ، كذلك يجوز أن يكون جوازيه جمع جزاء (انظر اللسان مادة جزى) . (٢) يروى : «ليس لك من مالك إلا ما أكلت الخ» . (٣) نفقت الدراهم (بفتح عين الفعل وكسرها) : فنيت وذهبت .

فأنفِقْ إذا أنفقتَ إن كنتَ مُوسِرًا * وأنفِقْ على ما خيَّلتْ[1] حين تُعْسِرُ
فلا الجودُ يُفني المالَ والجَدُّ مقبِلٌ * ولا البخلُ يُبْقي المالَ والجَدّ مُدْبِرُ

وفى "كتاب كليلة" : لا يُعَدّ غانِيًا من لا يُشاركُ فى غِناه .

مرّ الحسنُ برجلٍ يقلّب درهما ، فقال له : أتحِبّ درهمَك هذا؟ قال : نعم ، قال : أما إنه ليس لك حتى يخرجَ من يدك .

قال الربيعُ بن خُثَيْم لأخٍ له : كن وصيَّ نفسك ولا تجعلْ أوصياءك الرجالَ .

وقال بعضُ الشعراء :

سأحْبِس مالى على حاجتى * وأُوثِر نفسِى على الوارثِ
أعاذِلُ عاجلُ ما أشتهِى * أحبُّ مِن المُبطئِ الرّائثِ

قال عبيد الله بن عِكْراش : زمَنٌ خَؤونٌ ، ووارِثٌ شَفُونٌ[2] ؛ فلا تأمنِ الخؤونَ وكن وارثَ الشّفونِ .

وقال أبو ذَرّ: لك فى مالك شريكان اذا جاءا أخذا ولم يؤامراك : الحَدَثان والقَدَر، كلاهما يمرّ على الغثّ والسمين، والورثةُ ينتظرون متى تموت فيأخذون ما تحت يديك وأنت لم تقدّم لنفسك ؛ فإن استطعتَ ألّا تكونَ أخسّ الثلاثة نصيبا فافعل .

وقال سعيد بن العاص فى خطبة له[3] : من رزَقه الله رزقا حسنا فليكن أسعدَ الناس به ؛ فإنه إنما يترُكُه لأحد رجلين: إمّا مصلِحٍ فلا يقِلّ عليه شىءٌ ، وإمّا مُفْسِدٍ فلا يَبقى له شىء . فقال معاوية . جمع أبو عثمان طرَفَى الكلام .

---

(١) على ما خيلت أى شبهت وقوت ، ومعناه على أىّ حال . (٢) الشفون : الذى ينظر اليك كالكاره أو المبغض . (٣) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٠٦) والعقد الفريد (ج ١ ص ٨٤) : «فليعق منه سرّا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به» .

وقال حُطَائط بن يَعْفُر :

ذَرِينى أكُنْ للمال ربًّا ولا يكُنْ * لِىَ المالُ ربًّا تَحمَدِى غِبَّه غدا
أرِينى جوادا مات هَزْلا لعلّنى * أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلا مُخلَّدا
وقلت ولم أعْىَ الجوابَ تبيَّنى * أكان الهُزالُ حتفَ زيدٍ وأربدا

قال أعرابىّ : الدراهم مِيسمٌ تَسِمُ حمدًا أو ذمًّا، فمن حبسها كان لها، ومن أنفقها كانت له، وما كلّ من أعطى مالا أُعطى حمدا، ولا كلّ عديم ذميم .

وقال بعض المُحْدَثين :

أنتَ للمال إذا أمسكتَه * فإذا أنفقتَه فالمالُ لك

حدّثنى يزيد بن عمرو عن يزيد بن مروان قال: حدّثنا النعمان بن هلال عن عبد الله ابن دينار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تَنْزِلُ المَعُونةُ على قَدْرِ المُؤُونة" .

قال معاوية لوَرْدان مولى عمرو بن العاص : ما بَقِى من الدنيا تَلَذّه؟ قال: العريض الطويل؛ قال : وما هو؟ قال : الحديث الحسن أو ألقى أخا قد نكبه الدهرُ فأجبره؛ قال : نحن أحقّ بهما منك؛ قال : إن أحقّ بهما منك من سَبَقك إليهما .

وقال أعرابىّ :

وما هذه الأيام إلا مُعَارةٌ * فما آسطعتَ من معروفها فتزوّدِ
فإنك لا تدرى بأيّة بلدةٍ * تموت ولا ما يُحدث اللهُ فى غدِ
يقولون لا تَبْعَدْ، ومن يك بُعدُه * ذراعَين من قُرب الأحبّة يَبْعَدِ

وقال آخر:

إن كنتَ لا تَبْذُلُ أو تَسألُ * أفسدتَ ما تُعطى بما تفعلُ

قال بعضهم : مضى لنا سَلَفٌ أهلُ تواصُلٍ، اعتقدوا مِنَنًا، واتّخذوا أيادىَ ذخيرةً لمن بعــدهم : كانوا يرون اصطناعَ المعروف عليهم فرضا، و إظهارَ البِرّ حقًّا واجبا، ثم حال الزمان بنَشْءٍ اتخذوا مِنَنَهم صناعةً، و برّهم مرابحةً، وأياديَهم تجارةً واصطناعَ المعروف مقارضةً كنَقد السُّوق خذ منّى وهاتِ .

قال العُتْبىّ : وقع ميراثٌ بين ناس من آل أبى سفيان و بنى مروان، فتشاحّوا فيه، فلما انصرفوا أقبل عمرو بن عُتْبة على ولده، فقال لهم : إن لقريش دَرَجا تَزِلّ عنها أقدامُ الرجال. وأفعالا تخشع لهــا رقابُ الأموال، وألسُنًا تَكِلّ معها الشِّــفار المشحوذة، وغاياتٍ تقصر عنهــا الجيادُ المنسوبة، ولو كانت الدنيا لهم ضاقت عن ســعة أحلامهم، ولو احتفلتْ ما تزيّنتْ إلا بهم . ثم إن ناسا منهم تخلّقوا بأخلاق العوامّ، فصار لهم رفق باللؤم وخُرق فى الحرص، لو أمكنهم قاسموا الطير أرزاقَها، إن خافوا مكروها تعجّلوا له الفقر، و إن عُجّلت لهم نعمة أخّروا عليها الشكر، أولئك أنضاء فكرِ الفقر وعَجَزة حَمَلة الشكر(١) .

قال بعض الحجازيّين :

فــلو كنتَ تطلب شأو الكرام * فعلتَ كفعلِ أبى البَخْتَرِى

تتبّع إخــوانَه فى الــبلاد * فأغنَى المُقِــلَّ عن المُكْثِرِ

القَنــاعة والاستعفاف

حدّثنى شيخٌ لنا عن وكيع عن ابن أبى ذِئْب عن محمد بن قيس عن عبد الرحمن ابن يزيدَ عن ثَوْبانَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "من يتقبَّلُ لى بواحدةٍ(٢)

(١) فى العقد الفريد : «فكرة الفقر» . (٢) فى تهذيب التهذيب للعسقلانى فى الكلام على عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، أورد هــذا الحديث بالهامش هكذا : "من يتقبل لى بواحدة أتقبل له بالجنة" قلت : ما هى؟ قال "لا تسأل الناس شيئا" .

وأتقبّلُ له بالجنة " فقال ثوبانُ : أنا يا رسول الله، قال : "لاتَسْألِ الناسَ شيئاً" فكان ثوبانُ إذا سقط سوطُه من يده نزل فأخذه ولم يَسألْ أحدا أن يناولَه إياه .

وحدّثنى أيضا عن عبد الرحمن المحاربىّ عن الأعمش عن مجاهد قال : قال عمرُ رضى الله عنه : ليس من عبدٍ إلا وبينه وبين رزقه حجابٌ، فإن آقتصدَ أتاه رزقُه وإن آقتحم هتَك الحجابَ ولم يُزَدْ فى رزقِه .

وحدّثنى أيضا عن وَكيع عن سفيان عن أسامه بن زيد عن أبى مَعْنٍ الإسكندرانىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الصَّفَا الزَّلّالَ(1) الذى لا تَثبُت عليه أقدامُ العلماء الطمعُ" . وقال عليه السلام : "إنّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فى رُوعِى أنّ نفسًا لَن تَموتَ حتى تَستكمِلَ رِزقَها(2) فاتّقُوا اللهَ وأجمِلُوا فى الطلب" .

قال آبن حازم :

النـاس مالٌ ولى مالانِ ما لهما ❊ اذا تحارسَ أهـلُ المـالِ أحْرَاسُ
مالِى الرضا بالذى أصبحتُ أملِكُه ❊ ومالِىَ اليأسُ مما يملِكُ النـاسُ

أخذ هـذا من قول أبى حازم المدنىّ ، وقال له بعضُ الملوك : ما مالُك ؟ قال : الرضا عن الله، والغِنى عن الناس .

وقال بَشّارُ بن بِشر(3) :

وإنى لعَفٌّ عن فكاهةِ جارتى ❊ وإنى لمشنُوءٌ الىّ آغتيابُهـا
اذا غاب عنهـا بعلُها لم أكن لهـا ❊ زَءُورًا ولم تأنسْ الىّ كلابُهـا

(1) الصفا الزلال : الأملس من الحجارة . (2) فى الجامع الصغير « حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها » . (3) كذا فى الأصل ولم نجد فى كتب الأدب التى بين أيدينا شاعرا بهذا الاسم ، وقد نسب البيت الأخير من هذه الأبيات « اذا سدّ ... الخ » فى حماسة البحترى (ص ٣٤٢ طبع أوروبا) لزياد بن منقذ التميمى .

ولم أكُ طَلَّابًا أحاديثَ سِرِّها * ولا عالِمًا من أىِّ حَوْكٍ ثيابُهـا
وإنَّ قِرابَ البطنِ يكفيكَ مِلؤُه * ويكفيك سوءاتِ الأمورِ اجتنابُها
إذا سُدّ بابٌ عنكَ من دون حاجةٍ * فذَرْها لأُخرى لَيِّنٍ لكَ بابُها

وقال ابن أبى حازم[1] :

أوجعُ من وَخْزةِ السِّنانِ * لذى الحِجَا وَخْزةُ اللِّسانِ
فاسترزِقِ اللهَ واستعنْه * فإنه خــيرُ مُستَعـانِ
وإن نبـا منزلٌ بحُــرٍّ * فمن مكانٍ الى مكانِ
لا يَثبتُ الحرّ فى مكانٍ * يُنسبُ فيــه إلى الهوانِ
الحرُّ حرٌّ وإن تعـدّتْ * عليـــه يوما يدُ الزمانِ

حدّثنى محمد بن داود عن جابر بن عثمانَ الحنفىّ عن يوسفَ بن عطيّةَ قال حدّثنى المعلّى بن زياد القُرْدُوسِى[2] : أن عامر بن عبد قيس العَنْبرىّ كان يقول : أربعُ آياتٍ من كتاب الله اذا قرأتُهنّ مَسَاءً لم أُبالِ على ما أُمسِى، وإذا تلوتُهنّ صباحًا لم أُبالِ على ما أُصبِحُ : ﴿ ما يَفتحِ اللهُ لِلنّاسِ مِن رحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ . ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾ . ﴿ سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ .

حدّثنى عبد الرحمن عن بِشْر بن مُصلِح قال قال إبراهيم بن أدهم: لا تجعل بينك وبين الله مُنعِمًا عليك، وعُدَّ[3] النعمَ منه عليك مَغْرما .

---

(١) تقدّم هذا الشاعر فى الصفحة السابقة باسم «ابن حازم» ولم ندر هل هما لشخصين أم لشخص واحد، وقد بحثنا عن هذه الأبيات لنتحرى عن تحقيق هذا الاسم فلم نجدها . (٢) كذا فى الخلاصة فى أسماء الرجال للخزرجى بضم القاف . وفى الأصل : «الفردوسى» بالفاء، وهو تحريف .
(٣) كذا فى البيان والتبيين . وفى الأصل : «وأعدد النعم منهم مغنما» .

حدّثنى الرِّياشىّ عن الأصمعىّ قال : أَبرَعُ بيتٍ قالته العربُ بيتُ أبى ذُؤَيبٍ الهُــذَلىّ :

والنَّفسُ رَاغِبــةٌ إذا رَغَّبتَها * وإذا تُرَدُّ الى قَليــلٍ تَقنَــعُ

قال أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا أبو عمرو الصَّفّار عن الحجاج بن الأســود قال : احتاجت عجوزٌ من العُجزِ القُدُمِ، قال : بجزِعتْ الى المسألة، ولو صبَرتْ لكان خيرا لها . ولقد بلغنى أن الإنسانَ يَسألُ فيُمنَعُ، ويَسألُ فيُمتَعُ، والصَّبرُ مُنتَبَذٌ ناحيةً يقول : لو صِرتَ إلىّ لكَفَيتُكَ .

وكان يقال : أنت أخو العزّ ما ٱلتَحَفتَ القناعةَ، ويقال : اليأس حرٌّ والرَّجاء عبدٌ .

وقال بعضُ المفسّرين فى قول الله عزّ وجلّ : ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ قال : بالقنــاعة .

وقال سعد بن أبى وقّاص لابنه عمر : يا بنىّ إذا طلبت الغنى فاطلُبه بالقناعةِ، فإن لم تكن لك قناعةٌ فليس يُغنيكَ مالٌ .

وقال عروةُ بن أُذَينَةَ :

لقد علِمتُ — وما الإسرافُ فى طمعٍ — * أنّ الذى هو رزقى ســوفَ يأتينى[(١)]
أسْــعَى له فيُعَنّينى تَطَلّبُــه * ولو قعــدتُ أتانى لا يُعَنّينى

وقال أبو العَتاهِيَة :

إن كان لا يُغنيكَ ما يَكفيكا[(٢)] * فكلّ ما فى الأرض لا يُغنيكا

(١) ورد هذا البيت فى العقد الفريد هكذا :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزقى وإن لم يأت يأتينى

(٢) أورد الجاحظ فى البيان والتبيين عبارة منسوبة للحسن تشبه شعر أبى العتاهية وهى : «إن كان يغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك» .

وقال بعضهم: الغنى والفقر يجولان في طلب القناعة فإذا وجداها قطناها.

حجّت أعرابيّةٌ على ناقةٍ لها، فقيل لها: أين زادكِ؟ قالت: ما معي إلا ما في ضَرْعها. وقال الشاعر:

يا رُوحَ مَنْ حسمَتْ قناعتُه ... سببَ المطامعِ من غدٍ وغدِ
مَنْ لم يكن لله متّهِمًا ... لم يُمسِ محتاجًا الى أحدِ

وقال أرْدَشِيرُ: خيرُ الشيمِ السعةُ، وغناءُ العملِ بالتعلّم.

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب:

ومَتَى تُصِبْكَ خصاصةٌ فارجُ الغِنَى ... والى الّذى يَهَبُ الرّغائبَ فارْغَبِ
لا تغضبَنّ على امرئٍ في مالِه ... وعلى كرائمِ صُلْبِ مالِكَ فاغضَبِ

وقال أبو الأسود:

ولا تَطْمَعَنْ في مال جارٍ لقُربه ... فكلُّ قريبٍ لا يُنالُ بعيدُ

وقال كعبُ بن زُهَير:

قد يُعوِزُ الحازمُ المحمودُ نيّتُه ... بعدَ الثّراءِ ويُثْرِى العاجزُ الحَمِقُ
فلا تخافى علينا الفقرَ وانتظِرى ... فضلَ الذى بالغِنَى مِنْ فضلِه نَثِقُ

وشكا رجلٌ الى قوم ضِيقًا فقال له بعضهم: شكوتَ مَنْ يرحمُك الى مَنْ لا يرحمُك.

وقال هشامُ بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ودخلا الكعبة: سلني حاجتَك، قال: أكرهُ أن أسألَ في بيتِ الله غيرَ الله. ورأى رجلا يسألُ في الموقف فقال: أفي مثل هذا الموضع تسألُ غيرَ الله عزّ وجلّ!.

وقال آبن المعذّل :

تُكَلِّفُــنى إذلالَ نفسى لعِــزّها ✽ وهان عليهــا أن أُهانَــ لِتُكْرَما
تقول سَلِ المعروفَ يحيَى بن أكثم ✽ فقلتُ سَــلِيهِ رَبَّ يحيَى بنِ أكثَمَا

وقال آبن عباس : المساكينُ لا يعودونَ مريضًا ولا يَشهَدُون جنــازةً، واذا سألَ الناسُ اللهَ سألوا الناسَ .

وكان الحسنُ يَطرُدُ السُّؤَّالَ يومَ الجمعةِ، ولا يَرى لهم جُمَعَةً .

وقال بعضُ الشعراء :

حبُّ الرياسة داءٌ لا دواءَ له ✽ وقَلَّ ما تَجِدُ الراضينَ بالقِسَمِ

وقال محمودٌ الورّاق :

شادَ المــلوكُ قصورَهم وتَحَصَّنُوا ✽ من كلّ طالبِ حاجةٍ أو راغبِ
غالَوْا بأبوابِ الحــديدِ لعِزِّها ✽ وتَنَوَّقُوا[1] فى قُبحِ وجه الحــاجبِ
واذا تَلطَّفَ للدخول اليهِــمُ ✽ راجٍ تَلَقَّــوْه بوَعْــدٍ كاذبِ
فارغَبْ الى مَلِكِ الملوكِ ولا تَكُنْ ✽ يا ذا الضَّراعةِ طالبــا من طالبِ

وُجِدَ على مِيلٍ[2] فى طريقِ مكّةَ :

ألا يا[3] طالبَ الدّنيا ✽ دَعِ الدنيــا لِشَانيكَا
الى كَم تَطلُبُ[4] الدنيا ✽ وظِلُّ المِيلِ يَكْفِيكَا

قال مُطرِّفُ بن عبد الله لابن أخيه : اذا كانت لكَ الىَّ حاجةٌ فاكتُبْ بها رُقعةً فإنى أَصُنّ بوجهكَ عن ذُلِّ السؤالِ .

(١) تنوّقوا : تأنقوا، يقال تنوّق فى مطعمه وملبســه وأموره إذا تجوّد و بالغ فيها .

(٢) الميل . منار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . (٣) هذان البيتان نسبا فى الأغانى (ج ٣ ص ١٦٧ طبع بولاق) لأبى العتاهية . (٤) فى الأغانى : ✽ وما تصنع بالدنيا ✽

وقال أبو الأسود :

وإنّ أحقَّ الناس إن كنتَ مادِحاً * بمدحك مَنْ أعطاكَ والوجهُ وافـرُ

وكان معاويةُ يتمثّل بهذين البيتين

وفتًى خلا من ماله * ومن المروءة غيرُ خالي

أعطاكَ قبـل سؤاله * فكفاكَ مكروهَ السؤالِ

وقال آخر :

أنا مالكِ لا تسأل الناسَ والتمسْ * بكفيـك سيبَ الله فالله أوسـعُ

فلو تسأل الناسَ الترابَ لأوشكوا[1] * اذا قلتَ هاتوا أن يملوا فيمنعوا

والمشهور فى هذا قول عَبيد :

مَنْ يَسأل الناس يحرِمُوه * وسـائلُ اللهِ لا يخيبُ

قال سليمانُ لأبى حازمٍ : سَـلْ حوائجَك ، فقال : قد رفعتُها الى من لا تُختزلُ[2] الحوائجُ دونه .

قال بعضُ المفسّرين فى قول الله عزّ وجلّ : (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أى المخلوقُ يرزُقُ فإذا سخِط قطع رِزقَه، والله عزّ وجل يسخَط ولا يقطَعُ .

وقال الشاعر :

لا تضرَعنّ لمخلوقٍ على طمَـعٍ * فإنّ ذلك وهْنٌ مـنـك بالدِّينِ

واسترزِق اللهَ رزقاً من خزائنه * فإنمـا هو بين الكافِ والنونِ

---

(١) روى هذا البيت فى لسان العرب مادة «وشك» وشرح الأشمونى ج ١ ص ٢١٥ طبع بولاق :
ولو سُئل الناس التراب لأوشكوا * اذا قيـل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

(٢) كذا فى كتاب الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١٧٢) وفى الأصل : «تعتزل» .

وقال الخليل بن أحمد :

أبلغْ سُليمانَ[1] أنّى عنه فى سَعَةٍ * وفى غِنًى غير أنى لستُ ذا مالِ
شُحًّا بنفسى، إنى لا أرَى أحدًا * يموت هَزْلًا ولا يبقَى على حالِ
فالرزقُ عن قَدَرٍ لا الضعفُ يمنعُه * ولا يَزيدُكَ فيه حولُ محتالِ

وقال المَعْلُوطُ :

متى ما يَرَ الناسُ الغنيَّ وجارُه * فقيرٌ يقولوا عاجزٌ وجَليدُ
وليس الغنى والفقرُ من حيلة الفتى * ولكن حُظوظٌ قُسِّمَتْ وجُدُودُ

وقال آخر :

يَخيبُ الفتى من حيثُ يُرزَقُ غيرُه * ويُعطَى الفتى من حيثُ يُحرَمُ صاحِبُهْ

وقال أبو الأسود :

ليتكَ آذنتَني بواحدةٍ * تجعلُها منك سائرَ الأبدِ
تحلِفُ ألّا تَبَرَّنى أبدًا * فإنّ فيها بردًا على كبِدى
إن كان رزقى إليك فارمِ به * فى ناظِرَىْ حيّةٍ على رَصَدِ

وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : حِرفةٌ يُقالُ فيها خيرٌ من مَسْألةِ الناس .

---

(١) هو سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وكان والى فارس والأهواز، فكتب الى الخليل بن أحمد يستدعى حضوره ، وكانت له راتب على سليمان المذكور ؛ فكتب الخليل جوابه : أبلغ سليمان ... الأبيات . فقطع عنه سليمان الراتب ؛ فقال الخليل :

ان الذى شقّ فمى ضامن * للرزق حتى يتوفانى
حرمتنى مالا قليلا فما * زادك فى مالك حرمانى

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته ، وكتب الى الخليل يعتذر اليه وأضعف راتبه . (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٤٣ طبع بولاق) .

وقال سعيدُ بن العاص : مَوْطِنانِ لا أستحيي من العِيِّ فيهما : عند مُخاطَبتي جاهلًا، وعند مسألتي حاجةً لنفسي .

حدّثنى محمد بن عبيد عن أبى عبد الله عن محمد بن عبد الله بن واصل قال : جاء رجلٌ إلى شُرَيح يَستقرِضُ دراهمَ ؛ فقال له شريحٌ : حاجتُكَ عندنا فأْتِ منزلَكَ فإنّها ستأتيكَ، إنّى لأكره أن يَلحَقَكَ ذُلُّها .

حدّثنى الرِّياشيّ عن الأصمعيّ عن حَكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته فقال : إيّاكم والمسألةَ، فإنها آخِرُ كسبِ الرجل .

وقال بعضُ المحدَثين :

عَوّدتُ(١) نفسى الضّيقَ حتى أَلِفْتُهُ * وأخرجَنى حسنُ العزاءِ الى الصّبرِ
ووسّع قلبى للأذى الأُنسُ بالأذى * وقد كنتُ أحيانا يَضيقُ به صَدْرِى
وصَيّرنى يأسِى من الناس راجيًا * لِسُرعةِ(٢) لُطفِ اللهِ من حيثُ لا أدرِى

وقال آخر :

حَسْبِى بِعلْمِى لو نَفَعْ * ما الذُّلُّ إلا فى الطّمَعْ
مَنْ راقبَ اللهَ نَزَعْ * عن قُبحِ ما كانَ صَنَعْ
ما طارَ شىء فآرتَفَعْ * إلا كما طارَ وقَعْ

(١) هكذا ورد هـذا البيت فى الأصل وقد دخله الخرم، وورد فى الأغانى (ج ٢ ص ١٧٢ طبع بولاق) :

تعوّدت مرّ الصبر حتى ألفته * وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر

(٢) فى الأغانى : «لحسن صنيع الله ...» .

الحِــــرصُ والإلحاحُ

لما قتل كِسرَى بُزُرْجِمِهْـرَ وجد فى مِنْطَقتِه كتابا : إذا كان القَدَرُ حقًّا فالحِرصُ باطلٌ ، وإذا كان الغَدْرُ فى الناس طِباعًا فالثقةُ بكلّ أحدٍ عجزٌ ، وإذا كان الموتُ لكل أحدٍ راصِدًا فالطمأنينةُ إلى الدنيا حُمْقٌ .

وقال بعض الشعراء :

من عفّ خفّ على الصديقِ لِقاؤه ، وأخو الحوائجِ وجهُـه مَمْـلولُ

وفى كتاب الهنـد : لا يُكثر الرجلُ على أخيه الحوائجَ ؛ فإنّ العِجلَ إذا أفرط فى مصّ أمه نطَحتْه ونحّتْه .

وقال عدىّ بن زيد :

قـد يُدرِكُ المُبطِئُ من حظّـه ، والرزقُ قد يَسبِقُ جهدَ الحريصْ

وقال ابن المقفّع : الحرصُ مَحْرمةٌ ، والجبنُ مَقتلةٌ ، فانظرْ فيما رأيتَ وسمعتَ أمَنْ قُتِل فى الحرب مُقبِلًا أكثرُ أم مَنْ قُتِل مُدْبِرا ، وانظرْ مَنْ يطلبُ إليك بالإجمال والتكرم أحقّ أن تسخوَ نفسُك له بالعطيّة أم مَنْ يطلبُ ذلك بالشَّرَه والحرص .

وقال الشاعر :

كم مِنْ حَريصٍ على شيءٍ لِيُدْرِكَه ، وعَلَّ إدراكَه يُدْنِى الى عَطَبِهْ

وقال آخر :

ورُبَّ مُلِحٍّ على بُغيـةٍ ، وفيها مَنِيّتُـه لو شَعَرْ

والعربُ تقول فى الرجل المُلِحّ فى الحوائج الذى لا تنقضى له حاجةٌ إلا سأل أخرى :

* لا يُرسِلُ الساقَ إلا مُمسِكًا ساقا *

وأصلُ المثل فى الحِرْباء، إذا اشتدّ عليه حَرُّ الشمس لجأ إلى شجرة ثم توقّى فى أغصانها، فلا يُرسل غُصنا حتى يَقبِض على آخر.

وقال الشاعر:

أَنَّى[1] أُتِيحَ له حِرْباءُ تَنْضُبَةٍ * لا يُرسِلُ السّاقَ إلّا مُمسِكًا ساقا

وفى كتاب كليلة: لا فقرَ ولا بلاءَ كالحِرص والشَّرَه، ولا غِنَى كالرِّضا والقناعة، ولا عقلَ كالتدبير، ولا وَرَعَ كالكفّ، ولا حَسَبَ كحُسن الخلق.

قال ابن المقفع: الحرصُ والحسدُ بِكْرا الذنوب وأصلُ المهالك؛ أمّا الحسدُ فأهلك إبليسَ، وأما الحرصُ فأخرج آدمَ من الجنّة.

وفى كتاب كليلة: خمسةٌ حُرَصاءُ، المالُ أحبُّ إليهم من أنفسهم: المُقاتِلُ بالأُجرة، وحفّارُ القُنِيّ[2] والأسرابِ، والتاجرُ يَركَبُ البحر، والحاوى يَلسَعُ يدَه الحيّة، والمُخاطِرُ على شُرب السمّ.

دخل مالك بن دينار على رجل محبوس قد أُخِذ بمال عليه وقُيِّد، فقال له: يا أبا يحيى، أمَا تَرى ما نحن فيه من هذه القيود! فرفع مالك رأسه فرأى سَلّةً، فقال: لمن هذه؟ قال: لى، قال: فأمر بها أن تُنزَل، فأُنزِلت فوُضِعتْ بين يديه، فإذا دَجاجٌ وأَخْبِصةٌ[3]، فقال مالك: هذه وَضعت القيودَ فى رِجلك.

كان أشعب يقول: أنا أطمع وأُمّى تيقّنُ فقلّ ما يفوتنا.

---

(١) قائله أبو دؤاد الإيادى. قال ابن برى: هكذا أنشده الجوهرى وصواب إنشاده. «أنّى أتيح لها» لأنه وصف ظُعُنًا ساقها وأزعجها سائق مجدّ (انظر اللسان مادة حرب) والتنضبة: واحدة التنضب وهو شجر عيدانه بيض ضخمة وورقه متقبض ولا تراه إلا كأنه يابس مغبرّ. (٢) جمع قناة وهى الآبار التى تحفر فى الأرض. (٣) أخبصة: جمع خبيص، والخبيص: ضرب من الحلواء.

وقال النابغة :

واليأسُ عما فات يُعقِب راحةً * ولرُبَّ مَطْعَمَةٍ[1] تعودُ[2] ذُباحا[3]

وقال أبو عليّ الضرير :

فإنّى قد بلوتُكمُ جميعًا * فما منكمْ على شكرى حريصُ
وأرخصتُ الثناءَ فبِعتُموهُ * ورُبَّتَما غلا الشيء الرخيصُ
فعِفتُ نوالَكم ورَغِبتُ عنه * وشرُّ الزادِ ماعاف الخصيصُ[4]

وقال أعرابىّ :

أيها الدائبُ الحريصُ المُعَنَّى * لك رزقٌ وسوف تستوفيه
قبح اللهَ نائلًا ترتجيه * من يَدَىْ مَنْ تُريد أن تقتضيه
إنما الجودُ والسماحُ لمن يُعـ * ـطيك عفوًا وماءُ وجهك فيه
لاينالُ الحريصُ شيئًا فيكفيـ * ـه وإن كان فوق ما يكفيه
فَسَلِ اللهَ وحدَه ودَعِ النا * سَ وأسخِطْهمُ بما يُرضيه
لا تَرَى مُعطيًا لِما مَنع اللهُ ولا مانعًا لما يُعطيه

(١) كذا فى لسان العرب مادة «دعم» وفى الأصل : «مطعمة» . (٢) فى لسان العرب : «تكون» . (٣) الذباح : القتل . (٤) الظاهر من السياق أن الخصيص هو الفقير، اشتقاقا من الخصاصة وهى الفقر، ولم نعثر عليه فى كتب اللغة التى بين أيدينا .

[وجد بالأصل بآخر هذا الجزء ما يأتى] :

آخر كتاب الحوائج، وهو الكتاب الثامن من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى رحمـة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمـد بن على الواعظ الجَزَرى وذلك فى شهور ســنة أربع وتسعين وخمسمائة . والحمـد لله ربّ العالمين، وصلاتُه وســلامُه على سيِّدنا محمـد النبى وآله أجمعين . ويتلوه الكتاب التاسع وهو كتاب الطعام، والله الموفِّق للصّواب .

[وفيه كذلك — وهو من زيادات النسّاخ —] :

فى الاستعفاف :

طلبــك ماليأس من النـاس * إنّ غِنَى نفســك فى اليأس
كم صاحبٍ قد كان لى وامقًا * إذ كانَ فى حالة إفــلاس
أقول لو قـد نال هـذا الغِنَى * صَـيَّرنى منــه على الرّاس
حتى إذا ما صارَ فيما آشتَهَى * وعدّه النّـاسُ من النّـاسِ
قَطّع بالصـدّ حبالَ الصَّـفا * مـنِّى ولمّـا يَرْضَ بالقـاسى

آخر[1] وقد أحسن :

إنّ للمعــروف أهــلًا * وقليــلٌ فاعِــلوهُ
أهنــأُ المعـروفِ ما لم * تُبتَــذَلْ فيــه الوجوهُ
أنت ما آستغنيتَ عن صا * حبــك الدّهرَ أخوهُ
فإذا آحتجتَ إليــه * ساعــةً مَجّك فــوهُ

(١) هو أبو العتاهية .

إنما يَعرف الفضـ * ـلَ من الناس ذووه
لو رأى الناسُ نبيًّا * سائلا ما وَصَلوهُ

وكتب أبو العيناء الى أبي القاسم بن عُبَيد الله بن سُليمان رُقعة يقول فيها : أنا — أعزّك الله — وولدى وعيالى زرعٌ من زَرْعك، إن سقيته راعَ وزكا، وإن جفوته ذَبُل وذَوَى . وقد مسّنى منك جفاءٌ بعد برٍّ وإغفالٌ بعد تعهّد، فشمت عدوٌّ، وتكلّم حاسد، ولعبت بى ظنونٌ، وانتزاعُ العادةِ شديدٌ. ثم كتب فى آخرها:

لا تُهِنّى بعدَ إكرامك لى * فشديدٌ عادةٌ منتزعَهْ

آخر:

مالى مَعَاشٌ سوى ضدّ المعاش فلا * أغدو إلى عملٍ إلّا بلا أملِ
وليس لى شُغُلٌ يُجدى علىّ إذا * فكّرتُ فيه وما أنفكّ من شُغلِ
كلُّ امرئٍ رائحٌ غادٍ إلى عملٍ * وما أروح ولا أغدو إلى عملِ
ولستُ فى الناس موجودًا كبعضهمُ * وإنما أنا بعضُ الناس فى المثل

آخر:

المرءُ بعد الموتِ أُحدوثةٌ * يفنَى وتبقَى منه آثارُهُ
يَطويه من أيامه ما طوى * لكنّه تُنشَرُ أسرارُهُ
وأحسنُ الحالاتِ حالُ امرئٍ * تَطيبُ بعد الموت أخبارُهُ
يفنَى ويبقَى ذكرُه بعدَه * اذا خلَتْ من شخصه دارُهُ

وقال حبيب الطائى :

وما ابنُ آدمَ إلّا ذكرُ صالحةٍ * أو ذكرُ سيّئةٍ يَسرى بها الكَلِمُ
أمَا سَمِعتَ بدهرٍ بادَ أمّتُه * جاءت بأخبارها من بعدها أُمَمُ

في البخل :

طَرَقْتُ أُنَاسًا عــلى غِرَّةٍ * فَذُقْتُ من العيش جهدَ البلاء

فأمّا القــديدُ[1] وأشــباهُه * فذاك مفاتيحُــه في السماء

وأما السَّويقُ فــفى عَيْبةٍ * يُشَمُّ ويُدْعَى لــه بالبقاء

ومَنْ حاولَ الخــبز قالوا له * أتذكر شيئاً خُــفِي الدّواء

(١) القديد : اللحم المجفف في الشمس .

كتاب الطعام

صنوف الأطعمة

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة الدِّينَوَرِيّ رحمة الله عليه : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأحنف : أىُّ الطعامِ أحبُّ إليك ؟ قال : الزُّبْدُ والكَمْأةُ[1]، فقال عمر : ما هما بأحبِّ الأطعمةِ إليه، ولكنه يُحِبّ الخِصْبَ للمسلمين .

قال الأصمعىّ : قال رجلٌ فى مجلس الأحنف : ليس شىءٌ أبغضَ الىّ من التمْرِ والزُّبْدِ[2]، فقال الأحنف : رُبَّ مَلُومٍ لا ذنبَ له .

عن أبى عمرو بن العَلَاء قال : قال الحجّاج لجلسائه : لِيَكْتُبْ كلُّ رجلٍ فى رُقْعةٍ أحبَّ الطعامِ إليه ويجعلْها تحت مُصَلّاىَ، فإذا فى الرِّقاع كلِّها الزُّبْدُ والتمرُ .

عن الأصمعىّ قال قال مَدَنِيّ : الجَفَنات أربع : العصيدةُ والمريسةُ والحَيْسةُ[3] والسَّمِيذةُ[4] .

عن الأصمعىّ عن حزم قال : قال مالك بن حِقْبة لحسّان بن الغُرَيْمة : ما تزوّدتَ إلينا ؟ قال : الحَيْسُ، قال : ثلاثةُ أسْقِيَة فى وِعاء .

---

(١) الكمأة اسم للجمع وللواحد : نبات يقال له : شحم الأرض، مستدير كالقلقاس، لا ساق له ولا عرق لونه الى الغبرة، يوجد فى الربيع تحت الأرض . (٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٢) . «ما شىء أبغض الىّ من الزيت والكمأة» . (٣) الحيسة . الأقط يخلط بالتمر والسمن . (٤) السميذة (بالدال المهملة والذال المعجمة) : الحوّارى، وهى لباب الدقيق .

قال الأصمعيّ : قال بعض الأعراب : أشتهي ثريدةً دَكْناء[1] من القُلْقُل[2]، رَقْطاء[3] من الحِمِّص[2]، ذات حِفَافين[4] من اللحم[2]، لها جَناحان من العُـرَاق[5]، أَضْرِب فيها ضَرْب وليّ السَّوْء في مال اليتيم .

وقال ابن الأعرابيّ : يقال : أطيبُ اللحم عُوَّذُه، أى أطيبه ما وَلِيَ العظمَ، كأنه عاذَ به .

عن أبى عُبَيدة قال : مرّ الفرزدقُ بيحيى بن الحُصَين بن المُنْذِر الرَّقَاشيّ، [ف]قال له : هل لك يا أبا فِرَاسٍ فى حَذِيٍ سَمِين ونَبِيـذِ زبيبٍ جيِّـد ؟ فقال الفرزدق : وهل يأبى هذا إلا ابنُ المَرَاغة! يعنى جريرا .

وقال الأَحْوَص لجرير : ما تُحِبُّ أن يُعَدّ لك؟ قال : شِواءٌ وطِلاءٌ[6] وغِناءٌ؛ قال : قد أُعِدّتْ لك .

وقال مَدَنِيٌّ لصـديق له : والله أشتهى كَشْكِيَّةً[7]، ومدّ بها صوتَه فخرجت منه ريح؛ فقال له : ما أسرع ما لَقِحَتْكَ يا ابن عمّ .

---

(١) ثريدة دكناء : كثيرة الأبازير، والأمازير . التابل وهو ما يطيب الطعام . (٢) كذا فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٩٤) وفى الأصل : «ومن» . (٣) الرقطاء : السوداء تشوبها نقط بيضاء . (٤) كذا فى البخلاء، والحفاف : الجانب . وفى الأصل : «حفافين» بالخاء المعجمة وهو تحريف . (٥) العراق (بضم العين) : العظام اذا لم يكن عليها شىء من اللحم . (٦) الطلاء : الخمر . (٧) فى كتب اللغة الكشكية : ماء الشعير، وفى القواميس الفارسيه : الكشك : ضرب من الحساء الرخصة مصنوع من القمح والشعير وربد لبن الشاء، وربما أضيف اليه شىء من اللحم .

وعن الأصمعيّ قال: قال شيخ من أهل المدينة : أتيتُ فلانا فأتانى بمَرَقة كان فيها مُسَقٌّ، فلم أرَ فيها إلا كَبِدًا طافيــةً، فغَمَستُ يدى فوجدت مُضغة[1]، فمددتُها فامتدّتْ حتى كأنى أزمُر فى ناي .

أُدخل أعرابيّ على كِسْرَى ليتعجّبَ من جَفائه وجَهْــلِه ؛ فقال له : أىّ شيء أطيبُ لحمــا؟ قال : الجمل . قال : فأىُّ شيء أبعدُ صوتا ؟ قال : الجمل . قال : فأىّ شيء أنهضُ بالحِمْل الثقيل ؟ قال : الجمل . قال كسرى : كيف يكون لحم الجمل أطيبَ من البَطّ والدّجاج والفِراخ والدُّرّاج[2] والجِــداء؟ قال : يُطبَخ لحم الجمل بماءٍ ومِلْح، ويُطبخ ما ذكرتَ بماءٍ ومِلْح حتى يُعرفَ فَضْلُ ما بين الطعمين . قال: كيف يكون الجمــل أبعدَ صوتاً ونحن نسمع الصوتَ من الكُرْكِيّ[3] من كذا وكذا مِيلا؟ قال الأعرابيّ : ضعِ الكُرْكىّ فى مكانِ الجمل وضَعِ الجملَ فى مكان الكركىّ حتّى تعرفَ أيُّهما أبعدُ صوتا . قال كسرى : كيف تزعمُ أنّ الجمل أحملُ للحِمل الثقيل والفيلُ يحمل كذا وكذا رطلا ؟ قال : لِيُبْرَكِ الفيلُ ويُبْرَكِ الجملُ ولْيُحْمَلْ على الفيل حِمْلُ الجمل ، فإن نهض به فهو أحمل للأثقال .

عن جعفر بنِ سليمان قال: شيئانِ لا يزيدهما كثرةُ النفقة طِيباً : الطِّيبُ والقِدْر، ولكن تُطَيِّبُهما إصابةُ القَدْر .

وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر الجاحظ من كتبه[4] قال: كان أبو عبد الرحمن الثورىّ يُعْجَبُ بالرءوس ويَصِفُها ويُسمّى الرأس عُرْسا لِمــا تجمّع فيه من الألوان الطيّبة ،

(١) المضغة : قطعة اللحم . (٢) الدرّاج (وزان رمّان) : طائر يطلق على الذكر والأنثى جميل المنظر ملوّن الريش . (٣) الكركىّ : طائر يقرب من الإوَزّ أبتر الذنب رمادىّ اللون فى خدّه لمعات سود قليل اللحم صلب العظم يأوى إلى الماء أحيانا . (٤) قد أورد عمرو بن بحر الجاحظ هذه القصة فى كتابه "البخلاء" (ص ١١٥ طبع أوربا) .

وكان يسمّيه مرّةً الجامعَ ومرّةً الكاملَ، ويقول: الرأس شيء واحد وهو ذو ألوانٍ عجيبةٍ وطعومٍ مختلفةٍ، وكلّ قِدرٍ وكلّ شِواءٍ فإنما هو شيءٌ واحد، والرأس فيه الدماغُ وطَعْمُه مُفْرد، والعينان وطعمهما مفرد[وفيه الشحمة التي بين أصل الأذن ومُؤْخِرِ العين وطعمها على حدة](١)، على أن هذه الشّحمة [خاصّةً](١) أطيبُ من المُخّ وأنعم من الزُّبد وأدسم من السِّلاء، ثم يَعُدّ أسقاطه كلها. ويقول: الرأسُ سيِّد البَدَن، وفيه الدماغ وهو مَعْدِن العقل، ومنه يتفرق العَصَبُ الذى فيه الحِسّ، وبه قِوَامُ البَدَن، وإنما القلبُ بابُ العقل، كما أنّ النفس هي المدركةُ والعينُ هي باب الألوان، والنفس هي السامعة الذائقة وإنما الأنف والأُذُن بابان . ولولا أنّ العقل في الرأس لما ذهب العقل من الضربة تُصيبه، وفي الرأس الحواسّ الخمس . وكان يُنشد :

هُمُو(٢) ضَرَبُوا رأسي وفي الرأس أكْثَرِي ✽ وغُـودِرَ عند المُلْتَـقَى ثَمّ سَائِرِى

وكان لا يَشترى الرأسَ إلا في زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ، ولا يشتريه إلا يوم السبت لأن الرءوس يوم السبت أكسدُ، للفضلات التي تَبقى في منازل التجّار عن يوم الجمعة. وكان إذا فرغ من غَدَائه يوم الرأس، عَمَد إلى القِحْف(٣) والى اللَّحْيَين(٤) فوضعه قُرْبَ بيوتِ النمل والذرّ، فإذا اجتمعْنَ عليه أخذه ونَفَضَه في طَسْتٍ فيه ماء، ولا يزال يُعيد ذلك على تلك المواضع حتى يُقْلِع النملُ والذرّ من داره، فإذا فَرَغ من ذلك ألقاه مع الحطب فاستوقده في التَّنُّور .

الأصمعيّ قال: قال أبو صَوّارة أو ابن دُقّة : الأرز الأبيض بالسَّمن المَسَلَّى بالسكر الطَّبَرْزَذ(٥)، ليس من طَعام أهل الدنيا .

(١) الزيادة عن البخلاء. (٢) في البخلاء: «اذا». (٣) القحف: العظم الذى فوق الدماغ، أو هو ما انفلق من الجمجمة فانفصل، ولا يدعى قحفا حتى ينكسر منه شيء. (٤) اللحيان: عظما الحنك وهما اللذان عليهما الأسنان، وفي البخلاء: «الجبين». (٥) الطبرزذ: السكر الأبيض الصلب، فارسيّ.

قال: وقال أبو صَوَارة أو ٱبن دُقّة : أطولُ الليالى ثلاث : ليلةُ العقرب، وليلة الهريسة، وليلة جُلّة إلى مكة .

الأصمعىّ عن جعفر بن سليمان قال : قال أبو كامل مولى علىّ رضى الله عنه: أطعِمونى حَفْنَةَ زُبْدٍ ثم اختموا سراويلى ثلاثا .

وقال رجل للثَّورىّ فى الحديث : "إن الله يُبْغِض البيتَ اللَّحِمَ"؛ فقال : ليس هو الذى يؤكل فيه اللحم، وإنما هو الذى يؤكل فيه لحومُ الناس .

عن أبى الصِّدِّيق الناجى[1] عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "خيرُ تَمَراتكم البَرْنِىّ[2] يذهب بالداء ولا داءَ فيه" .

وعن ٱبن عُمَر عن عمر أنه قال : ياغلام أَنْضِج العصيدةَ تَذْهَبْ حرارةُ الزيت .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بيتٌ ليس فيه تمرٌ جِياعٌ أهلُه" .

شيخٌ من أهل البادية قال : أضافنا فلان فأتانا بحِنْطة كأنها مناقيرُ الغِرْبان، وتمرٍ كأنه أعناقُ الوَزِّ[3] يُوحَلُ فيه الضِّرس .

الأصمعىّ قال : قال أعرابىّ : تمرنا جُرْدٌ[4] فُطْسٌ[5] يَغِيبُ فيه الضِّرسُ، كأنّ نواه ألسُنُ الطير، تَضَع التمرةَ فى فِيكَ فتجدُ حلاوتها فى كَعْبَيْكَ .

الأصمعىّ عن أبيه قال : أَسَرَ رجلٌ رجلين فى الجاهلية فخيّرهما بم يُعَشِّيهما، فٱختار أحدُهما اللحمَ وٱختار الآخرُ التمرَ، فعُشِّيا وأُلْقِيا فى الفِناء وذلك فى شتاءٍ شديد، فأصبح صاحبُ اللحم خامدا وأصبح صاحب التمر تَزِرُّ[6] عيناه .

(١) هو بكر بن عمرو أو ٱبن قيس، كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة . (٢) البرنىّ : ضرب من التمر أصفر مدوّر، وهو أجود التمر . (٣) فى الأصل هكذا : «الوزلان» والظاهر أنه محرّف عما أثبتناه . (٤) جرد : ناعمة . (٥) فطس : صغار الحب لاطئة الأقماع . (٦) تزر عيناه : توقدان .

وقال غيرُ الأصمعيّ : قيل لأعرابيّ : ما رأيك في أكل الجِرّيّ(١) ؟ قال : تمرة نَرسيانةٌ عرّاءُ الطَّرَف صفراءُ السائر عليها مثلُها زُبْدًا أحبُّ إليّ منها ، ثم أدركه الوَرَعُ فقال : وما أُحَرِّمُهما .

وقال بعضُ الأعراب :

ألا ليتَ لي خُبْزًا تَسَرْبَلَ رائبًا(٢) * وخيلًا من البَرْنِيّ فُرسانُها الزُّبْدُ

قال : ورأى أعرابيٌّ دقيقا وتمرا فاشترى التمر، قيل له : كيف وسعرُ الدقيق والتمر واحد ! قال : إنّ في التمر أُدْمَه وزيادةَ حلاوة .

عن زياد النُّمَيريّ قال : قالت عائشة : من أكل التمرَ وِترًا لم يضرّه .

الأصمعيّ قال : حدّثني شيخٌ عالمٌ قال : أطيبُ التمرِ صَيْحانيّة(٣) مُصَلَّبة .

الأصمعيّ قال : حدّثني رجلٌ من آل حزم قال : كان يقال : مَنْ حلا(٤) على التمر فالعجْوة، ومن أكله على ثِقَلٍ فالصَّيحانيّ .

الأصمعيّ قال : قال أعرابيّ يُفَضِّلُ الرُّطَبَ على العسل : أتجعلُ عَسَلَةً في أحشاء البقر كعَسَلَةٍ في جوّ السماء لها مَحارِسُ من حَريدٍ ودوائبُ من زُمُرُّدٍ !

وقال الأصمعيّ : قيل لابن القدّاح : أيّ التمرِ أطيبُ؟ فدعا بأنواع التمر، فلمّا أكلوا قال : انظروا أيُّ النوى أكثرُ؟ قالوا : نوى الصيحانيّ ، قال : هو أطيبُ .

---

(١) الجِرّيّ : ضرب من السمك . والتمر النرسيان : نوع من التمر جيد ، واحده نرسيانة ، وفي الأصل «تمرة رسابية» وهو تحريف . (٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٤ طبع بولاق) . ورواية الأصل . * ألا ليت خبزا قد تسربل رائبا *

(٣) الصيحاني : ضرب من التمر أسود صلب المضغة نسب الى صيحان وهو كبش كان يربط الى نخلة بالمدينة فأثمرت تمرا فنسب اليه ، ويقال صلبت التمرة اذا طابت اليبس (انظر اللسان مادة صلب) .

(٤) يقال : حلا على بعض الطعام اذا اقتصر عليه . قال اللحيانيّ : تميم تقول : حلا فلان على اللبن وعلى اللحم اذا لم يأكل معه شيئا ولا خلطه به . قال : وكنانة وقيس يقولون : أحلى فلان على اللبن واللحم .

وقال الأصمعىّ : العرب تقول للبخيل الأكول : "أبرمًا قرونًا"[١] أى لا يُخرج مع أصحابه شيئا ويأكل تمرتين تمرتين .

وقال النابغة يصف تمرا :

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرُها * اذا طار قشرُ التمر عنها بطائرِ

سمع الحسنُ رجلا يَعيبُ الفالُوذَج[٢] فقال : لُبَابُ البُرِّ بلُعَابِ النحل بخالصِ السَّمْنِ! ما عاب هذا مسلمٌ . وقال لِفَرْقَدِ السَّبَخِىّ : يا أبا يعقوبَ ، بلغنى أنك لا تأكلُ الفالوذجَ؛ فقال : يا أباسعيد ، أخافُ ألّا أؤدِّىَ شكرَه؛ فقال : يا لُكَعُ ! وهل تؤدِّى شكرَ الماءِ البارد [في الصيفِ[٣] والحارِّ في الشتاء! أما سمعتَ قولَ الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾] .

---

(١) كذا ورد هذا المثل فى مجمع الأمثال للميدانى ولسان العرب مادّة «برم» والبرم : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله . والقرون : الذى يقرن بين الشيئين أى هو برم ويأكل مع ذلك تمرتين تمرتين . يضرب مثلا لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين ؛ وفى الأصل : «أبرما أكولا قروما» وهو تحريف .

(٢) الفالوذج : حلواء يسوّى من لب الحنطة . فارسىّ معرّب . وفى الصحاح : الفالود والفالودق معرّبة ، قال يعقوب : ولا يقال : الفالوذج . (انظر القاموس وشرحه مادّة فلذ) والعرب لا تعرفه حتى حكى أن عبد الله بن جدعان ، وكان سيدا شريفا فى قريش ، وفد على كسرى مرة وأكل عنده الفالوذج فتعجب منه وسأل عن حقيقته ، فقيل : هى لباب البرّ يلبك مع العسل ، فابتاع من عنده غلاما يصنعه ، وقدم به مكة فصنع بها الفالوذج ووضع موائده بالأبطح الى باب المسجد ، ثم نادى : من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر ، فكان ممن حضر أمية بن أبى الصلت ، فقال مادحا :

لكل قبيلة رأس وهادى * وأنت الرأس تقدُم كلّ هادى

له داع بمكة مشمعلّ * وآخر فوق دارته ينادى

الى رُدُحٍ من الشيزى ملاءٍ * لباب البرّ يلبك بالشهاد

(٣) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨١) .

الأصمعيّ قال: اختصم روميّ وفارسيّ فى الطعام، فحكّما بينهما شيخا قد أكَلَ طعامَ الخُلفاء، فقال : أمّا الروميّ فذهب بالحَشْوِ والأحشاء، وأما الفارسيّ فذهب بالبارد والحَلْواء .

وعن الأصمعيّ قال : كنّا عند الرشيد فقُدِّمتْ اليه فالُوذَجةٌ، فقال : يا أصمعيّ حَدِّثْنَا بحديث مُزَرِّدٍ، فقلت : إن مُزَرِّدا أخا الشمّاخ كان غلاما جَشِعًا وكانت أُمّه تُؤْثِرُ عيالَها بالطعام عليه وكان ذلك يُحْفِظُه[1]، فخرجتْ أُمّه ذاتَ يوم تزورُ بعضَ أهلها، فدخل مُزَرِّدٌ الخيمةَ وعمَد الى صاعَيْ دقيقٍ وصاعٍ من تمرٍ وصاعٍ من سمنٍ فجمعه ثم جعل يأكله وهو يقول :

ولمّـا غدتْ أُمّي تَمِـيرُ بَنَاتِهـا * أغرتُ على العِكْمِ[2] الذى كان يُمْنَعُ
لبكتُ[3] بصاعَيْ حِنْطةٍ صاعَ عَجْوةٍ * الى صـاعِ سمنٍ فوقَـهُ يَتَرَيَّعُ[4]
ودبلتُ[5] امثـالَ الأثافِي كأنهـا * رُءوسُ نِقـادٍ[6] قُطِّعَتْ يومَ تُجْمَـعُ
وقلتُ لِبَطـنِي أبْشِرِ اليــومَ إنه * حِمًى أُمِّنا ممـا تَحُــوزُ وتَرْفَــعُ
فإن كنتَ مَصْـفورًا[7] فهذا دواؤه * وإن كنتَ غَرْثانًا[8] فذا يومُ تَشْبَعُ

فضحِكَ الرشيدُ حتى آستلقَى على ظهره، ثم قال : كُلوا بآسم الله، هــذا يومُ تَشْبَعُ [يا أصمعيّ][9] .

---

(١) يحفظه : يغضبه . (٢) العكم : النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها .
(٣) لبكت : خلطت، واللبيكة : أقط ودقيق أو تمر ودقيق يخلط و يصب عليه السمن . (٤) يتريع : يجيء هاهنا وهاهنا لا يستقر له وجه لكثرته . وفى الأصل : «يتربع» بالباء الموحدة . (٥) دبلت الشيء : جمعت بعضه على بعض وعظمته مثل الكتلة . وفى الأصل «وديلت» بالذال المعجمة والباء المثناة وهو تحريف (انظر اللسان مادة ربع ودبل) . (٦) نقاد : جمع نقدة وهى الصغيرة من الغنم، الذكر والأنثى فى ذلك سواء . (٧) المصفور : من به الصفر وهو داء فى البطن يصفرّ منه الوجه .
(٨) غرثان : جائع؛ وقد وردت هــذه الأبيات فى الجزء الثالث من العقد الفريد ص ٣٨٥ باختلاف قليل فى بعض ألفاظها عما هو مثبت هنا . (٩) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٥) .

قال : وكتب الحجاجُ الى عامِله بفارسَ : اِبعَثْ الىّ عسلًا من عسلِ خُلّار[1]، من النَّحْلِ الأبكار، مِن الدَّسْتَفْشَار، الذى لم تمسّه النار .

وقال الأصمعىّ : كتب بعضُ[2] الخلفاء الى عامله بالطائف : أن أرسِل الىّ بعسلٍ أخضَرَ فى سقاء، أبيضَ فى الإناء، من عَسَلِ النَّدْغ[3] والسَّحاء[4]، من حِدّابِ بنى شبابة .

والعربُ تصِف العسلَ بالبرودة .

وفى حديث ابن عباس أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم سئِل عن أفضل الشراب قال : "الحلْواءُ الباردُ" يعنى العسلَ . وقال الأعشى :

كما شِيبَ بماءٍ با * رِدٍ من عسلِ النحلِ

ويقال : أجودُ العسلِ النحِىّ[5] الذى اذا قَطَرتْ منه قَطرةٌ على وجه [الأرض] استدار كما يَستدِيرُ الزئبقُ ولم ينفُشْ ولم يختلط بالأرض والتراب .

والرومُ تقول : أجودُه ما يُلطَخ على فَتيلةٍ ثم تُشعَلُ فيه النارُ فيَعْلَق .

وسُئل ديمقراطيس العالِمُ عما يَزِيدُ فى العُمْر فقال : مَنْ أدام أكلَ العسلِ ودهَن جِسمَه به زاد الله بذلك فى عمرِه .

---

(١) خلّار كرمان : موضع بفارس ينسب اليه العسل الجيد . والدستفشار : كلمة فارسية ومعناها ما عصرته الأيدى وعالجته . (انظر القاموس وشرحه مادة خلر) . وقال ابن سيده فى المخصص (ج ٥ ص ١٨ طبع بولاق) : قال أبو حنيفة : المستفشار والدّستفشار : العسل الذى لم تمسه النار . وقال . ليست واحدة منهما عربية لأن هذا البناء ليس من كلامهم .

(٢) كذا فى الأصل، وفى اللسان مادة «ندغ» أن الذى كتب الحجاج، والحجاج لم يكن من الخلفاء كما هو مذكور هنا .

(٣) الندغ : الصعتر البرىّ وهو مما ترعاه النحل وتعسل عليه وعسله أطيب العسل ، وفى الأصل « البذع » .

(٤) السحاء : نبت آخر من مراعى النحل يطيب عسله عليه، وفى الأصل «السماء» . وحداب بنى شبابة : جبال بالسراة ينزلها بنو شبابة ، قوم من فهم بن مالك كما فى اللسان وشرح القاموس مادة (حدب) . وفى الأصل : «حدب » بدون ألف .

(٥) فى ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه النحى، وفى لطائف المعارف الثعالبي ص ١١٠ طبع أوروبا : «وأن خير الأعسال كلها عسل أصبهان ، وأن فى أجوده هذه الخاصة وذكر الثعالبي أنه يحمل منه كل سنة الى السلطان ألفا رطل » .

والعَسلُ إن جُعل فيه اللحمُ الطرىّ بقى كهيئته حتى لا يَنْتُنَ . ويقال : مَنْ كان به داء قديمٌ فليأخُذْ دِرهمًا حلالًا وليَشتَرِ به عسلا ثم يَشرَبْهُ بماءِ سواءٍ فإنه يبرأ بإذن الله تعالى . وكان الحسنُ يُعجِبُه اذا آستمشى[1] الرجلُ أن يَشربَ اللبنَ والعسلَ .

ويزعم أصحابُ الطبائِع أن العسلَ اذا دِيفَ[2] بالماء وخُلِطَ معه زيتٌ أو دُهنُ سِمسِمٍ نافعٌ لمن شَرِبَ السُّمومَ والأدويةَ القاتلةَ يُتَقيأ به .

ميمونُ بن مِهرانَ عن آبن عبّاس قال — ولا أعلمه إلّا عن النبىّ صلى الله عليه وسلم — أنه قال : "أكرِمُوا الخبزَ فإنّ الله سخّر له السمواتِ والأرضَ" .

الأصمعىّ قال : كانت امرأةٌ من[3] بكر بن وائل تنزلُ الطُّفَاوةَ[4] وكانت قد أدركت بعض أصحابِ النبىّ صلى الله عليه وسلم، وكان العُبّادُ يغشَوْنَها فى منزلها؛ فعابَ عائبٌ عندها السَّويقَ[5]، فقالت : لا تفعَلْ ! إنه طَعامُ المسافِر، وطعامُ العَجْلانِ، وغِذاءُ المبكِّرِ، وبُلغةُ المريضِ، ويَشُدُّ فؤادَ الحزينِ، ويَرُدُّ من نَفسِ الضَّعيفِ؛ وهو جيّدٌ فى التّسمِين وتقاوة البلغَمِ، ومَسْمُونُه[6] يُصَفّى الدمَ، إن شِئتَ كان ثريدا، وإن شئت كان خَبيصًا، وإن شِئت كان خُبزًا .

وكان غسّانُ بن عبد الحميد كاتب سليمان بن علىّ يقول لجاريته : خَوِّصى[7] لنا سويقا فأخثِريهِ، فإنّ الرجلَ لا يَستحِى أن يزدادَ ماءً فيرقّقَه، ويستحى أن يزدادَ سويقًا فيُخثِرَه به .

---

(١) استمشى : استطلق بطنه . (٢) ديف : خلط . (٣) فى الأصل : «كان فى الطفاوية امرأة من بكر بن وائل تنزل الطفاوة ... الخ» . (٤) الطفاوة : حىّ من قيس عيلان، وموضع بالبصرة سمى بالقبيلة التى نزلته . (٥) كذا بالأصل، وهذا التكرار لا يتفق مع بلاغة السياق، وفى العقد الفريد : «طعام المسافر والعجلان» . (٦) سمن الطعام يسمنه سمنا فهو مسمون : عمله بالسمن ولته به . (٧) خوّص الشراب وخاضه : خلطه وحرّكه . والخثورة : ضدّ الرقة، يقال : أخثر الشىء وخثره إذا غلظه بعد الرقة .

مرّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بعبد الحميد بن عليّ وهو فى مَزْرَعته وقد عَطِش، فاستسقاه فخاضَ له سَويقَ لَوْزٍ فسقاه إياه؛ فقال عبد الله :

شَرِبتُ طَبَرْزذا[1] بِغَرِيضِ[2] مُزْنٍ * ولكنّ المِـلاحَ بكم عِذابُ
وما [هو] بالطَّبَرْزَذِ طاب لكن * بِمَسِّـكَ إنه طـاب الشرابُ
وأنت إذا وَطِئتَ تُرابَ أرضٍ * يَطيبُ إذا مشـيتَ به الترابُ
لِأنّ نَداكَ يَنفِى المَحْـلَ عنهـا * وتُحْيِيهـا[3] أياديكَ الرِّطـابُ

وقال الحسنُ : لا تَسْقُوا نِساءَكم السَّوِيقَ، فإن كنتم لا بدّ فاعلين فَأَحمِضُوهنّ.

وقال الرَّقاشِىّ : السِّمْنةُ لِلنّساء عُلْمةٌ وهى للرجال غَفْلةٌ .

عن ابن عمرَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "ثَلاثةٌ لا تُرَدُّ : اللّبَنُ والسِّواكُ[4] والدُّهْنُ" .

الرِّياشىّ قال : سمعتُ أبا زيدَ يقول : رأيتُ رجلا كأنّ أسـنانَه الذّهبُ لشربه اللّبَنَ حارًّا .

الأصمعىّ عن ذى الرُّمّةِ أنه قال : إذا قلتَ للرجل : أىُّ اللّبن أطيبُ ؟ فإن قال : قارِصٌ[5]، فقُلْ : عبد مَنْ أنتَ[6]؟ وإن قال : الحليبُ، فقُلْ : ابنُ مَن أنتَ؟

مرّ رجل من قريش بآمرأةٍ من العرب فى باديةٍ، فقـال : هل من لبنٍ يُباعُ؟ فقالت : إنك لئيم أو قريبُ عهدٍ بقومٍ لِئامٍ .

---

(١) الطبرزذ : السكر فارسىّ معرّب، ويقال فيه : طبرزن وطبرزل بالنون واللام (انظر القاموس وشرحه مادة طبرزذ ومفردات ابن البيطار طبع بولاق فى اسم الطبرزد) . (٢) الغريض من اللحم والماء واللبن والتمر : الجديد الطارح . (٣) فى الأصل : «وتجنيها» بالجيم والنون وهو تحريف . (٤) فى الأصل هكذا : «الوساك» وهو تحريف . (٥) القارص : الحامض . (٦) أى هو عبد، لأنه باستطابته الحامض دل على أنه لم ير خيرا منه، إذ العبد يأكل ما يحصل من مواليه فلا يصل إليه الحليب إلا حامضا .

وكان يقـال : اللبنُ أحدُ اللحمَين .

وقال بعضُ المدنيّين : مَنْ تَصبّح(١) بسبع مَوْزَاتٍ(٢) وبقَـدَحٍ من لبن إبلٍ أَوَارِكَ(٣) تَجشّأ بَخُورَ الكعبة .

وقف معاويةُ على امرأةٍ فقال : هل من قِرًى؟ فقالت : نعم، قال : وما هو؟ قالت : خبزٌ خَمِير ولبنٌ فَطِير وماءٌ نَمِير(٤)، والعرب تقول : "إنّ الرَّثِيئةَ تَفْثأُ الغضبَ(٥)".

والرَّثِيئَـةُ : اللبنُ الحامضُ يُحلَبُ عليه الحليبُ، وهو أطيبُ اللبن . قال بعضُ الأعراب :

وإذا خشِيتَ على الفؤادِ لجَاجَةً * فاضرِب عليه بجُرْعَةٍ من رائِبِ

وعن مطر الورّاق : أنّ نبيًّا من الأنبياء شكا الى الله تعالى الضعفَ، فأوحى الله إليه : أنِ اطبُخِ اللبنَ باللحم، فإنّ القوّة فيهما .

وصف أعرابيٌ خِصْبَ البادية فقـال : كنتُ أشربُ رثيئـةً تَجُرُّها الشّفتان جرًّا، وقارِصًا إذا تجشّأتُ جدَع أنفي، ورأيتُ الكمأةَ تدوسُها الإبلُ بمناسِمِها، وخُلاصةً(٦) يَشَمُّها الكلبُ فَيعطِس .

وتقول الأطبّاء : إنّ اللبن اذا سُخِّنَ بالنـار وسِيطَ(٧) بعُودٍ من عيـدان شجرِ التّين راب من ساعته . وقالوا : وإن أراد صاحبه ألّا يروبَ وإن(٨) كان فيه رُوبةٌ جعل فيه شيئا من الحَبَقِ، وهو الفُوذَنْجُ(٩) النهريّ، فإنه يبقى كهيئته .

(١) تصبح : أكل شيئا قليلا يتعلل به . (٢) كذا فى الأصل ولعلها «لوزات» أو «تمرات» .
(٣) الإبل الأوارك : التى تأكل الأراك . (٤) الماء النمير : الناجع فى الرىّ، وقيل : الماء النمير : الكثير . واللبن الفطير : الطرىّ القريب العهد من الحلب . (٥) هـذا مثل ذكره الميدانىّ وقال : الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو، وتفثأ الغضب أى تكسره وتذهبه . وأصله أنّ رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم وكان مع سخطه جائعا فسقوه الرثيئة فسكن غضبه . (٦) الخلاصة : التمر والسويق يلقى فى السمن . (٧) سيط : حرّك . (٨) فى الأصل : «فإن» .
(٩) الفوذنج : نبت، معرّب عن پوذينه .

أخبار من أخبار العرب فى مآكلهم ومشاربهم

المعلَّى الرَّبَعِىّ قال : مكثتُ ثلاثا لا أذوق طعاما ولا أشرب فيهنّ شرابا ، فدعوت اللّهَ تعالى ، واذا دعا العبدُ اللّهَ بقلبٍ صادقٍ كانت معه من الله عينٌ بصيرةٌ ، فدفعتُ الى ذئبين فى جَفْرٍ (1) ، فرميتُهما فقتلتُهما ، ثم أتيتُ جَفْرًا فيه ماء فآستقيت ، ثم أتيتهما واذا هما على مُهَيْدِيَتِيهِما (2) ، واذا لهما نَخْفَةٌ — يعنى شبهَ الزَّفير — فاشتويتُ وآحتذيتُ (3) وآدّهنت .

قال آبن قِرْفةَ (شيخ من سليم) : أضافنى رجل من الأعراب فجاءنى بِقِدْرٍ جِمَاعٍ (4) ضخمةٍ ليس فيها شىء من طعام إلا قِطَعُ لحم ، فاذا بَضْعة تَمَاتٌ (5) فى فى ، وبَضْعة كأنّها بِضَعُ ساقٍ ، و بضعة كأنها شحمٌ زَخِمٌ (6) ، فقلت : ما هذا؟ فقال : إنى رجل صيّاد ، جمعتُ بين ذِئبٍ وظَبىٍ وضَبُعٍ .

قال مدنىّ لأعرابىّ : ما تأكلون وما تَدَعُون ؟ قال : نأكل ما دَبَّ ودَرَجَ إلا أمَّ حُبَيْنٍ (7) ، فقال المدنىّ : لِيَهْنِئْ (8) أمَّ حُبَيْنٍ العافيةُ .

---

(1) الجفر : البئر الواسعة التى لم تطو ، وقيل : هى التى طوى بعضها ولم يطو بعض . (2) على مهيديتيهما : على حالهما التى كانا عليها ، يقال : هو على مهيديته ومهيدئته ، بالهمز وبدونه ، حكاه ثعلب وقال : لامكبر لها . وقد ذكرها صاحب اللسان والقاموس فى مادتى (هدى) و (هدأ) . (3) احتذيت : اتخذت نعلا . (4) قدر جماع وجامعة : عظيمة ، وقيل : هى التى تجمع الجزور . (5) تماث : تذوب وتتفتت . (6) زخم : كريه خبيث الرائحة . (7) بحاء مهملة مضمومة وباء موحدة مفتوحة : دويبة قيل : هى ضرب من العظاء ، وقيل : هى أعرض من العظاء ، وقيل : هى أنثى الحرباء ، وقيل غير ذلك ، وهى منتنة الريح فالأعراب فلا يأكلونها لنتنها ، و يقال لها : حبينة معرفة بلا ألف ولام وانما سميت بذلك لكبر بطنها ، من الحبن الذى هو الشق فى البطن . تقول : فلان به حبن فهو أحبن أى مستسق ، فسميت بذلك لشبهها بالمستسق . (8) فى الأصل : «ليهن» قال شارح القاموس فى مادة هنأ : تقول العرب فى الدعاء : ليهنئك الفارس بجزم الهمزة وليهنيك الفارس بياء ساكنة ، ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة ، أى لأن الياء بدل من الهمزة ، ثم قال : وقد ورد فى صحيح البخارى فى حديث توبة كعب بن مالك : يقولون : ليهنك توبة الله عليك . وراجع شرح القاموس (مادة هنأ) .

قعد على مائدة الفضل بن يحيى رجلٌ من بنى هلال بن عامر، فذكروا الضبّ ومن يأكله، فأفرط الفضلُ فى ذمّه وتابعه القومُ، فغاظ الهلالىَّ ما سَمِع منهم، ولم يكن على المائدة عربىٌّ غيرُه، ثم لم يلبث أن أُتِىَ الفضلُ بصَحْفة فيها فِراخ الزّنابير (١)، فلم يَشُكّ الأعرابىّ أنها ذِبّان البيوت، فقال حين خرج :

وعِلْجٍ يَعافُ الضبَّ لؤمًا وبِطْنَةً (٢) * وبعضُ إدَامِ العِلْجِ هامُ ذُبابِ

ولو أنّ مَلْكًا فى المَلَا نالَ أمّهُ * لقالوا لقد أُوتيتَ فصلَ خِطابِ

وقال أبو الهِنْدى (٣) (رجل من العرب) :

أكلتُ الضِّبابَ فما عِفْتُها * وإنّى لأشهى قَديدَ (٤) الغَنَمْ

ولحمَ الخروفِ حَنيذًا (٥) وقد * أُتيتُ به فائزًا فى الشَّبِمْ (٦)

فأمّا البَهَطُّ (٧) وحِيتانُكم * فما زِلتُ منها كثيرَ السَّقَمْ

وقد نِلتُ منها كما نِلتُمُ * فلم أر فيها كضَبٍّ هَرِمْ

---

(١) قال الدميرى فى حياة الحيوان (ج ٢ ص ١٢) فى الكلام على الزنبور : «وفراخ الزنابير تؤخذ من أوكارها وتقلى فى الزيت ويطرح عليها سذاب وكراويا وتؤكل» وذكر خاصة لذلك .

(٢) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٨) ، وقد وردت فيه هذه الحكاية وهى لا تختلف فى المعنى عما ورد فى الأصل . وفى الأصل : «وعلج يعاف الضب واللوم بطنه» . (٣) كذا ورد فى اللسان (مادتى عرب وبهط) منسوبا اليه بعض هذه الأبيات ، وقد عقد له المؤلف ترجمة فى كتابه الشعر والشعراء (ص ٤٢٩) وفى الأصل : «أبو هند» . (٤) القديد : اللحم الملوح المجفف فى الشمس . (٥) حنيذ : مشوىّ . (٦) كذا فى الدميرى (ج ٢ ص ٩٣) والحيوان للجاحظ ، وقد فسره الدميرى بماء الأسنان وهو غير واضح ، والظاهر أنه بمعنى البرد كما هو معناه اللغوى . وفى الأصل : «السنم» وهو تحريف . (٧) قال فى اللسان : «البهط : كلمة سندية وهى الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء ، واستعملته العرب بالماء فقالت : بهطة طيبة» .

ولا في البيوض كبيض الدجاج * وبيض الدجاج[1] شفاء القرم[2]
ومكن[3] الضباب طعام العريب[4] * ولا تشتهيه نفوس العجم

وقال بعض الأعراب :

وأنت لو ذقت الكشى[5] بالأكباد * لما تركت الضب يعدو بالواد

ونزل رجل من العرب برجل من الأعراب فقدم اليه جرادا ، فقال :

لحى الله بيتا ضمني بعد هجمة * اليه دجوجى من الليل مظلم
فأبصرت شيخا قاعدا بفنائه * هو العتر إلا أنه يتكلم
أتانا ببرقان[6] الدبى فى إنائه * ولم يك برقان الدبى لى مطعم
فقلت له غيب إناءك[7] واعتزل * فهل ذاق هذا ، لا أبالك ، مسلم

وقال بعض[8] العباسيين :

ليت شعرى متى تخب بى النا * قة نحو العذيب[9] فالصنين[10]
محقبا[11] زكرة[12] وخبز رقاق * وجبينا[13] وقطعة من نون

(١) كذا فى حياة الحيوان للدميرى وكتاب الحيوان للجاحظ . وفى الأصل : «وبيض الجراد» .
(٢) كذا فى حياة الحيوان للدميرى وكتاب الحيوان للجاحظ . والقرم (بفتح القاف والراء) : شدة الشهوة الى اللحم . وفى الأصل «الشقم» وهو تحريف . (٣) المكن (بفتح الميم وإسكان الكاف) وبالنون فى آخره) : بيض الضبة . (٤) العريب : تصغير العرب ؛ قال فى اللسان مادة عرب : صغرهم تعظيما كما قال : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب . وفى الأصل «الغريب» بالغين المعجمة وهو تحريف . (٥) الكشى : جمع كشية (بضم الكاف وإسكان الشين) وهى أصل ذنب الضب .
(٦) البرقان : جمع برقانة وهى الجرادة المتلونة . والدبى : الجراد ، أى أتانا بالملون من الجراد .
(٧) فى الأصل : «فناك» . (٨) ذكر هذا الشعر بالجزء الثانى من كتاب الأغانى (طبع دار الكتب المصرية ص ٣٤٨) منسوبا الى الحسين بن الضحاك الخليع ؛ ولم يذكر أبو الفرج أنه أدرك الدولة العباسية . (٩) العذيب : ماء لبنى تميم ، وهو أوّل ماء يلقى الانسان بالبادية اذا سار من قادسية الكوفة يريد مكة . (١٠) الصنين : بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر وبه نهر ومزارع . ورواية الأغانى فى هذا الشطر : «بين السدير والصنين» وفى اللسان : «بين العذيب فالصنين» بفاء العطف وهو ما اخترناه . وفى الأصل : «فى الصنين» . وفى هذا الشعر السناد وهو ، كما فسره ابن سيده ، المخالفة بين الحركات التى تلى الأرداف فى الروى . (١١) يقال : أحقب الزكرة واحتقبها اذا احتملها خلفه . (١٢) الزكرة بالزاى : زق يجعل فيه شراب أو خل . (١٣) الجبين تصغير الجبن المأكول . والنون : الحوت .

وقال بعض الأعراب :

أقول له يومًا وقــد راح صُحْبَتِي * تَرَى أَشْهَى من صَـيْدِه وأَحَاتِلُه (١)
فلما التقتْ كفّى على فَصْلِ ذَيْلِه * وشالتْ شِمالى (٢) زَايَلَ الضَّبَّ باطِلُه
فأصبح محنوذًا (٣) نضيجًا وأصبحتْ * تمشّى على القِيرانِ (٤) حَوْلًا حَلائلُه
شديد اصفرار الكُشْيَتَيْنِ (٥) كأنما * تَطَلَّى بِوَرْسٍ (٦) بطنُــه وشَـوَاكِلُه (٧)
فذلك (٨) أشهى عندنا من نَاحِكم (٩) * لحى الله شـارِبِه وقُبِّـح آكِلُه

وبنو أسدٍ تُعَيَّرُ بأكل الكلاب ، قال الفرزدق :

إذا أَسَدِيٌّ جاع يومًا ببلدةٍ * وكان سمينًا كلبُه فهو آكِلُه

وتُعَيَّرُ أيضا بأكل لحوم الناس ، كما قال الشاعر (١٠)

إذا ما ضِفْتَ ليلًا فَقْعَسِيًّا * فلا تأكل له أبدًا طعامَا
فإنّ اللحمَ إنسانٌ فدعْه * وخيرُ الزادِ ما منع الحراما

---

(١) فى الأصل «وأحاطره» والقافية فى الشعر للام ، وقد ورد هذا الشطر فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٧ طبع مصر)

* ... ... نرى ... صيده وأحاتله

(٢) كذا فى كتاب الحيوان ، وشالت : ارتفعت . وفى الأصل : «ومالت» . (٣) الشواء المحنود الذى قد ألقيت فوقه الحجارة المرضوفة بالنار حتى ينشوى انشواء شديدا فتهرّى تحتها . (٤) القيران . جمع قور (بالفتح) وهو الكثيب الصغير من الرمل تشبه به أرداف النساء . (٥) كذا فى كتاب الحيوان . والكشية . شحمة على الصلب أو أصل الذنب ، وفى الأساس : «شحمة مستطيلة فى جنبه» . وفى الأصل : «الكليتين» . (٦) الورس : صبغ أصفر يصبغ به . (٧) الشواكل : جمع شاكلة وهى الخاصرة . (٨) كذا فى كتاب الحيوان . وفى الأصل «كذلك» بالكاف . (٩) فى الأصل «نيا حكم» (بالنون والياء والحاء المهملة) وهو تحريف ، والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ . (١٠) نسب هذا الشعر فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٢ طبع أوربا) الى معروف الدبيرى .

قال رجل : كنت بالبادية فرأيت ناسًا حولَ نارٍ، فسألتُ عنهم فقالوا : صادوا حيّات فهم يَشْتَوونها ويأكلونها ، فأتيتُهم فرأيت رجلا منهم قد أخرج حيّةً من الجَمْر ليأكلها فامتنعتْ عليه ، فجعل يمدّها كما يُمَدّ عُصَيب لم يَنْضَج ، فما صرفتُ بصرى عنه حتّى لَبِجَ به فمات ، فسألت عن شأنه فقيل لى : عَجِلَ عليها قبل أن تنضج وتعمل فى سُمّها النارُ .[1]

قال رجل من الأعراب لولده : اشتروا لى لحمًا ، فاشتَرَوْه فطبخه حتى تَهرّى ، وأكل منه حتى انتهت نفسه ، وشَرَعَت إليه عيون ولده فقال : ما أنا بمُطْعِمِه أحدًا منكم إلا مَن أحسن وصفَ أكْلِه ، فقال الأكبر منهم : آكُلُه يا أبت حتى لا أَدَعَ للذرّ فيه مَقيلا ، قال : لستَ بصاحبه . فقال الآخر : آكله حتى لا يُدْرَى أَلِعامِه هو أم لِعامٍ أوّل ، قال : لستَ بصاحبه . فقال الأصغر : أدقّه يا أبت دقًا وأجعل إدامه المخّ ، قال : أنت صاحبُه ، هو لك .

بينا أعرابىٌّ يسير وهو يُوضِعُ بعيرَه[2] إذ سقط بعيرُه فنَحَره وأكله ، فأنشأ يقول

إنّ السّعيد من يموتُ جَمَلُهْ * يَشْبَع لحمًا ويقِلّ عَمَلُهْ

ومرّ رجلٌ من سَلُول بفتيانٍ يشربون فشَرِب معهم ، فلما أخذ منه الشراب قام إلى بعيره فنحره ، وقال :

عَلّلانى إنّما الدّنيا عِلَلْ * ودَعانى من مَلامٍ وعَذَلْ
وانْشُلا[3] ما اغبرّ من قِدْرَيكما * واسقِيانى أبعدَ اللهُ الجَمَلْ

---

(١) يقال . لبج بالرجل ولبج به اذا صرع . (٢) يوضع بعيره : يعديه ويحمله على العدو الحثيث . (٣) نشل اللحم (من بابى ضرب ونصر) وانتشله : أخرجه من القدر بيده من غير المغرفة .

آداب الأكل والطعام

عن أبي هريرةَ قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الأكْلُ في السُّوقِ دَناءةٌ ". وعن عبد الرحمن بن عِراكٍ قال : بلغني أنه مَنْ غسل يدَه قبل الطعام كان في سَعَةٍ من الرِّزقِ حتى يموتَ .

عن الحسن أنه قال : الوُضوءُ قبل الطعام يَنفِي الفقرَ وبعده يَنفِي اللَّمَمَ[1] .

وعنه قال : قيل لسَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ : إنّ أباكَ أكَلَ طعاما كاد يقتُلُه ؛ قال : لو مات ما صَلَّيتُ عليه .

وعن شُرَحْبِيل بنِ مسلم قال : قال أبو الدَّرداء : بِئسَ العونُ على الدِّينِ قَلبٌ نَخِيبٌ[2]، وبطنٌ رَغِيبٌ[3]، ونَعْظٌ شديدٌ .

أكَلَ الجارودُ[4] مع عمرَ طعامًا، ثم قال : ياجاريةُ هاتِ الدَّستَوْرَدَ[5]؛ فقال عمر : امسحْ بِإستِك أو ذَرْ .

قال جعفر : كنّا نأتي فَرْقدا السَّبَخِيَّ ونحن شَبَبَةٌ[6] فيعلّمنا : إن مِن ورائكم زمانًا شديدًا ، فشُدُّوا الأُزُرَ على أنصافِ البطونِ ، وصَغِّروا اللُّقَمَ، وشَدِّدُوا المضغَ،

(١) اللمم : ما دون الكبائر من الذنوب ، وفي التنزيل العزيز : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) يعني الذنوب الصغائر . (٢) نخيب : جبان كأنه منتزع الفؤاد .

(٣) بطن رغيب : واسع الجوف ، وهو كناية عن كثرة الأكل وشدّة النهم . (٤) هو بشر ابن عمرو بن حنش بن المعلى من بني عبد القيس العبدى الصحابي ، والجارود لقبه ومعناه المشئوم ، لأنه فرّ بإبله الجرب (التي أصابها الجَرَب) الى أخواله من بني شيبان ، ففشا ذلك الداء في إبلهم فأهلكها . وفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث . وقتل في خلافة عمر بأرض فارس سنة إحدى وعشرين .

(٥) الدستورد : ثوب أحمر يضرب الى صفرة حسنة . وهو مركب من "دست" بمعنى ثوب، و"ورد" بمعنى أحمر ضارب الى الصفرة، كما في القاموس وشرحه (مادتي دست وورد)، ولعله يقصد هنا المنشفة .

(٦) شببة : جمع شاب .

ومُصُّوا الماءَ مَصًّا . وإذا أكل أحدُكم فلا يَحُلَّنّ إزارَه فتَتْبَعَ[1] أمعاؤه . وإذا جلس أحدُكم لِيأكلَ فَليَقْعُدْ على اليَتِيه، ولْيَلْزَقْ بطنه بفَخذيه ، وإذا فرغ فلا يَقْعُدْ ولْيَجِئْ ولْيَذْهَبْ؛ واحْتَمُوا[2] فإنّ مِنْ وراثكم زَمانا شديدا .

وعن عبد الله بن أبى أوفَى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "سَاقِى القَوْمِ آخِرُهُم شُرْبًا" .

وعن الجارُودِ بن أبى سَبْرةَ قال : قال لى بلالُ بن أبى بُرْدَةَ : أتحضُرُ طعامَ هذا الشيخ — يعنى عبدَ الأعلى بن عبد الله بن عامر — ؛ فقلت : إيهًا[3] واللهِ؛ فقال : حَدِّثْنِى عنه . فقلتُ : نأتيه وكان سِكِّيتًا[4]، إن حَدَّثنا أحسنَ الحديثَ، وإن حَدَّثْناه أحسنَ الاستماعَ، فإذا حضرَ الغداءُ جاء خَبّازُه فمَثَلَ بين يديه؛ فيقولُ : ماعندكَ ؟ فيقولُ : بَطّةٌ بكذا، ودَجاجةٌ بكذا وكذا . قال : وما يُريدُ بذاك؟ قلت : كى يَحبِسَ[5] كلُّ إنسانٍ نفسَه الى ما يَشتهِى، فإذا وُضِعَ الحُوانُ خَوَّى[6] تَخْوِيةَ الظَليمِ[7] فما له إلا موضعُ مُتَّكَئِه فيَجِدُّ ويَهْزِلُ، حتى اذا رآهم قد فتَروا وكَلُّوا أكَلَ معهم أكْلَ الجائعِ المقرورِ[8] حتى يُنَشِّطَهم بأكله .

وكان يقال : اذا اجتمعَ للطعام أربعٌ كَمَلَ : أن يكون حلالًا، وأن تَكثُرَ عليه الأيدى، وأن يُفتتَح باسم الله، ويُختَتَم بحَمدِ الله .

(١) فى الأصل : «فتشبع» ، وهو تحريف . (٢) احتموا : امتنعوا من الطعام ، وفى الأصل : «احتضوا» . (٣) إيها (بالنصب) : معناه الكف ، وقد يرد للتصديق والرضا كما هنا ، ومنه حديث ابن الزبير لما قيل له : يابن ذات النطاقين ؛ فقال : إيها والإله ، أى صدقت ورضيت بذلك . (٤) سكيتا : كثير السكوت قليل الكلام . (٥) فى الأصل «يختبئ» والتصويب عن العقد الفريد (ج٤ ص٢٨٦) . (٦) خوّى الرجل : فرّج ما بين عضديه وجنبيه . (٧) كذا فى كتاب التاج للجاحظ (ص ٢٠ طبع بولاق) وكتاب البخلاء له أيضا (ص ١٩٤ طبع أوربا) . والظليم : ذكر النعام ، وفى الأصل : « تخوية الطين » وهو تحريف . (٨) المقرور : الذى أصابه القرّ وهو البرد .

وكان يُقالُ : سَمُّوا اذا أكلتم ودَنُّوا[1] وسَمِّتُوا .

قال أَبْرَوِيزُ لِصاحِبَىْ طعـامِه وشرابه : إنى سَلَّطتُكما على المعيشـةِ، وأشركتُكما فى الحياة ، وجعلتكما أمينينِ على نفسى، ووَلَّيتُكما من طعامِى وشَرابِى ما التوسعةُ فيه مُروءةٌ والتضييقُ فيه دَناءةٌ؛ فاحملاه فى فضلِه على ما سواه كفضلى على مَنْ سِواىَ، وفى كثرته ككثرةِ مَنْ معى على مَنْ مع غَيرى . ولا يَشهدَنَّ طعامِى الذى آكُلُ عينٌ تراه ولا نَفسٌ تُحِسُّه ولا يَدٌ تَداولُه خلا نفسًا واحدةً؛ وإنما أمرتُه بذلك لِتَستحكِمَ الحِجّةُ فيه على مَنْ أضاعَ، وتَنقطعَ الشبهةُ فيه عمن غفَلَ، ولأجعَلَ صاحِبَ ذاك رَهنًا بدمِ نفسِه إن هو قَصَّر فى صُنعِه أو أوقع بغائلة .

الأصمعىّ قال حدّثنى ابراهيمُ بنُ صالح : أنه كان له جامٌ من حَبّ رُمّانٍ مدقوقٍ يَسُفُّ منه بينَ كلِ لَونَينِ ملعقةً حتى يعرِفَ اختلافَ الألوانِ .

وفيما أجاز لنا عمرُو بن بَحْرٍ من كتبه قال : كان أبو عبد الرحمن الثَّورىّ[2] يُقعِدُ ابنَه معه على خِوَانه يوم الرأس[3]، ثم يقول: إياكَ ونَهمَ[4] الصبيان وأخلاقَ النوائح ، و[دع عنك][5] خَبْطَ المَلّاحين والفَعَلَة ، ونَهْشَ الأعراب والمَهَنة، وكُلْ من بين يديكَ ؛ فإنّ حظّكَ الذى وَقَع وصار اليك . واعلم أنه اذا كان فى الطعام شىءٌ طريفٌ أو لُقمةٌ كريمةٌ أو بَضعةٌ شَهِيّةٌ[6] ، فانما ذلك للشيخ المعظّم والصبىّ المدلّل، ولستَ

(١) دنوا : كلوا مما بين أيديكم وما يليكم وما دنا وقرب منكم . وسمّتوا : أمر من التسميت وهو الدعاء بالخير والبركة . (انظر اللسان مادتى سمت ودنا). (٢) كذا فى الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ (ص ١١٥) ؛ وفى العقد الفريد «أبو عثمان الثورى» . (٣) ورد فى كتاب البخلاء : أن أبا عبد الرحمن هذا كان يعجب بالرءوس ويحمدها ويصفها وكان يسمى الرأس عرسا . فلعل المقصود من قوله «يوم الرأس» ذلك اليوم الذى يجتمع له فيه هذا النوع من الطعام . (٤) كذا فى العقد الفريد ، وفى الأصل «ونهم السلطان» . (٥) الزيادة عن كتاب البخلاء (ص ١١٧) . (٦) البضعة (بفتح الباء وتكسر) : القطعة من اللحم .

واحدا منهما، وأنت قد تأتي الدعواتِ، وتُجيب الولائمَ، وتَدخُلُ منازلَ الإخوانِ، وعَهدُكَ باللحم قريبٌ، وإخوانُك أشدُّ قَرَماً[1] اليه منكَ، وإنما هو رأسٌ واحدٌ، فلا عليك أن تتجافَى عن بعضٍ وتُصيبَ بعضا. وأنا بعدُ أكرهُ لك الموالاةَ[2] بين اللحم، فإن الله يُبغِضُ أهلَ البيتِ اللحِمِينَ[3].

وكان يقال: مُدمِنُ اللحم كمدمِن الخمر.

ورأى رجل رجلا يأكل لحما، فقال: لحمٌ يأكل لحما، أُفٍّ لهذا عملاً!.

وكان عمرُ يقول: إيّاكم وهذه المجازرَ، فانّ لها ضَراوةً[4] كضَرَاوةِ الخمر.

يا بُنيَّ عوِّدْ نفسك الأَثَرَةَ[5] ومجاهدةَ الهوى والشهوة، ولا تنهَشْ نهشَ السِّباع، ولا تخضِم خَضْمَ البراذين، ولا تُدمِن الأكلَ إدمانَ النِّعاج، ولا تلقَمْ لقمَ الجمال؛ فإن الله تعالى جعلك إنسانا وفضّلك، فلا تجعل نفسَك بهيمةً ولا سبعا. واحذر سرعةَ الكِظّة[6] وسَرَفَ البِطْنَة.

قال بعض الحكماء: إذا كنتَ بطينا فعُدَّ نفسك من الزَّمْنَى. وقال الأعشى:

... ... والبِطْنَـةُ ممّـا تُسَـفِّهُ الأحلاما[7]

واعلم أنّ الشِّبعَ داعيه للبَشَم، وأنّ البشم داعية السُّقم، وأنّ السقم داعية الموت، فمن مات بهذه الميتة فقد مات ميتةً لئيمةً، وهو مع هذا قاتلُ نفسِه، وقاتلُ نفسه ألأمُ من قاتلِ غيره.

---

(١) قرم الرجل الى اللحم قرما. اشتدت شهوته اليه. (٢) كذا في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١١٧) طبع أوربا، وفي الأصل «بعد» وهو تحريف. (٣) اللحمين: جمع لحم ككتف وهو الأكول للحم القرم اليه. (٤) الضراوة بالشيء: الولع به. (٥) الأثرة (بالضم): المكرمة لأنها تؤثر أي تذكر ويأثرها قرن عن قرن. (٦) الكظة: الامتلاء من الطعام.

(٧) هذا بعض بيت أورده اللسان في مادة «بطن» والبيت:

يا بني المنذر بن عبدان والبطنة مما تسفه الأحلاما

وفي الأصل «والبطنة يوما تسفه الأحلاما».

يا بنيّ، والله ما أدّى حقّ الركوع والسجود ذو كِظّة، ولا خشع لله ذو بِطْنة، والصومُ مَصَحّة، والوَجَبات(١) عيش الصالحين.

أى بنىّ، لأمرٍ مّا طالت أعمار الهند، وصحّت أبدان الأعراب. فلله دَرُّ الحارث ابن كَلَدة حيث يزعم أنّ الدواء هو الأَزْم(٢)، وأنّ الداء إدخال الطعام إثْرَ الطعام.

أى بنىّ، لِمَ صَفَتْ أذهان الأعراب، وصحّت أبدان الرُّهبان، مع طول الإقامة فى الصوامع حتى لم تعرف النِّقْرِس(٣) ولا وجع المفاصل ولا الأورام، إلا لقلّة الرُّزْءِ(٤) وخفّة الزاد. وكيف لا ترغب فى تدبيرٍ يجمع لك صحّة البدن، وذكاء الذهن، وصلاحَ المِعَى(٥)، وكثرةَ المال، والقُرْبَ من عيش الملائكة!.

أى بُنَىّ، لم صار الضبّ أطولَ شىء ذَمَاءً(٦) إلا لأنه يتبلّغ بالنسيم(٧)، ولِمَ قال الرسول صلى الله عليه وسلم إنّ الصوم وِجاء(٨) إلّا ليجعله حِجارا(٩) دون الشهوات. افهم تأديب الله، فإنه لم يَقصِد به إلّا الى مثلك.

أى بنىّ، قد بلغتُ تسعين عاما ما نَقَصَ لى سنّ، ولا انتشر(١٠) لى عصبٌ، ولا عرفتُ ذنين(١١) أنف، ولا سَيَلان عين، ولا سَلَس بول، ما لذلك علّةٌ إلّا التخفيف

(١) الوجبات: جمع وجبة وهى الأكلة فى اليوم والليلة. (٢) الأزم: ألا تدخل طعاما على طعام. (٣) النقرس كزبرج: داء يأخذ فى الرجل. (٤) الرزء: ما يصيبه الإنسان من الطعام.
(٥) المعى (بالمد والقصر والقصر أشهر): المصارين. وفى الأصل «المعاد» وهو تحريف.
(٦) الذماء: بقية النفس والحركة، والمراد: أطول شىء حياة. وفى العقد الفريد "أطول عمرا".
(٧) كذا بالعقد الفريد. وفى الأصل: «برم». (٨) نص الحديث كما فى الجامع الصغير: «عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» والوجاء، كما فى النهاية لابن الأثير: أن ترض أنثيا الفحل رضا شديدا يذهب شهوة الجماع ويتنزل فى قطعه منزلة الخصى. (٩) حجارا: ما نعا وحائلا. وفى العقد الفريد: «حجابا». (١٠) نقض: قلق وتحرك. وانتشر العصب: انتفخ. (١١) كذا فى العقد الفريد، والذنين والذنان: المخاط الرقيق يسيل من الأنف، وفى الأصل: «دنين أذن».

من الزاد . فإن كنتَ تحبّ الحياة فهــذه سبيل الحيــاة ، وإن كنتَ تريد الموت فلا يُبعد الله إلّا مَنْ ظلم نفسَه .

وقال أبو نَهْشَل (١) : كانت لى آبنــة تجلسُ معى على المــائدة فتُبرِز كفًّا كأنهــا طَلْعة، فى ذراع كأنه جُمّارة، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة إلا خَصّتنى بها، فزوجتُها وصرت أُجلِس معى على المــائدة آبنــا لى يُبرِز كفًّا كأنها كِرْنافة (٢)، فى ذراع كأنه كَرَبة، فوالله ما إن تسبق عينى الى لُقمة طيّبة إلّا سبقتْ يدُه اليها .

وقال بعضهم : غلبتْ بِطْنتى فِطْنتى .

قال عمرو بن العاص لمعاوية يوم تحكّم الحكمان : أكثروا الطعام، فوالله ما بطِن (٣) قومٌ قطّ إلا فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عَزْمةُ رجل بات بطينا .

وكان يقال : أقلِل طعامًا تَحمَد مناما .

الأصمعىّ قال : كان يقال : ليس لشبعة خير من جوعة تحفِزها .

دعا عبد الملك بن مروان الى الغداء رجلا فقال : ما فىَّ فضل، فقال عبدالملك : ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل! فقال : يا أمير المؤمنين، عندى مستزاد، ولكن أكره أن أصير الى الحال التى آستقبحها أميرُ المؤمنين .

وقال لشيخ : ما أحسن أكلك؟ قال . عملى منــذ ستين سنة .

وقال الحسن : إنّ آبن آدم أسير الجوع، صريع الشبع .

وسأل عبد الملك أبا الزعيرة (٤) فقال : هل آتّخمتَ قطّ ؟ قال لا ؛ قال : وكيف داك؟ قال : لِأنا اذا طَبخنا أنضجنا، وإذا مَضَغنا دقّقنا، ولا نُكظّ (٥) المعدة ولا نُخليها .

(١) نسب هذه الحكاية ابن خلكان (ج ١ ص ٤٥٦) لأبى الحسن . (٢) الكرنافة : واحدة الكرناف (بالكسر والضم) وهو أصول الكرب التى تبقى فى جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) البطنة . الكظة وهى امتلاء البطن من الطعام، ومن أمثالهم : «البطنة تذهب الفطنة» . (٤) كذا فى الأصل . وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٧) «أبا المدور» وقد ورد هذا الاسم فى الطبرى (ص ٧٩١، ٨٣٧ من القسم الثانى طبع أوربا) هكذا : «أبا الزعيرعة» وفى ابن الأثير (ج ٤ ص ٢٤٩ طبع أوربا : «أبا الزعيرعة» . (٥) كذا فى العقد الفريد، ولا نكظ المعدة : لا نملؤها . وفى الأصل : «ولا نكب» .

وقال الأحنف : جنّبوا مجلسنا ذكر النســاء والطعام، فإنى أُبغض الرجل أن يكون وصّافا لبطنه وفرجه، وإنّ من المروءة أن يترك الرجلُ الطعامَ وهو يشتهيه .

الأصمعىّ قال: بلغنى أنّ أقواما لبسوا المَطَارِفَ العِتاق، والعمائم الرِّقاق، وأوسعوا دورَهم، وضيّقوا قبورهم، وأسمنوا دوابّهم، وهزّلوا دينهم؛ طعامُ أحدهم غصب، وخادمه سُخْـرة، يتّكئ على شمــاله، ويأكل من غير ماله؛ حتى اذا أدركته الكِظّة قال : يا جارية هاتى حاطوما (1) ؛ ويلك! وهل تحطِم إلا دينك! أين مساكينُك! أين يتاماك! أين ما أمرك الله به! أين أين ! .

قال بعض الحكماء: مدارُ صلاح الأمور فى أربع: الطعام لا يؤكل إلّا على شَهْوة، والمرأة لا تنظر إلا الى زوجها، والملك لا يُصلحه إلا الطاعة، والرعيّة لا يُصلحها إلا العدل.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أكلَ من سَقَط المــائدة عاش فى سَعَة وعُوفِىَ فى ولده وولد ولده وولد ولده من الحُمْق" .

وقيل لأعرابىّ : أتُحسِنُ أن تأكلَ الرأس؟ قال: نعم، أَبْخَص عَينَيه (2) ، وأسحى (3) خدّيه ، وأفُكّ لَحْيَيه ، وأرمِى بالدماغ الى مَنْ هو أحوج منّى اليه . وكانوا يكرهون أكل الدماغ؛ ولذلك يقول قائلهم : أنا من قبيلة تُنْقِى المخّ فى الجماجم (4) .

دِعْبِل قال: يا بُنَىّ، لا تأكل أَلْيَة الشاة لأنها طَبَقُ الإست وقريبٌ من الجواعر (5) .

قال بعض الشعراء :

اذا لم أُرَى إلّا لآكُلَ أكْلَةً * فلا رفَعَتْ يُمْنَى يدىَّ طعامى
فما أكْلَةٌ إنْ نِلْتُها بغنيمةٍ * ولا جَوْعةٌ إن جُعتُها بغرامِ

(1) الحاطوم: الهاضوم، وهو كل دواء يهضم الطعام . (2) بخص عينه : أغارها .
(3) يقال : سحيته أسحاه إذا قشرته . (4) ومنه قول الشاعر :

ولا يسرق الكلب السروق نعالنا * ولا تنتقى المخ الذى بالجماجم

وفسره صاحب اللسان فقال : إنه يمدح قوما بأنهم لا يلبسون من النعال الا المدبوغة والكلب لا يأكلها وبأنهم لا يستخرجون ما فى الجماجم لأن العرب تعير بأكل الدماغ كأنه عدم شرَه ونَهَم .
(5) الجواعر : جمع جاعرة وهى الدبر .

عبد الملك بن عُمَير عن عمه عن الأصمعيّ قال : لا تخرج يا بُنَيّ من منزلك حتى تأخذ حِلْمك[1] . يعنى حتى تتغذّى . وقال هلال بن جُشَم[2] :

وإنّ قِرابَ البطنِ يكفيك مَلْؤُهُ * ويكفيك سَوءات الأمور اجتنابُها

وقرأت فى الآيين[3] : أن رجلا من خدم دار المملكة أوصى ابنه فقال : إذا أكلتَ فضمّ شَفَتيك ، ولا تلتفتنّ يمينا وشمالا . ولا تتخذنّ خِلالك قَصَبا . ولا تقصّنّ بسكّين أبدا ، وإذا كان فى يدك سكّين وأردتَ التقاما فضَعْها على مائدتك ثم التقم . ولا تجلس فوق مَن هو أسنّ منك وأرفعُ منزلة . ولا تتخلّل بعود آس . ولا تمسح بثياب بَدَنك . ولا تَرْق ماء وأنت قائم . ولا تحفر أرضا بأظفارك . ولا تجلس على حائط أو باب أو تكتب عليهما فتُطعَن ، ولا تسترح على أُسْكُفّة[4] فتُجَهَّل ، ولا تستنج بمَدَر[5] فيورثك البواسير ، ولا تمتخط حيث يُسمَع امتخاطك ، ولا تبصق فى الأماكن المنظّفة .

وأجلس معاوية على مائدته رجلا يؤاكله ، فأبصر فى لقمته شَعرة ، فقال : خُذ[6] الشعرة من لقمتك ؛ فقال له الرجل : وإنك لتراعيني مُراعاة مَنْ يُبصر الشعرة فى لُقمتي! والله لا أكلتُ معك أبدا! ثم خرج الأعرابيّ وهو يقول :

وللموتُ خيرٌ من زيارة باخلٍ * يُلاحِظُ أطرافَ الأكيلِ على عَمْدِ

وكان سعيد بن جُبير إذا فرغ من طعامه قال : اللهمّ أشبعتَ وأرويتَ فهنّئنا ، وأكثرت وأطبتَ فزِدنا .

(١) الحلم : العقل ، وصير أخذ الحلم بالغداء لأن الشبع قوام العقل . وفى الأصل : «حلمك بالجيم» .
(٢) تقدم هذا البيت فى باب القناعة والاستعفاف (ص ١٨٤ من هذا المجلد) ضمن أبيات منسوبة لبشار بن برد . وفى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٦) وكتاب الحيوان له أيضا (ج ١ ص ١٩٣) نسبت هذه الأبيات نسبها الى هلال بن خثعم . (٣) فى تعليقات كتاب التاج للجاحظ (ص ١٩ طبع بولاق) : الآيين : كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها ، ومعناها القانون والعادة . (٤) الأسكفة : عتبة الباب . (٥) المدر : التراب المتلبد . (٦) كذا فى الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ (ص ٧٤) . وفى عقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) «خذ الشعرة من لقمتك»

الجـــوع والصـــوم

قِيل لبعض الحكماء : أىُّ الطعامِ أطيبُ ؟ قال : الجوعُ أعلم .

وكان يقال : نِعمَ الإدامُ الجوعُ، ما ألقيتَ اليه قَبِلَه .

قال لُقمان لابنه : يابُنىّ، كلْ أطيبَ الطعامِ، ونَمْ على أوطأ الفِراش . يقول : أكثِرِ الصيام، وأطِلْ بالليل القيام .

اشتاق أعرابىّ بالبصرة الى البادية فقال :

أقول بِالمِصر لـمّـا سـاءنِى شِبَعِى * ألا سبيلَ الى أرضٍ بهـا جُوعُ
ألا سبيلَ الى أرضٍ بهـا عُرُشٌ(١) * جُوعٌ يُصَدِّعُ منه الرأسُ بُرقوعُ(٢)

وقال آخر :

وعادةُ الجوعِ فاعلَمْ عِصمةٌ وغِنًى(٣) . وقــد يزيدُك جُوعًا عادةُ الشِّبَعِ

العُتبىّ(٤) قال : قلتُ لرجلٍ من أهل البادية : يا أخى، إنى لأعجبُ من [أن] فقهاءكم أظرفُ من فقهائنا ، وعوامَّكم أظرفُ من عوامّنا ، ومجانِينكم أظرفُ من مجانيننا ، قال : وما تدرِى لِمَ ذاك ؟ قلتُ لا، قال : [من] الجوع، ألا ترى أن العُود إنما صفا صوتُه لخلوّ جوفه ! .

وقيل لبعض حكماء الرُّوم(٥) : أىُّ وقتٍ الطعامُ فيه أطيبُ وأفضلُ ؟ قال : أمّا لِمَنْ قَدَر فإذا جاع، وأمّا لِمَنْ لم يَقدِر فإذا وَجَد .

---

(١) كذا بالأصل، ولعله « عَرَثٌ » (بالعين المهملة والثاء المثلثة) بمعنى الجوع لبابٍ حتام .

(٢) جوع برقوع (بضم الباء وفتحها) : شديد، ومثل البرقوع البركوع واليَرقوع (بفتح الباء الموحدة وضمها فى الأول وفتح الياء المثناة فى الثانى) والحُنور والجبار .   (٣) فى الأصل : « وصا » .

(٤) رويت هـذه الحكاية فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) والزيادات المذكورة هنا عنه .

(٥) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) « بزرجمهر » وهو من حكماء الفرس .

ونظر أعرابيٌّ الى قومٍ يلتمسون هلالَ شهر رمضان، فقال : أمَا والله لئن أثرتموه لتُمسِكُنّ منه بذُنَابَى عَيْشٍ أعبر .(١)

وقيل لآخر : ألا تَصومُ البِيضَ من شعبان ! فقـال : بين يديها ثلاثون كأنها القَبَـاطِيّ .(٢)

وقيل لمدنيّ : بِمَ تتسحّر الليلة ؟ فقال : باليأس من فطور القابلة .

الرِّياشيّ قال: قيل لأعرابيّ : اشرب، فقال : إنى لا أشرب على الثَّمِيلة.(٣) وقال:

إذا لم يكن قبـل النبيذ ثَرِيدةٌ * مُبقّـلةٌ صـــفراءُ شَحمٌ جميعُها
فإنّ نبيذ الصِّرف إن كان وحدَه * على غيرشيءٍ أوجع الكِبْدَ جُوعُها

قدِمَ أعرابيّ على ٱبن عمٍّ له بالحَضَر، فأدركه شهرُ رمضان، فقيل له : أبا عمرٍو لقد أتاك شهرُ رمضان ؛ قال : وما شهرُ رمضان ؟ قالوا : الإمساك عن الطعام ؛ قال : أبالليلِ أم بالنهار ؟ قالوا : لا، بل بالنهار؛ قال : أفيَرضَوْنَ بدلا من الشهر؟ قالوا : لا؛ قال : فإن لم أصُمْ فعلوا ماذا؟ قالوا : تُضرَب وتُحبَس؛ فصام أياما فلم يَصْبِر، فارتحل عنهم وجعل يقول :

يقول بنو عمّي وقد زُرتُ مِصْرَهم * تهيّأ أبا عمـــرٍو لشهرِ صـــيامِ
فقلتُ لهم هاتوا جِرَابى ومِزْوَدِى * ســــلامٌ عليكم فاذهبُوا بسَـــلامِ
فبادَرتُ أرضًــا ليس فيها مُسَيطِرٌ * عليّ ولا مَنّـاعُ أكلِ طعَـامِ

(١) قد صححنا هذه الجملة عن الجزء الحادى عشر من كتاب تذكرة ابن حمدون (ص ١٥١) وقد وردت فى الأصل محرّفة هكذا : «لتمكن منه أدناى حيش أعبر» .

(٢) القباطيّ : ثياب بيض من كتان كانت تنسج بمصر، شبه بها أيام رمضان .

(٣) الثميلة : البقية القليلة من الطعام أو الشراب فى البطن .

وأدركَ أعرابيًّا شهرُ رمضـانَ فلم يَصُمْ ؛ فعذَلَتْه امرأتُه في الصـوم، فزجرها وأنشأ يقول :

أتأمُرُني بالصـوم لا درَّ درُّها . وفي القبرِ صـومٌ يا أُمَيمَ طويلُ

دعا عبدُ الله بنُ الزبير الحسينَ لحضر وأصحابَه، فأكلوا ولم يأكُلْ ، فقيـلَ له : ألا تأكُلُ! فقال : إني صائمٌ، ولكن تُحفةَ الصائم؛ قيل : وما هي؟ قال : الدُّهنُ والمِجْمَـــر .

أخبـارٌ من أخبـار الأَكَلَة

الأصمعيّ قال : قال رجلٌ : أُحِبُّ أن أُرزَقَ ضِرْسًا طَحُونًا، ومَعِدَةً هَضُومًا، وسُرْمًا نَثُورًا[١] .

عن إسحاق بن عبد الله قال : سمعتُ أنسَ بن مالك يقول : رأيتُ عمـرَ يُلْقَى اليه الصاعُ من التمر فيأكُله حتى حَشَفَه .

وقال بعضُ الشعراء :

همُّ الكريم كريمُ الفعلِ يفعَلُه . وهمُّ سـعيد بمـا يُلقِي الى المَعِدَهْ

وقيل لرجل رُئِي سمينا : ما أسمنك؟ قال : أكلِي الحارَّ، وشربِي القارّ، وآتكائي[٢] على شِمَالِي، وأكْلِي من غيرِ مالِي .

وقيـــل لآخر : ما أسمنك ؟ قال : قِلّةُ الفِكْرة ، وطُولُ الدَّعَةِ ، والنَّـــومُ على الكِظّة[٣] .

---

(١) كذا في اللسان مادة (سرم)، والسرم النثور : الكثير الفذف الثقل من المعى . وفي الأصل : «وسرما [illegible]» . (٢) في الأصل «وآتكالي» باللام . (٣) الكظة : البطنة يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام .

قال الحجّاجُ للغضْبان بن القَبَعْثَرى فى حبسه : ما أسمنك ؟ قال : القَيدُ والدَّعَةُ، ومَنْ كان فى ضيافةِ الأميرِ فقد سَمِنَ .

وقال آخرُ لرجل رآه سميناً : أرَى عليكَ قَطيفةً من نَسْجِ أضراسِك .

وقيل لآخر : إنك لحَسَنُ الشَّحْمَةِ لَيِّنُ البَشَرةِ، فقال : آكُلُ لُبَابَ البُرِّ بصِغارِ المَعَز، وأدهِنُ بدُهنِ البَنَفْسَجِ، وألبَسُ الكَتّانَ .

قيل لمَيْسَرَةَ الأَكُولِ وأنا أسمعُ : كم تأكُلُ فى كلِّ يومٍ ؟ قال : مِنْ مَالى أو مِن مال غيرى؟ قالوا : مِنْ مالك، قال : دُوْنان[1]، قالوا : فمن مال غيرك؟ قال : أخْبِز وأطْرَح .

والعرب تقول : «العاشيةُ تُهيجُ الآبِيَـةَ[2]» . يريدون أنّ الذى لا يَشتَهِى أن يأكلَ، اذا نظر الى مَن يأكُلُ هاجه ذلك على الأكلِ .

قال جرير :

وبنـو الهُجَيمِ[3] سَخيفَةٌ أحلامُهم * ثُطُّ[4] اللِّحَى مُتَشَابِهُـو الألوانِ
لو يَسـمَعُونَ بأكْلَةٍ أوشَرْبَةٍ * بعُمَانَ أصبحَ جمعُهُـمْ بعُمَانِ
متأبِّطين[5] بَنِيهِـمُ وبَنَاتِهِـم * صُعْرَ[6] الأنوفِ لِرِيحِ كلِّ دُخَانِ

(١) دونان : كلمة فارسية ومعناها رغيفان . وفى العقد الفريد : «مكوك» والمكوك : مكيال ذكرت فى مقداره عدّة أقوال .
(٢) العاشية : التى ترعى بالعشىّ من المواشى وغيرها . والآبية : التى لاتريد العشاء . أى اذا رأت الآبية الإبل العواشى تبعتها فرعت معها .
(٣) فى الأصل : «وبنـو الهجين» بالنون وهو تحريف، والتصويب من القاموس وديوان جرير (النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش) . وروى هذا الشطر فى الديوان هكذا :
* إن الهجيم قبيلة مخسوسة *
(٤) ثط : جمع أثط، والأثط : قليل شعر اللحية .
(٥) فى الديوان : «متوركين» .
(٦) كذا فى الديوان، وصعر الأنوف : ميلها، من الصعر وهو الميل . وفى الأصل : «صعب الأنوف» وهو تحريف .

قَصَـد رجلٌ على مائدة المُغيرة ، وكان منهُومًا ، وجعـل ينهَشُ ويتعرّقُ؛ فقال المغيرةُ : ناوِلُوه سِكّينًا ؛ فقال الرجل : كلُّ آمرئٍ سِكّينُهُ فى رأسِه .

وقيل لأعرابىّ : مالكم تأكلون اللحم وتَدَعون الثريد؟ فقال : لأن اللحم ظَاعِنٌ والثريدَ باقٍ .

وقيل لآخر : ما تُسَمُّونَ المرَقَ ؟ قال : السَّخِينَ؛ قال : فإذا بَرَد ؟ قال : لا نَدَعهُ يبرُد .

قال أبو اليَقْظَان : كان هِـلالُ بنُ أسـعرَ التَّميمىّ ، من بنى دارِم بن مازِن ، شديدا أكُولًا؛ يزعمون أنه أكَلَ حمـلا إلا ما حَمَل على ظهره منـه . وأكلَ مرّةً فَصيلًا، وأكلَتِ آمرأتُه فصيلا، فلما ضاجعَها لم يَصل اليها ؛ فقالتْ : كيف تَصِلُ إلىّ وبينَنا بعيرانِ ! .

الأصمعىّ قال : دعا عَبّادُ بنُ أخضر هلالَ بن أسعرَ إلى وليمة، فأكل مع الناس حتى فرَغُوا، ثم أكل ثلاثَ جِفانٍ تُصـنَعُ كلُّ جَفنـةٍ لعشرةِ أنفسٍ؛ فقال له : أشبِعْتَ ؟ قال لا، فأتَوْه بكل خبزٍ فى البيت فلم يَشبَعْ، فبعثُـوا الى الجيران؛ فلما آختلفتْ ألوانُ الخبزِ علم أنه قد أضَرَّبهم فأمسكَ؛ فقالوا : هل لكَ فى تمرٍ شِهرِيزٍ(١) ولبنٍ؟ فأتَوْه به فأكلَ منه قَواصِرَ(٢)؛ فقالوا له : أشبِعْتَ؟قال : لا؛ قالوا : فهل لك فى السَّويقِ؟قال: نعم؛ فأتَوْه بجرابٍ ضخمٍ مملوء؛ فقال : هل عندكم نبيذٌ؟قالوا: نعم؛ قال : أعنـدكم تَوْرٌ(٣) تغتسلُونَ فيه من الجنابةِ ؟ فأُتِىَ به فغسَلَه وصبَّ السَّويقَ فيـه وصبَّ عليه النبيذَ، فما زال يفعل ذلك حتى فَنِىَ .

---

(١) الشهريز (بكسر الشين المعجمة وقد تضم وبالسين المهملة أيضا) : ضرب من التمر، وفيه وجهان الاتباع والاضافة . (٢) القواصر : جمع قوصرة (بتخفيف الراء وتشديدها) : وعاء التمر من قصب .

(٣) التور : إناء من نحاس أو حجر .

الشَّمَرْدَلُ وكِيلُ آل عمرو بن العاص قال : قدِم سليمانُ بن عبد الملك الطائفَ وقد عُرِفَتْ شجاعتُــه(١)، فدخل هو وعمرُ بن عبد العزيز [وأيوبُ ابنُه(٢) بستانًا لعمرو، قال: فجال في البستان ساعةً ثم قال]: ناهيكَ بمالِكُم هذا [مالًا](٢) لولا جِرَارٌ فيه! فقلت: يا أميرَ المؤمنينَ، إنهــا ليسَتْ بجرارٍ ولكنها جُرُبُ الزَّبيبِ؛ فجــاء حتى ألقى صدرَه على غُصن، ثم قال : ويلكَ يا شمردلُ! أمَا عندك شيء تُطعِمُني؟ قلت : بلى والله! إن عــدى لَجَدْيًا تغدُو عليه بقرةٌ وتروحُ أخرى؛ قال : اَعْجَلْ به؛ فأتيتُــه به كأنه عُكَّةٌ(٣)، وتشمّر فأكل ولم يَدْعُ ابنَه ولا عمرَ حتى أتى نِصفًــه . فقال : ياأبا حفص هَــلُمَّ؛ قال : إني صائمٌ؛ ثم قال : ويلكَ ياشَمَردَلُ ! أمَا عندك شيء ؟ فقلت : بلى والله ! دَجاجاتٌ ستٌ كأنهن رِئلانُ(٤) النّعام، فأتيتُه بهن، فكان يأخذ رِجلَ الدجاجةِ حتى يُعرِى عظمَها ثم يُلقيها [بفيــه](٢) حتى أتى عليهنّ . ثم قال : ويلك ! أمَا عندك شيء؟ فقلت : بلى والله! إن عندى لحَرِيرةً(٥) كقُراضَةِ الذّهب، فقــال : اَعْجَلْ بها؛ فأتيتُه بعُسٍّ(٦) يَغِيبُ فيه الرأسُ، فجعل يَتَلَقّمُها(٧) بيده ويشربُ، فلما فرغ تَجَشّأ كأنه صاحَ في جُبٍّ؛ ثم قال : ياغلامُ، أفرَغْتَ من غَدَائنا؟ قال: نعم، قال : وما هو؟ قال : نَيِّفٌ وثمانونَ قِدرًا؛ قال: فأْتِني بها قِدرًا قِدرًا؛ فأتاه بها وبِقِنَاعٍ(٨) عليه

---

(١) كذا بالأصــل ، وسياق الكلام يأباها ، ولعلها محرفة عن كلمة تدل على معنى الجشع والنهم .

(٢) التكملة من العقــد الفريد (ج ٢ ص ٣٣٢) .

(٣) العكة : وعاء السمن وهي أصغر من القربة .

(٤) الرئلان : أولاد النعام، واحدها رأل .

(٥) كذا في العقد الفريد، والحريرة : ضرب من الطعام يتخذ من الدقيق يطبخ بلبن أو دسم، وفي الأصل «لبيدة» . وفي المستطرف ونهاية الأرب (ج ٣ : ص ٣٥٣) «سويق» .

(٦) العس (بالضم) : القدح الكبير .

(٧) يتلقمها من تلقم الشيء : أكله بسرعة . وفي العقد الفريد : «يقلعها بيده» . وفي الأصــل : «يتلكمه» واللكم في كتب اللغة : الضرب باليد مجموعة، ولعل ما أثبتناه أنسب بالمقام .

(٨) القناع (بالكسر) : إناء من عُسُل النخل يوضع فيه الطعام .

رُقَاقٌ ، فأكثرُ ما أكل من قدرٍ ثلاثُ لُقَمٍ وأقلُّ ما أكل لُقمةٌ ، ثم مسح يدَه وآستلقَى على فراشه ، وأَذِن للناس ووُضِعت الخواناتُ(١) فجعل يأكلُ مع الناس .

الخَطَّابِيّ عن الدَّيْرانيّ أنه قال : إنى لأعرِفُ الطعامَ الذى يأكلُه سُليمانُ ؛ قال : لما آستُخلِفَ سُليمانُ قال لى : لا تَقْطَعْ عنّى الطافَةَ التى كنتَ تُلطفنى بها قبل أن أُستَخْلَف ؛ فأتيته بزَنبِيلَينِ أحدُهما بَيضٌ والآخرُ تِينٌ ؛ فقال : لَقِّمْنيه ، فجعلت أقشِرُ البيضةَ وأقرِنُها بالتينةِ حتى أكلَ الزنبيلَينِ .

العُتْبِيّ عن أبيه قال : كان عُبيد الله بن زِياد يأكل كلّ يومٍ أربعَ جَرادِقَ(٢) أصبهانية وجُبْنًا قبل غَدائه .

وعن سَلْم بن قُتَيبة قال : عَدَدْتُ للحجاج أربعًا وثمانِينَ لُقمَةً فى كلّ لُقمةٍ رغيفٌ من خبزِ الماءِ(٣) فيه مِلْءَ كفّه سمكٌ طرِيّ .

وكان لعبد الرحمن بن أبى بَكْرَة آبنٌ أكولٌ ؛ فقال له [معاوية](٤) : ما فعل آبنك التِّلْقَامَةُ(٥)؟ قال : آعتلّ ؛ قال : مثلُه لا يَعدَم عِلّةً .

أكل أبو الأسود الدؤلِيّ وأقعدَ معه أعرابيًّا فرأى له لَقمًا مُنكَرًا ، فقال له : ما آسمُكَ؟ قال : لُقمانُ ؛ قال : صدق أهلُكَ ، إنك لُقمانُ .

وُلِدَ لآبن أبى ليلى غلامٌ فعمِلَ الأخبِصَةَ للجيرانِ ، فلما أكلوا قام مُساوِرٌ الورّاقُ فقال :

مَنْ لا يُدَسِّمْ بالثريد سِبالَنا(٦) * بعد الثّرِيدِ فلا هَنَاهُ الفارسُ

(١) كذا فى العقد الفريد (ح ٢ ص ٣٣٢) . وفى الأصل : « فوضعت الخوان » .
(٢) الجرادق جمع جردق ، والجردق والجردقة (بالدال المهملة) والجرذق (بالذال المعجمة) : الرغيف فارسية معربة .
(٣) كذا بالأصل .
(٤) التكملة عن كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٦٥ طبع أوربا) وقد ذكرت فيه هذه الحكاية بأوضح مما فى الأصل فراجعه .
(٥) التلقامة : العظيم اللقم .
(٦) والسبال : جمع سبلة وهى مجتمع الشاربين ومقدم اللحية .

وقال المُجَيفُ[1] فى أمّه :

يا ليتما أمُّنا شالَتْ نعامَتُها * إمّا[2] الى جنّــــة إمّا الى نار
ليستْ بشَبْعَى وإن أسكنتها هَجَرًا[3] * ولا بريًّا ولو حلّتْ بــذى قار[4]
تلهَـمُ الوَسْقَ مشدودًا أشِـظّتُه[5] * كأنّما وجهها قـد طُلِىَ بالقار[6]
خرقاءُ فى الخير لا تُهدَى لوجهتِهِ * وهى صَنّاعُ[7] الأذى فى الأهلِ والجارِ

رأى أبو الحارث جُمَيزُ سَلّةً بين يدىْ رجلٍ من الملوك، فقال له : جُعِلتُ فداكَ، أىّ شىء فى تلك السَّلّة؟ فقال : بَظْرُ أُمِّكَ، قال : فأعطنى به .

قيل للحارثىّ : لم لا تُؤاكِلُ الناس ؟ فقال : لو لم أترُكْ مؤاكلتهم إلا لِتَرَوّعى عن الأسوارىّ[8] لتركتُها، ما ظنّكم برجل نَهَشَ بَضْعَةَ لحمٍ بقرٍ[9] فاقتلع ضرسَه وهو لا يدرى . وكان اذا أكل ذهبَ عقلُه وجحظتْ[10] عيناه وسَكِرَ وسَدِرَ[11] وتَرَبّدَ[12] وجهُه وغضب ولم يَسْمَعْ ولم يُبصِرْ، فلما رأيتُه وما يعترِيه ويعترِى الطعامَ منه صرتُ لا آذَنُ له إلا ونحن نأكل الجوزَ والتمرَ والباقِلّى ؛ ولم يَفجَأنى قطُّ وأنا آكلُ تمرًا الا آستفّه سفًّا وزدا[13] به

(١) نسب هذا الشعر فى شرح ديوان الحماسة (طبعة أوربا ص ٨١٠) الى شخص اسمه «سعد» . ونسب فى شرح شواهد المغنى (٦٧ طبعة مصر) الى من اسمه سعد بن قرين سيار ويلقب بالنحيت الحدرى .
(٢) فى ديوان الحماسة واللسان والمغنى : «أيّما الى جنة أيما الى نار» . (٣) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بكثرة التمر . (٤) ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة .
(٥) كذا فى الحماسة، والأشظة : جمع شظاظ وهو خشبة عقفاء تدخل فى عروة الجوالق . وفى الأصل «أسربه» وهو تحريف . (٦) كذا فى ديوان الحماسة، وفى الأصل «مطلو بالقار» .
(٧) كذا فى شرح شواهد المغنى (ص ٦٧ طبع مصر) وفى الأصل : «وفى اصطناع الأذى» . وهو تحريف .
(٨) فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٢ طبعة أوربا) : « ... ... لو لم أترك مؤاكلة الناس وإطعامهم الا لسوء رعة على الأسوارى لتركته، وما ظنكم ... الخ ... » . ولعل الصواب : الا لشره على الأسوارى أو نحو ذلك . وفى الأصل هنا : «إلا لترزعى عن الأسـواق»، والظاهر أن كلمة «الأسواق» هنا محرفة عن «الأسوارى» وهو الشخص الذى يحدث عنه فى هـذا الحديث .
(٩) فى كتاب البخلاء : «فنهش بضعة لحم تعرقا فبلع ضرسه» . (١٠) جحظت عينه : عظمت مقلتها ونتأت . (١١) سدر الرجل : تحير . (١٢) تربد وجهه : تغير .
(١٣) زدا به : رمى به . وفى كتاب البخلاء «وذرا به ذروا» .

زَدْوًا، ولا وجدَه كَنيزًا(١) إلا وتَناوَلَ القِطعةَ منه بجُمْجُمَةِ الشَّـورِ كَدَمها(٢) كَدْما، ونَهشَها طُولا وعرضًا، ورَفعًا وخَفضًا، حتى يأتىَ عليها؛ ثم لا يقعُ عَضُّه إلا على الأنصافِ والأثلاثِ؛ ولا رَمَى بنَواةٍ قطّ، ولا نَزَع قِمعًا(٣)، ولا نَفى عنه قِشرًا، ولا فَتّشه مخافةَ السوس والدود.

وقال بعض الشعراء:

تَبِيتُ تُدَهْدِه(٤) القَرّانَ(٥) حَوْلى * كأنك عنـد رأسى عُقْرُبانُ
فلو أطعَمتَنى حَمَلًا سمينًـا * شكرتُك والطعـامُ له مكانُ

وقال بعض الأعراب:

وإنّ طعامًا ضمّ كفّى وكفَّها * لعمرُك عندى فى الحياةِ مبارَكُ
فمن أجلهـا أستوعبُ الزادَ كلَّه * ومن أجلها أهوِى يدِى فأُدارِكُ

وقال آخر:

عريضُ البِطان(٦) جديد الخوان * قـريب المَراث(٧) من المـرتع
فنِصفُ النهـار لِكِرْياسِه(٨) * ونِصفٌ لمـا كله أجمـع

الأصمعىّ قال: قيل لأعرابىّ: ما يُعجبك من هذا القَنَـد(٩)؟ قال: يُعجبنى خَضْدُه وبَرْدُه. قال الأصمعىّ: الخضد: المضغ والأكل الشديد.

(١) الكنيز: التمر يجعل فى قواصر الشتاء. (٢) كدمه كدما: عضه بأدنى فيـه.
(٣) القمع (بكسر ففتح وبالكسر): ما التصق بأسفل التمرة ونحوها حول علاقتها. (٤) تدهده: تدحرج. (٥) القرّان (كشدّاد): القارورة. (٦) كذا فى البيان والتبيين، وأصل البطان: حزام القتب الذى يجعل تحت بطن الدابة، ولعله يريد به كبر بطنه؛ وفى الأصـل: «الخوان».
(٧) المراث بفتح الميم: مكان الروث. (٨) كذا فى البيان والتبيين. وفى الأصل «بتر ياسه» وهو تحريف، والكرياس: الكنيف الذى يكون مشرفا على سطح بقناة الى الأرض. (٩) القند: عسل قصب السكر اذا جمد. وقد ورد فى اللسان: «قيل لأعرابىّ — وكان معجبا بالقثاء —: ما يعجبك منه؟ قال: خضده».

قال خالد بن صفوان يوما لجاريته : يا جارية ، أطعمينا جبنا ، فإنه يُشهّى الطعامَ ويَهيج المعدة، وهو يُعدّ من حمض العرب . قالت : ما عندنا منه شيء . قال : لأعلمك إنه والله ، ما علمتُ، ليقدح فى الأسنان ويستولى على البطن ، وأنه من طعام أهل الذمّة .

كان يقال : اذا كثُرتِ المقدِرة، ذهبت الشهوة .

وقال بعض الظرفاء :

زرعنا فلما سلّم اللهُ زرعَنا * وأوفى عليه مِنجلٌ بحَصادِ
بُلينا بكوفىّ حليفِ مجاعةٍ * أضرّ علينا من دَبًى(١) وجرادِ

عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "مَنْ دَخَل على غير دَعوة دخل سارقا وخرج مُغيرا، ومن لم يُجب الدّعوةَ فقد عصى الله ورسولَه".

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا دُعى أحدُكم فجاءَ مع الرسولِ فإنّ ذلك له إذنٌ". وعن مجاهد : أن ابن عمر كان اذا دُعى الى طعام وهو صائم يجيب، وكان يهيّئ اللقمة بيده ثم يقول : كلوا باسم الله فإنى صائم . وعن أسماء بنت رُقَيد قالت : دخلنا على النبيّ صلى الله عليه وسلم،فأُتى بطعام فعرَض علينا فقلنا : لا نشتهيه، فقال : "لا تجمعْنَ كذِبًا وجوعًا" .

دعا رجل عليّ بن أبى طالب رضوان الله عليه الى طعام، فقال : نأتيك على ألّا تتكلّف ما ليس عندك، ولا تدّخر عنا ما عندك .

وكان يقول : شرّ الإخوان مَنْ تُكُلِّف له .

دعا رجل رجلا الى الغداء ثم قال له : هذه بِكر زيارة ولم نستعدد،فلعل تقصيرا فيما أُحبّ بلوغَه، فقال الآخر : حرصُك على كرامتى يكفيك مؤونةَ التكلّف .

(١) الدبى : الجراد قبل أن يطير .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ : أتانى الزبيرُ[1] بن دَحْمانَ يوما فسألته أن يقيم عنــدى، فقال : قد أرسل إلىّ الفضــل بن الربيع وليس يمكننى التخلُّف عنــه ؛ فقلت له :

أقم يا أبا العــوّام ويحك نشربِ * ونَلْهُ مــع اللاهين يومًا ونَطــرَبِ
إذا ما رأيتَ اليـــوم قد جاء خيرُه * فخذه بشكر واتْرُكِ الفضلَ يَغضبِ

وقال بعض المحدَثين :

نحن قوم متى دُعِينا أجَبْنا * ومتى نُنْسَ يَدْعُنا التطفيل
ونَقُــلْ علّنا دُعِينا فغِبْنَــا * وأتانا فلم يَجدنا الرســول

كان طُفَيلُ العرائس الذى يُنسب اليه الطُّفَيليُّون يُوصى أصحابَه فيقول لأحدهم : إذا دخلتَ عُرسا فلا تَلتفتْ تلفُّتَ المُرِيب، وتخيَّرِ المجالس، وأجِدْ ثيابك، وآعمل على أنها العقدة التى تَشغَل . وإن [كان][2] العرس كثير الزحام فمُرْ وآنْهَ . ولا تنظر فى عيون أهل المرأة ولا عيونِ أهل الرجل، فيظن هؤلاء أنك من هؤلاء وهؤلاء أنك من هؤلاء . وإن كان البـوّاب غليظا وَقَاحًا فآبدأْ به ومُرْه وآنْهَه من غير أن تُعنِّف عليه، وعليك بكلامٍ بين النصيحة والإدلال .

عرض رجل على رقبةَ الغداءَ، فقال : إن أقسمتَ علىّ وإلّا فدعنى .

ومن أشعار الطُّفَيليِّين :

دعوتُ نفسى حين لم تدعُنى * فالحمـــدُ لى لا لكَ فى الدّعوهْ
وقلتُ ذا أحسنُ من مَوعِدٍ * إخلافُه[3] يدعو إلى جَفْـــوهْ

(١) كذا فى الأغانى (ج ٥ ص ٧٨ طبع بولاق) ، وفى الأصــل : "يزيد بن دحمان" وهو تحريف . (٢) التكلة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٧) . (٣) كذا فى نهاية الأرب . وفى العقد الفريد : « مخلفه » . وفى الأصل : « أحلفه » .

وقال آخر :

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضَيفَنٌ[1] * فأودَى بما تُقرَى الضيوفُ الضَّيافِنُ

وقال إسحاق[2] بن إبراهيم الموصليّ :

نعم الصديقُ صديقٌ[3] لا يكلّفنى * ذبحَ الدّجاج ولا شَيَّ القَراريج

يرضى بلونين من كَشْك ومن عدس * وإن تشهّى فزيتونٌ بطَسُّوج[4]

كان سعيد بن أسعد الأنصارى إمام الجامع بالبصرة طفيليًّا ، فإذا كانت وليمةٌ سبق الناسَ إليها ، فربما بسَط معهم البُسُطَ وخدم . فقيل له فى ذلك فقال : إنى أُبادر بردَ الماء ، وصفوَ القدور ، ونَشاطَ الخبّاز ، وخلاءَ المكان ، وغفلةَ الذِّبّان ، وجفافَ المنديل .

وقيل لبعض الطفيليّين : كم اثنان فى اثنين قال : أربعة أرغفة .

باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام

عن المِقدام[5] أبى كريمة أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أيّما مسلم ضَافه[6] قومٌ فأصبحَ الضيفُ محروما كان له على كلّ مسلم نَصرُهُ حتى يأخذَ بِقِرَى ليلته من زرعِهِ ومالِهِ" .

---

(١) الصيفن : الطفيلىّ . (٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٤١) : «وقال ابراهيم الموصلىّ فى طفيلىّ كان يصحبه» . (٣) فى العقد الفريد : «نعم النديم نديم الخ» . (٤) الطسوج : مقدار من الوزن مقداره حبتان من الدانق ، والدانق أربعة طساسيج . وأراد بالطسوج والدانق نسبتهما من الدرهم لا من الدينار لأن الدرهم ستة دوانيق وثمان وأربعون حبة فيكون طسوج الدرهم حبتين ودانقه ثمان حبات (راجع شرح القاموس) . (٥) هو المقدام بن معديكرب وكنيته أبو كريمة . وفى الأصل : «المقدام بن أبى كريمة» وهو خطأ . (٦) رواية الجامع الصغير : "أيما رجل ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فان نصره حق على كل مسلم الخ" .

روى ٱبنُ العَجْلانِ[1] عن أبيه قال : قال أبو هريرة : إذا نَزلْتَ برجل ولم يَقْرِكَ فقاتِلْه . عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخيرُ[2] أسرعُ الى مُطعِمِ[3] الطّعام من الشَّفْرةِ[4] فى سَنام البعير" .

داود قال : قلت للحسن : إنك تُنفِق من هذه الأطعمة وتُكثِر، قال : ليس فى الطعام سَرَفٌ .وقال الثورىّ : ليس فى الطعام ولا فى النساء سرفٌ .

عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إنّ مِنَ السُّـنّةِ أن يَمشِىَ الرجلُ مع ضَيفِهِ الى باب الدارِ" .

عن عبد الرحمن بن عباس قال : رأيت ٱبن عبـاس فى وليمة فأكل وألقى للخبّاز درهمـا .

الأصمعىّ قال: سُئل أَقْرَى أهل اليمامةِ للضيف : كيف ضَبَطتم القِرَى؟ قال : بأنا لا نتكلّفُ ما ليس عندنا .

عن بعض النُّسّـاك قال : قد أعيانى أن أَنزِلَ على رجل يَعلمُ أنى لستُ آكل من رزقه شيئا .

---

(١) فى الأصل : « رؤبة بن العجاج » وهو تحريف، اذ أن هذا العلم لم يرد إلا ضمن الشعراء، ولم توجد له مناسبة بين رواة الحديث .ولعل ما أثبتناه أنسب، لأنه ورد فى تهذيب التهذيب : أن العجلان روى عنـه ٱبنه وروى هو عن أبى هريرة .

(٢) كذا فى الجامع الصغيروالإبانة فيا جاء فى الصدقة والضيافة لأبن حجر الهيتمى . وفى الأصل : «اخير واسرع» وهو تحريف .

(٣) فى الجامع الصغير : «الى البيت الذى يغشى» وفى الابانة : «الى البيت الذى يؤكل فيه» .

(٤) فى الأصل : « السفرة » بالسين المهملة وما أثبتناه عن الجامع الصـغير . والشفرة (بالفتح) : السكين العظيمة العريضة .

عن عَوْن بن عبد الله قال : ضلّ رجلٌ صائمٌ فى عام سنةٍ، فأبتُلِىَ برجل عند فطره وقد أُتى بقُرصينٍ فألقى اليه أحدَهما، ثم قال : ما هذا بمُشبِعه ولا بمُشبِعى، ولأن يشبَع واحد خير من أن يجوع آثنان، وألقى اليه الآخر. فلما أوَى الى فراشه أتاه آت فقال : سَلْ؛ فقال : أسأل المغفرة؛ قال : قد فُعِل ذلك بك؛ قال : فإنى أسأل أن يُغَاثَ الناسُ .

عن الحسن : أنّ رجلا جَهَده الجوعُ، ففطِنَ له رجلٌ من الأعيان، فلمّا أمسى أتى به رحلَه[٢]، فقال لآمرأته : هل لكِ أن نَطوِىَ ليلتَنا هذه لضيفنا ؟ قالت : نعم؛ قال : فإذا قدّمتِ الطعامِ فادْنِى الى السراج كأنك تُصلحينه فأطفئيه، ففعلتْ وجاءتْ بثريدة كأنها قَطَاة فوضعتْها بين أيديهما، ثم دَنَتْ الى السراج كأنّها تُصلحه فأطفأته، فجعل الأنصارىّ يضع يده فى القَصْعة ثم يرفعها خالية؛ فأُطلِع على ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما أصبح الأنصارىّ صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، فلما سلّم أقبل على الأنصارىّ وقال : "أنت صاحبُ الكلام الليلةَ"؛ ففزع الأنصارىّ وقال : أىّ كلامٍ يا رسول الله؟ قال : كذا وكذا : قوله لآمرأته؛ قال : كان ذاك يا رسول الله؛ قال : "فوالله لقد عجِب اللهُ من صُنعِكما الليلةَ" .

الأصمعىّ قال : كان عمر بن عبد العزيز اذا قدِم عليه بَرِيدٌ قال : هل رأيت فى الناس العُرُسَات؟ يعنى الخِصبَ للسلمين .

وقيل لأعرابىّ كان فى مجلس : فيم كنتم؟ قال : كنّا فى قِدْر تفور، وكأسٍ تدور، وغِناء يصور[٣]، وحديث لا يخور[٤] .

(١) فى الأصل : «صائما» . (٢) رحله : منزله . (٣) يصور : يصوّت .
(٤) لا يخور : لا يضعف .

بلغني أن محمد [بن خالد] بن يزيد بن معاوية كان نازلًا بحلب على الهيثم بن يزيد التنوخي[1]، فبعث الى ضيف له من عُذرة فقال: حَدِّثْ أبا عبد الله ما رأيتَ في حاضرة المسلمين من أعاجيب الأعراب، قال: نعم، رأيتُ أمورا مُعْجِبة: منها أني رأيت قريةَ عاصم ابن بكر الهلالي[3]، فإذا أنا بدُورٍ متباينة، واذا أخصاصٌ مُنظَّمٌ بعضها الى بعض، واذا بها ناس كثيرٌ مُقبِلون ومُدبِرون وعليهم ثياب حَكَوْا بها ألوانَ الزَّهْر، فقلت لنفسي: هذا أحد العيدين الأضحى أو الفطر، ثم رجع إليّ ما عَزَبَ عني من عقلي، فقلت: خرجت من أهلي في عَقِبِ صَفَر وقد مضى العِيدان قبل ذلك، فبينا أنا واقفٌ ومُتعجِّب أتاني رجل فأخذ بيدي [فأدخلني دارا قَوْراء[5]] وأدخلني بيتا قد نُجِّدَ في وجهه فُرُشٌ قد مُهِّدت وعليها شابٌّ ينال فروعُ شعره كَتِفَيْه، والنـاس حوله سِمَاطانِ[6]؛ فقلت في نفسي: هذا الأمير الذي يُحكى لنا جلوسُه وجلوس الناس حولَه، فقلت وأنا ماثلٌ بين يديه: السلام عليـك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته؛ فجَـذَب رجلٌ بيدي وقال: اجلس فإن هذا ليس بالأمير؛ فقلت: ومن هو؟ قال: عَرُوس؛ قلت: واثُكْلَ أمّاه! رُبَّ عروسٍ رأيتُ بالبـادية أهونُ على أصحابه من هَنِ أمِّـه؛ فلم ألبَث إذ دخلت الرجالُ عليها هَنَاتٌ مدوّراتٌ من خشب وقُضْبان، أمّا ما خَفَّ فيُحْمَلُ حملًا، وأمّا ما ثَقُـل فيُدَحْرَج، فوُضعتْ أمامنا وتحلّق القوم حلَقا حلَقا، ثم أُتِينـا بخِرَقٍ بيض

(١) التكملة عن كتاب الأغاني (ج ١٢ ص ٣٥ طبع بولاق)، وقد ورد فيه هذا الخبر بتوسع عما هنا وذكر اسم الأعرابي الذي رواه وأفرد له ترجمة خاصة؛ وهو ناهض بن ثومة بن نصيح وكان شاعرا بدويا فصيحا من شعراء الدولة العباسية. وذكر أنه كان بدويا جافيا كأنه من الوحش طيب الحديث، يقدم البصرة فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة؛ روى عنه الرياشيّ وأبو سراقة ودماذ وغيرهم من رواة البصرة. وقد وردت في الأصل كلمات محرفة صححناها عن الأغاني ونبهنا عليها في مواضعها. (٢) في الأغاني: «النخعي». وفي العقد الفريد: «الهيثم بن عدي». (٣) في الأغاني: «مررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلالي». وفي العقد الفريد: «قرية بكر بن عاصم الهلالي». (٤) في الأغاني: «خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر». (٥) الزيادة عن الأغاني. وقوراء: واسعة. (٦) سماطان: صفان.

فألقيتُ بين أيدينا، فظلتُها ثيابا[(١)] وهممت عندها أن أسأل القوم خِرَقًا أقطعُ منها قميصا، وذلك أنى رأيت نَسْجًا مُتلاحكا[(٢)] لا تبين له سَدًى ولا لُحْمَة، فلما بسَط القومُ أيديهم إذا هو يتمزّق سريعًا وإذا هو [فيما زعموا][(٣)] صِنف من الخبز لا أعرفه. ثم أُتينا بطعامٍ كثيرٍ من حلوٍ وحامضٍ وحارٍّ وبارد، فأكثرتُ منه وأنا لا أعرف ما فى عَقِبه من التُّخَم والبَشَم. ثم أُتينا بشرابٍ أحمر فى عِسَاس[(٤)]، فلما نظرت اليه قلت: لا حاجة لى فيه، أخاف أن يقتلنى. وكان فى جانبى رجلٌ ناصحٌ لى — أحسن الله جزاءه — كان ينصح لى من بين أهل المجلس، فقال: يا أعرابىّ، إنك قد أكثرتَ من الطّعام، وإن شربتَ الماء انتفخ بطنُك — فلما ذكر البطن تذكرتُ شيئا كان أوصانى به [أبى و][(٣)] الأشياخ [من أهلى][(٣)]: قالوا: لا تزال حيًّا ما دام شديدا (يعنى البطن) فإذا اختلف فاوصِ — فلم أزل أتداوى به ولا أمَلّ من شربه، فتداخلنى — تالله الخير — صَلَف[(٥)] لا أعرفه [من نفسى، وبكاء لا أعرف سببَه ولا عهدَ لى بمثله، واقتدارٌ على أمرٍ أظن معه أنى لو أردت نيلَ السقف لبلغتُه ولو ساورتُ الأسد لقتلتُه، وجعلتُ ألتفت الى الرجل الناصح لى فتحدّثنى نفسى][(٦)] بهتم أسنانه وهَشْم أنفه، وأهمّ أحيانًا بان أقول له: يابن الزانية؛ فبينما نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعةٌ:

---

(١) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «فألقيت عليها فهممت الخ».
(٢) متلاحكا: متداخلا بعضه فى بعض تداخلا شديدا.
(٣) زيادة عن كتاب الأغانى.
(٤) كذا فى العقد الفريد (ج٢ ص١٢٦)، والعساس: جمع عُسّ بالضم وهو القدح الكبير. وفى الأصل: «عساف»، والعسف: القدح الضخم، ولم يرد هذا الجمع فى كتب اللغة والوارد فيها عسوف.
(٥) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «حلف» وهو تحريف.
(٦) العبارة المحصورة ما بين المربعين وردت فى الأغانى. وفى الأصل: «لا أعرفه وبق فى نفسى لا عهد لى به وأشكل علىّ أمرى، وكان الى جانبى الرجل الناصح لى، فجعلت نفسى تحدّثنى الخ».

أحدهم قد علّق فى عُنُقه جَعْبة فارسيـة مُشَنَّجَة (١) الطرفين دقيقة الوسط قد شُبِحت (٢) بالخيوط شَبْحا منكرا، وقد أُلبستْ قطعةَ فَرْوٍ كأنهم يخافون عليها القُرّ. ثم بَدَر الثانى فاستخرج من كُمّه هَنَة [سوداء] (٣) كَفَيْشَلة الحمار فوضع طَرَفها فى فيه فضرط فيها فأستتمّ بها أمرهم، ثم حَسَبَ (٤) على جِحَرة فيها فاستخرج منها صوتا ملائما مشاكلا بعضُه بعضا [كأنه — علم الله — ينطق] (٣). ثم بدر الثالثُ عليه قميص وَسِخ وقد غرق شعره بالدُّهْن معه مرآتان فجعل يَمْرِى إحداهما على الأخرى مَرْيا. ثم بدر الرابع عليه قميصٌ قصير وسراويلُ قصيـر وخُفّان أجذمان لاساقين لهما، فجعـل يَقْفِز كأنه يَثِب على ظهور العقارب، ثم التبط بالأرض، فقلت: معتوه وربِّ الكعبـة! ثم ما برِح مكانَه حتى كان أغبطَ القومِ عندى، ورأيت النـاس يحذِفونه بالدراهم حَذْفا منكرا. ثم أرسلت إلينا النسـاءُ أن أمتِعونا من لهوكم، فبعثوا بهـم إليهن وبقيت الأصوات تدور فى آذاننا. وكان معنا فى البيت شابٌّ لا آبَهُ له، فعلَت الأصواتُ له بالدعاء، فخرج فجاء بخشبة عينُها فى صدرها فيها خُوَيْطاتٌ أربعة، فأستخرج من جنبها عُودا فوضعه على أذنه، ثم زمّ الخيوطَ الظاهرةَ، فلما أحكمها وعَرَك آذانَها حرّكها بِجَسّة (٥) فى يده، فنطقتْ وربِّ الكعبة! وأذاهى أحسنُ قَينة رأيتها قطُّ، [وغنّى عليها] (٣) فأستخفّنى

---

(١) التشنج: التقبض، وفى الأغانى: «مسحة» بالسين المهملة، ومعناه: مخططة، وكلا المعنيين هنا غير واضح، وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٦): مفتحة الطرفين. ولعـل صواب الكلمة «مسمحة الطرفين» لوضوح المعنى بهـا وليطابق وصف الوسط بالدقة. والظاهر أن الأعرابىّ يصف بهذا الوصف الآلة المعروفة عندنا الآن بالكمنجا. (٢) كذا فى الأغانى. وشبحت: شدّت. وفى الأصل: «قد سبحت بالخيوط سبحا منكرا». وفى العقد الفريد: «شبكت». (٣) زيادة فى الأغانى.

(٤) يريد: حرك أصابعه على ثقوب هذه الهنة، وهى المزمار، كما يصنع الحاسب حين يعـد بأصابعه. وعبارة الأغانى: «ثم حرك أصابعه ... الخ». (٥) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «قشة» وهو تحريف.

فى مجلسى حتى قمتُ بجلستُ بين يديه، فقلت: بأبى أنت وأمّى! ما هذه الدابّة(١)؟ [فلستُ(٢) أعرفها] للأعراب وما خلقتْ إلا حديثا! فقال: يا أعرابىّ، هذا البَرْبَط الذى سمعتَ به؛ فقلت: بأبى أنت وأمى! فما هذا الخيط الأسفل(٣)؟ قال: زير؛ قلت: فما الذى يليه؟ قال: مَثْنى؛ قلت: فالثالث؟ قال: المَثْلَث؛ قلت: فالرابع؟ قال: البَمّ؛ قلت: آمنتُ بالله أوّلا وبالبمّ ثانيا.

وقال الخُرَيمىّ:

أُضاحِك ضَيفِى قبلَ إنزالِ رَحْلِهِ * ويُخْصِب عندى والمَحَلّ جَدِيبُ
وما الخِصْبُ للأضيافِ أن يَكْثُرَ القِرَى * ولكنّما وجهُ الكريمِ خَصِيبُ

وقال أَرْطاة بن سُهَيّة:

وإنّى لَقَوّامٌ الى الصيف مَوْهِنًا * اذا أغدف السِّتْرَ البخيلُ المُوَاكِلُ(٤)
دعا فأجابتْه كلابٌ كثيرةٌ * على ثقةٍ مِنّى بما أنا فاعِلُ
وما دُون ضَيْفِى من تِلادٍ تَحُوزُهُ * لِىَ النفسُ إلا أن تُصانَ الحلائِلُ

آخر(٥):

إذا نزل الأضيافُ كان عَذَوَّرًا(٦) * على الأهلِ حتى تَسْتقِلّ مَرَاجِلُهْ

يقول: يُسَوِّئُ خُلُقَه حتى يُطعِمَ أضيافَه، لإعجاله إياهم ولخوف تقصير يكون منهم.

---

(١) كذا فى الأغانى. وفى الأصل «الداهية». (٢) زيادة عن كتاب الأغانى.
(٣) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «فما هذه الخيوط السفل». (٤) المواكل: العاجز الذى يكل أمره الى غيره ويتكل عليه. (٥) الشعر لزينب بنت الطثرية ترثى أخاها يزيد وقيل إنه لغيرها. (راجع الشعر فى الأغانى ج ٧ ص ١٢٣). (٦) العذوّر: السيئ الخلق القليل الصبر فيما يريده ويهم به.

وقال دِعبِل [1] :

وإنّى لعبدُ الضيفِ من غيرِ ذِلّةٍ * وما فىَّ إلا تلك من شِيَمِ العبـدِ

وقال آخر [2] :

لِحَافِى لحافُ الضَّيف والبيتُ بيتُه * ولم يُلْهِنِى عنـه الغزالُ المُقَنَّـعُ [3]

أُحَدِّثُه، إن الحـديث من القِرَى * وتعـلمُ نفسى أنه سـوف يَهجَعُ

وقال الفرزدق فى العُذافر :

لَعَمْرُكَ ما الأرزاقُ يومَ اكتيالِها [4] * بأكثرَ خيراً من خِوَانِ عُذَافِرِ

ولو ضافَه الدَّجّال يلتمِسُ القِرَى * وحَلَّ على خَبّازه بالعساكر

بِعِدّةِ يأجوجٍ ومأجوجَ كُلِّهِـم * لأشـبعهم يوماً غَدَاءُ [5] العُـذَافِرِ

وقال مِسكين الدارِمىّ :

نارِى ونارُ الجارِ واحدةٌ * وإليه قَبْـلِى تُنْزَلُ القِدْرُ

ما ضَرَّ جاراً لى أُجاوِرُه * ألّا يكونَ لبابِه سِتْرُ

ضاف رجلٌ من كَلْب أبا الرَّمَكاء الكلبىّ، ومع الرجلِ فَضْـلةٌ من حِنْطة، فراحَتْ مِعزَى [أبى] الرَّمَكاء، فحَلَبَ وشَرِب، ثم حلب وسَقَى ابنَه، ثم حلب وسَقَى

---

(١) ذكر أبو الفرج فى الأغانى هذا البيت ضمن أبيات منسوبة الى قيس بن عاصم المنقرىّ (انظر الأغانى فى ترجمته ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق)، وكذلك رواه المبرد فى الكامل له أيضا (ص ٣٣٤ — ٣٣٥ طبع أوربا) وقد رواه :

وإنى لعبد الضيف ما دام ثاويا * وما من خلالى غيرها شيمة العبد

وفى شرح الحماسة (ص ٥٢٥) أنه للمقنع الكندى من أبيات مفتوحة الروىّ . (٢) هو عتبة بن بجير وقيل مسكين الدارمى، انظر شرح أشعار الحماسة (ص ٧٥٠ طبع أوربا) وص ٢٢٣ من المجلد الثانى من هذا الكتاب . (٣) يريد بالغزال المقنع امرأته . (٤) كذا فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٩ طبع أوربا) . وفى الأصل : «حين اكتالها» . (٥) فى كتاب البخلاء «شهرا» .

امرأته؛ فقال الرجل: ألَا تسقُون ضيفكم؟ فقال أبو الرمكاء: ما فيها فضل؛ فاستخرج الرجلُ مافي عِكْمِه(١) من طعام وقال: هل من رَحًى؟ فأسرعوا بها نحوه، فطحَنَ وعجَنَ وأوقد خبزَتَه(٢) وأخرجها فنفَضها، فاذا رسول أبي الرمكاء يقول: يقول لك أبو الرمكاء: لا عهدَ لنا بالخبز؛ فقال الرجل: ما فيها فضل، ثم أكل وارتحل، وقال:

بات أبو الرمكاء لم يَسْقِ ضيفَه * من المَحْض ما يَطْوِى عليه فيَرْقُدُ
فقمتُ الى حسّانةٍ فوق أختها * ونارٍ وباتتْ وهي تورَى وتوقد
فلما نفضتُ الخبزَ بالعودِ أقبلت * رسائل تشكو(٣) الجوع والحيُّ سُهَّدُ
وقال أبو الرمكاء بالخبز عهدُه * قديمٌ له حولٌ كَرِيبٌ(٤) مُطَرَّد
فقلت ألَا لافضلَ فيها لناحلٍ * ولا مَطْمعٌ حتى يلوح لنا الغَدُ
فباتَ أبو الرمكاء من فَرْطِ ريحها * يَئِنُّ كما أنَّ السليمُ المُسَهَّدُ

ذكر أعرابيّ قوما فقال: ألقَوْا من الصلاة الأذانَ، مخافة أن تسمعه الآذان، فيَدُلّ عليهم الضِّيفان.

وقال بعضهم في ذلك:

أقامُوا الدَّيدَبانَ على يَفَاعٍ * وقالوا لا تَنَمْ للدَّيدَبانِ
وإنْ أبصرتَ شخصًا من بعيدٍ * فصفِّقْ بالبنان على البنانِ
تراهم خشيةَ الأضيافِ خُرْسًا * يُصَلُّون الصلاةَ بلا أذانِ

---

(١) العكم: ما يبسط من الثياب ويجعل فيه المتاع. (٢) في الأصل: «قال».
(٣) في الأصل: «تشكى». (٤) كريب: مكروب اشتد عليه الغم.

وقال زياد الأعجم :

وتَكْعَمُ(١) كلبَ الحيّ من خَشْيةِ القِرَى * وقِـدْرُكَ(٢) كالعَذْراء من دونهـا سِتْرُ

وقال آخر :

وإنّى لأجفو الضيفَ من غير عُسْرةٍ * مخـافةَ أن يَضْرَى(٣) بنـا فيعودُ

وقال آخر :

أعددتُ للضِّيفان كلبا ضارياً * عندى وفضلَ هِرَاوةٍ من أرْزَنِ(٤)

ومَعَاذِرًا كَذِبًا ووجهًا باسرًا * مُتَشكِّيًا عضَّ الزمانِ الألْزَنِ(٥)

رأى رجلٌ الحُطَيْئةَ وبيده عصا، فقال : ما هذه ؟ قال : عَجْراء من سَلَمٍ، قال : إنى ضيف، قال : للضِّيفان أعددتُها .

وقال آخر(٦) :

وأُبغِضُ(٧) الضيفَ ما بى جُلُّ مأكلِه * إلّا تَنَفُّخَه حـولى إذا قَعَـدَا

ما زال ينفُـخ جنبيه(٨) وحَبْـوتَه * حتى أقولَ لعلّ الضـيفَ قد وَلَدَا

وقال حُمَيْدٌ الأرقطُ يذكر ضيفًا :

إذا ما أتانا واردُ المصرِ مُرمِلًا(٩) * تأوّبَ(١٠) نارِى أصفرُ(١١) العقل قافلُ(١٢)

فقلتُ لعبـدىّ آعجَلَا بعَشَـائه * وخيرُ عَشاء الضيفِ ما هو عاجلُ

(١) كعم الكلب : شدّ فاه بالكعام لئلا ينبح فينبه الأضياف . (٢) فى اللسان : «ودارك» .
(٣) يضرى بنا : يولع بنا ويعتاد . (٤) الأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصىّ . (٥) الزمان الألزن : الشديد الكلب . (٦) هو حميد الأرقط كما فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) . (٧) رواه فى العقـد : «لا أبغض» . (٨) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصـل «ينفح كتفيه» .
(٩) المرمل : الذى نفد زاده . (١٠) تأوّب : جاء أوّل الليل ويقال : تأوّبه وتأيبه على المعاقبة اذا أتاه ليلا . (١١) كذا فى الأصل . (١٢) القافل : اليابس الجلد وقيل : اليابس اليد .

فقال وقد ألقى المَرَاسِيَ للقِرَى * أبِنْ لِي ما ٱلحجّاج بالناس فاعل

فقلت لَعَمْرِي ما لهذا طَرَقتنا * فكُلْ ودَعِ الأخبارَ ما أنتَ آكلُ

تُجَهِّز كفّاهُ فيحْــدُرُ حَلْقُه * إلى الزَّورِ ما ضمّتْ عليه[1] الأناملُ

أتانا ولم يَعْــدِلْه سَحْبانُ[2] وائلٍ * بيانًا وعلمًــا بالذى هو قائــلُ

فــا زال منــه اللَّقْمُ حتى كأنه * من العِيّ لــا أن تكلّمَ باقــلُ[3]

وقال أيضا فى نحو ذلك :

ومُرمِلين[4] على الأقتـاب بزّهم * حقـائب وعبـاءٌ فيـه بعرينُ

مقدّمين أنوقًا فى عصائبهم * مُجنَّاءَ ألا جُدِعتْ تلك العرانينُ

يُسَطِّرون لنا الأخبارَ إذ نزلوا * وكلُّ ما ســطّروا لِلّقم تمكينُ

باتوا وجُلّتنــا الصهبــاءُ[5] بينهمُ * كأنّ أظفارَهم فيهــا سكاكينُ

فأصبحوا والنّوَى عالى مُعَرَّسِهِم[6] * وليس كُلُّ النوى تُلقِى المساكينُ

(١) فى الأصل : «إليه» ، وورد هذا البيت فى اللسان مادة «بقل» :

تدبل كفاه ويحـــدر حلقه * الى البطن ما ضمت عليه الأنامل

وقال : التدبيل : تعظيم اللقمة عند الأكل. (٢) سحبان : اسم رجل من ربيعة من بنى بكر بن وائل ، كان لسنا بليغا يضرب به المثل فى البيان والفصاحة . (٣) باقل : اسم رجل من ربيعة يضرب به المثل فى العىّ . قال الليث : بلغ من عىّ باقل أنه كان اشترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فقيل له : بكم اشتريت الظبى ؟ ففتح كفيه وفرّق أصابعه وأخرج لسانه — يشير بذلك الى أحد عشر — فانفلت الظبى وذهب ؛ فضربوا به المثل فى العىّ . (٤) كذا بالأصل . (٥) كذا فى كتاب سيبويه (ج ١ ص ٣٥ طبع بولاق) . والجلة : قفة التمر تتخذ من سعف النخل وليفه ، فلذلك وصفها بالصهبة . وفى الأصل : «باتوا وجلتنا السهرين بينهم» . ولعله محرّف عن : * باتوا وجلتنا السهريز بينهم * والسهريز (بالسين المهملة والشين المعجمة) : ضرب من التمر . (٦) يعنى لما أصبحوا ظهر على معرسهم — وهو موضع نزولهم آخر الليل — نوى التمر وعلاه لكثرته ، على أنهم لحاجتهم لم يلقوا الا بعضه ؛ وهذا إشارة الى كثرة ما قدّمه لهم منه وكثرة أكلهم له .

وقال أيضا فى نحو ذلك :

وعاوٍ عوَى والليـلُ مُستحلِسُ النَّدَى * وقـــد صَحَعتْ للغَورِ تاليــةُ النجم (١)
فسلَّمَ تســليمَ الصَّــديقِ ولم يكنْ * صــديقًا لنـا إلا ليــأْنَسَ باللَّقِم (٢)
فقلت له والنــارُ تأخذ صــدرَه * لَقِمتَ لِسَمْتٍ أم سَرَيْتَ على عــلِم (٣)

وقال بعض الرُّجّاز :

تَرَّحَ بالعيس خَطّابُ الكُثَبْ (٤) * يقــول إنى حاطبٌ وقــد كَذَبْ
* وإنمـا يطلبُ عُسًّا من حَلَبْ *

وقال آخر :

إنى لمثلكمُ من ســـوء فعلكمُ * إن زرتُكم أبدًا إلَّا معى زادِى

وقال حمّاد عَجْرَد :

حُرَيْثٌ أبو الصَّلت ذُو خِبرةٍ * بمـا يُصلِحُ المِعْدَةَ الفاســدهْ
تخــوَّفَ تُخْمَــةَ أضــيافِه * فعـوَّدهم أكلةً واحــدهْ

عن قَتَـادة قال : قال زيادٌ لغَيلان بن خَرَشَــة : أُحِبُّ أن تُحدِّثنى عن العرب وجُهْدِها وضَنْكِ عيشِها، لِنَحْمَدَ الله على النِّعمة التى أصبحنا بها؛ فقال غَيْلان : حدّثنى

(١) مستحلس الندى متراكبه يعلو بعضه بعضا لكثرته . وصحعت للغور : مالت للغيب . وتالية النجم : إحدى تاليات النجوم وهى أواخرها . (٢) فى الأصل «ليأيس» وما أثبتناه هو المناسب للسياق . (٣) السمت : السير على الطريق بالظن، وقيل هو السير بالحدس والظن على غير طريق . (٤) خطاب : كثير التصرف فى الحطبة . والكثب : جمع كثبة (بالضم)، والكثبة من الماء واللبن : القليل منه؛ يعنى أن الرجل يجىء بعلة الخطبة وإنما يريد القرى . قال ابن الأعرابى : يقال للرجل إذا جاء يطلب القرى بعلة الخطبة : إنه ليخطب كثبة . وفى الأصل «حطاب» بالحاء المهملة وهو تحريف . والعس (بالضم) : القدح الكبير، وفى الأصل . «وقبا من حلب» وهو تحريف (انظر اللسان مادتى خطب وكثب) .

عمّي قال : توالتْ على العرب سِنُونَ تسعٌ في الجاهليّة حَطَمتْ كلّ شيء، فخرجتُ على بَكْرٍ لي في العرب. فمكثتُ سبعًا لا أطعَمُ شيئا إلا ما ينــال منه بعيري أو من حَشَراتِ الأرض، حتى دَفَعتُ في اليوم السابع إلى حِواءٍ(١) عظيم، فإذا بيتٌ جُحِش(٢) عن الحيّ، فملتُ إليه فخرجتْ إليّ امرأة طُوالة حُسّانة(٣)، فقالت: من؟ قلت: طارق ليل يلتمس القِرى، فقالت: لو كان عندنا شيء لآثرناك به، والدّالّ على الخير كفاعله، حِسّ(٤) هذه البيوتَ ثم انظُرْ إلى أعظمِها، فإن يك في شيءٍ منها خيرٌ ففيه، ففعلتُ حتى دَفَعْتُ إليه، فرحّب بي صاحبُه وقال: من؟ قلتُ: طارقُ ليلٍ يلتمسُ القِرَى، فقال: يافلانُ، فأجابه، فقال : هل عندك طعامٌ ؟ فقال لا ؛ فوالله ما وَقَر في أذني شيء كان أشدّ منه . قال : فهل عندك شراب؟ قال لا، ثم تأوّه فقال : بلى ! قد بقّينــا في ضَرْع الفلانة(٥) شيئا لطارقٍ إن طَرَقك، قال: فأت به، فأتى العَطَن(٦) فابتعثها . فحدّثني عمّي أنه شهد فتح أصبهان وتُسْتَر ومِهرَجان وكُوَرَ الأهــواز وفارسَ وجاهه عنــد السلطان وكثرة ماله وولده، قال : فمــا سمعتُ شيئا قطُّ كان أشدّ من شَخْب تيكَ الناقة في تلك العُلْبة؛ حتى إذا ملأها [و] فاضت من جوانبها وآرتفعت عليها شمكرةٌ(٧) كجُمّةِ الشيخ، أقبل بها يَهْوِي نحوي، فعثَر بعود أو حجر، فسقطتِ العُلبة من يده، فحدّثني

(١) الحواء (بالحاء المهملة) : مجتمع البيوت . (٢) جحش : نحى وأبعد عن البيوت .

(٣) طوالة (بالضم) : طويلة القامة . وحسانة (بالضم وتشديد السين) : حسناء الصورة ، وهما وصفان تمدح بهما المرأة . (٤) حس هذه البيوت : تعرّف أحوالها .

(٥) فلان وفلانة بغير الألف واللام كناية عن أسماء الآدميين ، والفلان والفلانة بالتعريف بهما كناية عن غير الآدميين ، تقول العرب : ركبت الفلان وحلبت الفلانة . وفي الأصل : «الفلانية» بزيادة ياء النسبة . (٦) قال الليث : عطن الإبل ومعطنها : مباحها حول وردها ، فأما في مكان آخر فمراح ومأوى . (٧) كذا بالأصل ، ولم نوفق الى تحقيقها ، وسياق الكلام يقضي أن يكون هنا ما يدل على الرغوة التي تعلو اللبن وقت حلبه .

أنه أُصيب بأبيه وأمّه وولده وأهل بيته فما أُصيب بمصيبة أعظمَ من ذهاب العُلْبة. فلمـا رأى ذلك ربُّ البيت خرج شاهرًا سيفه فبعَث الإبلَ ثم نظر الى أعظمهـا سَنامًا ودفع إليه مُدْيةً وقال: يا عبـد الله آصْطَلِ وآحتمِلْ . قال: فجعلت أهوِى بالبَضْعة إلى النار فإذا بلغتْ إناها[1] أكلتُها، ثم مسحتُ ما فى يدى من إهالتها على جلدى وقد كان قَحَلَ[2] على عظمى حتى كأنه شَنٌّ، ثم شَرِبتُ شَرْبة ماءٍ وخَرَرْتُ مَغْشياً علىّ فما أفقتُ الى السَّحَر . وقطع زيادٌ الحديث وقال : لا عليـك ألّا تخبرنا بأكثر من هذا، فمن المنزولُ به ؟ قلت : أبو علىّ عامرُ بن الطُّفَيْل .

قال بعض الشعراء يهجو قوما :

وتراهمُ قبل الغداء لضَيفهم * يتخلّلون صُــبابةً للزّاد

وقال آخر[3] :

اِسْـــتَبْقِ وُدَّ أبى المُقَـا * تِلِ حين تأكل من طَعَامِهْ
سِيَّانِ كَسْرُ رغيفِــه * أو كسرُ عَظْمٍ من عِظَامِهْ
فتراه من خــوف آلنزيـ * ـلِ به يُرَوَّعُ فى منامـــهْ
فإذا مررتَ ببـابه * فآحفظ رغيفَك من غلامهْ

وقال آخر[4] :

صـــدَّق أليَّتَه إن قال مجتهــدًا * لا والرغيفِ، فذاك البِرُّ من قَسَمِهْ
قد كان يُعْجِبــنى لو أنّ[5] غيرتَه * على جرادِقِه[6] كانت على حُرَمِـــهْ
إن رمتَ[7] قتلته فأفْتِكْ بخُـــبْزَتِه * فإنّ موقعهـا من لحمـــه ودَمِهْ

(١) إناها : نضجها . والاهالة : الشحم المذاب وكل ما اؤتدم به من الأدهان . (٢) قحل (كمنع وعلم وعنى) : يبس . (٣) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣١٨ طبعة أولى) نسب هذا الشعر لدعبل .
(٤) هو أبو تمام، (أنظر ديوانه : باب الهجاء، قافية الميم) . (٥) كذا فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٩) . وفى الأصـل : « لو كان » . (٦) الجراذق : جمع الجرذق بالفتح والذال المعجمة كالجردق بالدال المهملة وكلاهما معناه الرغيف فارسىّ ، معرّب « كرده » بالكاف .
(٧) فى الديوان ونهاية الأرب (٣ ص ٣١٨ طبعة أولى) : « وإن هممت به فافتك بخبزته » .

قلت لرجل كان يأكل مع أبي دُلَف : كيف كان طعامه؟ قال : كان على مائدته رغيفان بينهما نُقْرة جَوْزة، وقال :

أبو دُلَف يُضيِّع ألفَ ألفٍ * ويَضرِب بالحُسَام على الرغيفِ
أبــو دلفٍ لمطبخِه قُتَارٌ(١) * ولكن دونَه ضربُ السيوف

وقال أبو الشَّمَقْمَق(٢) :

رأيت الخــبز عزّ لديك حتى * حسِبت الخبز في جوّ السحابِ
وما روّحتنــا لِتــذُبّ عنــا * ولكن خِفتَ مَرْزِئةَ الذُّباب

وقال دِعبِل :

إنّ مَنْ ضنّ بالكَنيف على الضيـ * ـفِ بغير الكنيف كيف يجودُ !
ما رأينــا ولا سمِعنــا بحُشٍّ(٣) * قبــل هــذا لِبَابِه إقليــدُ
إن يكن في الكنيف شيء تخبّا(٤) * ء فعنــدى إن شئت فيــه مزيدُ

ولهذا الشعر قصة قد ذكرتها في باب الشعراء(٥) .

قال أبو محمد : شُوِى لجعفر بن سليمان(٦) الهاشميّ دَجاجٌ ففُقِدَ فخِـذٌ من دَجاجةٍ، فأمر فنودى في داره : من هذا الذى تعاطى فعقَر ! والله لا أخبز في هــذا التنّورِ شهرا أو يُرَدّ ! فقال ٱبنُه الأكبر : أتؤاخذنا بمــا فعل السفهاء منا ! .

(١) القتار : الدخان . (٢) أبو الشمقمق هو مروان بن محمد الشاعر، قال هذا الشعر يعيب به طعام جعفر بن أبي زهير وكان ضيفا عنده . انظر كتاب البخلاء للجاحظ (طبع أوربا ص ٧٧) .
(٣) الحش (بتثليث الحاء) : البستان ويكنى به عن بيت الخلاء لما كان من عاداتهم التغوّط في البساتين، والجمع حشان . والاقليد : المفتاح . (٤) كذا في الأصل والشعر والشعراء (ص ٥٤١ طبع أوروبا)، ولعله : «تخبيه» . (٥) ذكر المؤلف هذه القصة في كتابه الشعر والشعراء وهي أن دعبلا كان ضيفا لرجل فقام لحاجته فوجد باب الكنيف مغلقا فلم يتهيأ فتحه حتى أعجله الأمر .
(٦) كذا في غرر الخصائص (ص ٢٩٨ طبع بولاق) وفيما سيأتي قريبا وهو الصواب، لأنه هو المعروف بالبخل . وفي الأصل : «أبو جعفر» .

قال بعض الشعراء[١] :

يا تاركَ البيت علی الضيف * وهاربًا منه من الخوف
ضيفك قد جاء بخبزٍ[٢] له * فارجع فكن ضيفا علی الضيف

وقال أبو نواس[٣] :

خبزُ إسماعيلَ كالوَشْ * ىِ إذا ما شُقَّ رُفّا
عجبًا من أثر الصنـ * ـعة فيه كيف يَخفَى
إن رَفّاءك هذا * أحذقُ الأمة كفّا
فإذا قابل بالنصـ * ـف من الجَرْدَقِ نصفًا
مثل ما جاء من التنّـ * ـور ما غادر حرفًا
أحكم الصنعةَ حتى * لا يُرَى موضعُ إشفَى[٣]
وله في الماء أيضا * عملٌ أبدع طَرْفًا
مزجُه العذبَ بماءِ الـ * ـبئر كي يزدادَ ضِعْفًا
فهو لا يشرَبُ منه * مثل ما يشرب صِرفًا[٤]

---

(١) قال هذا الشعر رجل من اليمامة في مروان بن أبي حفصة الشاعر، وكان قد نزل عليه ضيفا، فأخلى مروان له المنزل وهرب منه مخافة أن يلزمه قراه في هذه الليلة، فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه بهذا الشعر. انظر المستطرف للابشيهي (ج ١ ص ٢٠٦) (٢) كذا في العقد والمستطرف، وفي الأصل "ضيفن" بالنون.

(٣) قال هذا الشعر في اسماعيل بن نوبخت بعد أن نصب اسماعيل في صحن داره طارمة (بيت من خشب كالقبة، معرب) واصطبح فيها أربعين يوما ومعه جماعة منهم أبو نواس، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم، ثم قال أبو نواس بعد ذلك هذا الشعر. (٤) انظر هذه الأبيات مع التعليق عليها في (ج ٢ ص ٣٧) من هذا الكتاب.

عن عبد العزيز بن عمران قال : نزلتُ بِبنتِ [ابن] هَرْمة فقلت : اُنحروا لنا جَزُورا ، قالت : والله ما هى عندنا ، قلت : فبقرة ، قالت لا ، قلت : فشاة ، قالت لا ، قلت : فدجاجة ، قالت لا ، قلت : فأين قول أبيك :

لا أُمتِعُ العُوذَ(١) بالفِصَال ولا * أبتـاعُ إلا قريبةَ الأجـلِ

قالت : ذاك أفناها . فبلغ ابنَ هَرْمة ما قالت ، قال : أشهدُ أنها ابنتى ، وأشهدُ أن دارى لها دون الذكور من أولادى .

قال ابن أبى فَنَن :

لا أشتُمُ الضيفَ ولكنّى * أدعوه بالقُرب من طَوْقِ

بقُرْبِ مَنْ إن زاره زائرٌ * مات الى الخبز من الشوقِ

دخل على ابنٍ لرجلٍ من الأشراف داخلٌ وبين يديه فَرَاريجُ ، فغطّى الطبقَ بمنديله وأدخلَ رأسَه فى جيبه وقال للداخل عليه : كن فى الحجرة الأخرى حتى أفرُغَ من بَخُورى .

وفيما أجاز لنا عمرو بن بحرٍ من كتبه قال : دخل رجل على رجلٍ قد تغدّى مع قومٍ ولم تُرفَعِ المائدةُ قال لهم : كُلوا وأجهزوا(٢) على الجرحى . يريد : كلوا ما كُسِر ونِيل منه ولا تعرِضوا الى الصحيح .

---

(١) العوذ : الحديثات النتاج من الظباء والإبل والخيل ، واحدتها عائذ مثل حائل وحول . والفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة اذا فصل عن أمه . يريد أنه لكرمه لا يمتع العوذ أولادها بل يذبحها لضيوفه الكثيرين . وفى الأصل وردت هذه الجملة هكذا « لا أمنع العوذ بالفصال » وهو تحريف . والتصحيح عن أمالى القالى (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) فى الأصل : « وأجيزوا » وهو تحريف وما أثبتناه عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) . وقد وردت هذه الحكاية فيه بأوضح مما هنا . ونصها « قال : ودخلت عليه (يريد عبد الله بن يحيى بن خالد بن أمية) يوما والمائدة موضوعة والقوم يأكلون وقد رفع بعضهم يده فمددت يدى لآكل فقال أجهز على الجرحى ولا تتعرض للأصحاء » .

قال : وقال لقوم يؤاكلونه : يزعمون أن خبزى صغار! أى ّ ابن زانية يأكل من هذا رغيفين! . قال : ويقول لزائره إذا أطال عنده المكث : تغدّيتَ اليوم ؟ فإن قال نعم، قال: لولا أنك تغدّيتَ لغدّيتُك بطعامٍ طيّبٍ. وإن قال لا، قال : لو كنت تغدّيتَ لسقيتُك خمسةَ أقداح . فلا يكون له على الوجهين لا قليلٌ ولا كثير .

وحُكى عن أبى نُوَاس أنه قال : قلت لرجلٍ من أهل خراسـان(١) : لِمَ تأكل وحدَك ؟ قال : ليس علىّ فى هـذا الموضع سؤال(٢)، إنما السـؤال على من أكل مع الجماعة، لأن ذاك تكلُّف وأكلى وحدى هو الأكل الأصلىّ .

وكنّا عند داود بن أبى داود بواسط أيام ولايته كَسْكَر(٣)، فأتته من البصرة هدايا، وكان فيها زِقاقُ دُوشاب(٤)، فقسمها بيننا، فكلّنا أخذ ما أُعطى، غيرَ الحِزامىّ. فأنكرنا ذلك وقلنا : إنما يجزَع الحِزامىّ من الإعطاء وهو عدوه، فأما الأخذ فهو ضالّته وأُمنيّته ؛ فإنه لو أُعطِىَ أفاعىَ سجِسْتَانَ، وثعابينَ مصر، وجَرّاراتِ الأهواز(٥) لأخذها، إذ كان اسم الأخذ واقعا عليها ؛ فسألناه عن سبب ذلك، فتعسّر قليلا ثم باح بسرّه وقال : وَضِيعته(٦) أضعافُ ربحه، وأخذُه من أسباب الإدبار؛ قلت : أوّلُ وضائعه احتمالُ ثِقَل السُّكْر؛ قال :

---

(١) كذا فى البخلاء. وفى الأصل : «منهم» انظر هذه الحكاية فيه ص ٢٦ . (٢) كذا فى البخلاء (ص ٢٦) . وفى الأصل : «س» . (٣) كسكر : كورة من كور بغداد وقصبتها واسط، وهى مشهورة بالمزارع الكسكرية. (٤) كذا فى الأصل، والدوشاب : نبيذ التمر معرّب، قال ابن المعتز :

لا تخلط الدوشاب فى قدح * بصـفاء ماء طيب الــبرد

وقال ابن الرومى :

علّى أحدٌ من الدوشاب * شربة بعضت قناع الشباب

وفى كتاب البخلاء أنها زقاق دبس، والدبس : عسـل التمر وعصارته من غير طبخ . وقال السمعانى : إنه الدبس بالعربية (انظر شفاء الغليل للخفاجى) . (٥) جرارات الأهواز : عقارب بها القتالة .

(٦) وضيعته : خسارته وغرمه .

هذا لم يخطُر ببالى قطّ، ولكن أوّل ذاك كِرَاء الحمّال، فإذا صار الى المنزل صار سببا لطلب العَصيدة والأرُزّة والستندفود[1]، فإن بعتُه فِرارًا من هذا البلاء صيّرتمونى شُهرة[2]، وإن أنا حبّسته ذهَب فى العَصائد وأشباهها، وجذَب ذلك شِراءَ السَّمْنِ، ثم جذَب السمنُ غيرَه، وصار هذا الدّوشاب علينا أضرَّ من العيال؛ وإن أنا جعلتُه نبيذًا احتجتُ الى كِراء القُدُور وإلى شِراء الحُبّ[3] والى شراء المـاء والى كِرَاء من يُوقِد تحتــه؛ فإن ولّيتُ ذلك الخادمَ اسـودّ ثوبُها وغرّمتنا ثمنَ الأُشْنان[4] والصابون، وازدادتْ فى الطُّعم على قَدْرِ الزيادة فى العمل؛ فإن فسَـد ذهبت النفقـةُ باطلا ولم نَستخلِف[5] منها عِوضا بوجه من الوجوه، لأن خلّ الدّاذِىّ[6] يخضب اللحمَ ويغيّر الطُّعم ويسوّد المرَقة ولا يصلُح [إلا][7] للاصطباغ[8]. وإن سلِم ــ وأعوذ بالله ــ وجاد وصفا لم نجد بُدًّا من شربه ولم تَطِب أنفُسنا بتركه؛ فإن قعدتُ فى البيت أشربه لم يُمكن ذلك إلا بترك

---

(١) كذا فى الأصل، وفى البخلاء (ص ٦٧) : « البستندود » ولم نوفق الى معرفتــه .

(٢) الشهرة : ظهور الشىء فى شنعة . (٣) الحب بالضم : الجرة . (٤) الأشنان : الحمض الذى تغسل به الأيدى . (٥) كذا فى البخلاء ، وفى الأصل : « ولم يخلف منها بوجه من الوجوه » . (٦) فى القاموس وشرحه (مادة «دوذ» بمهملة فمعجمة) : الداذى : شراب الفساق وهو الخمر ، وهو على صيغة المنسوب وليس بمنسب . ثم قال فى مادة « ذوذ » بمعجمتين : والذاذى : نبت له عنقود مستطيل وحبه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل فى الفرق (مكيال) فتعبق رائحته ويجود إسكاره ، قال الشاعر :

شربنا من الداذىّ حتى كأننا * ملوك لنا بر العـراقين والبحر
فلمـا انجلت شمس النهار رأيتنا * تولى الغنى عنـا وعاودنا الفقر

ثم قال شارح القاموس : «ولذا حكم الحذاق باتحاده مع الذى قبله ، وكلاهما غير عربى ولا معروف» . واقتصر فى اللسان على «الداذى» بمهملة فمعجمة وذكر البيت . (٧) التكملة عن البخلاء .

(٨) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : « للاصطناع » .

سُلَافَ الفارسىّ المُعَسّل، والدّجاج المُسَمّن، وجداء كَسْكَرَ(١) وفاكهة الجبل والنُّقْل الهَشّ والرّيحان الغَضّ، عند من لا يَبِيص مالُه، ولا تنقطع مادّتُه، وعند من لا يُبالى على أىّ قُطْرَيه(٢) سقط، مع فوت(٣) الحديث المُؤْنِس والسّماع الحسن؛ وعلى أنى إن جلستُ فى البيت أشربه لم يكن بُدٌّ من واحد، وذلك الواحدُ لا بُدّ له من لحم بدرهم، ونَقْلٍ بطَسُّوح(٤)، وريحانٍ بقيراط، ومن أبزارٍ للقِدْر وحَطَبٍ للوقود؛ وهذا كله غُرْم وشؤم وحِرمان وحُرفة(٥) وخروج من العادة الحسنة. فإن كان النديمُ غيرَ موافقٍ فأهلُ السجن أحسنُ حالًا منى، وإن كان موافقا فقد فتح اللهُ على مالى به بابا من التَّلَف، لأنه حينئذ يسير فى مالى كَسَيْرِى فى مال غيرى ممّن هو فوقى. فإذا عَلِم الصديقُ أن عندى دَاذِيًا(٦) أو نبيذًا دقّ علىّ البابَ دقّ المُدِلّ، فإن حَجَبناه فَبلاء، وإن أدخلناه فشقاء. وإن بدا لى فى استحسان حديث الناس كما يَستحسنه [منى](٧) مَن أكون عنده، فقد شاركتُ المُسْرِفين، وفارقت إخوانى الصالحين، وصِرتُ من إخوان الشياطين؛ واللهُ تقدّستْ أسماؤه يقول: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾؛ فاذا صِرتُ كذلك فقد ذهب كسبى من مالِ غيرى، وصار غيرى يكتسب منّى؛ وأنا لو ابتُلِيتُ بأحدهما لم أقُم به فكيف اذا ابتُليتُ بأن أُعطِى ولا آخذ، وبأن أُؤكِّل ولا آكُل! أعوذ بالله من الخِذلان بعد العِصْمة، ومن الحَوْر(٨) بعد الكَوْر؛ ولو كان هذا فى الحداثة كان أهون(٩). هذا

(١) كسكر: تقدم فى تعريفها فى صفحة ٢٥٠ من هذا الجزء، أنها مشهورة بالفراريج الكسكرية، ولعلها مشهورة أيضا بجدائها. (٢) القطر: الناحية. (٣) كذا فى الصلاء. وفى الأصل: «قرب». (٤) الطسوح: ربع الدانق. انظر الكلام عليه فى الحاشية رقم ... ص ... من هذا الجزء. (٥) الحرفة: الحرمان. (٦) كذا فى الصلاء. وفى الأصل: «راسا». (٧) التكملة عن الصلاء. (٨) الحور: النقصان. والكور: الزيادة ومنه الحديث: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور». (٩) كذا فى الصلاء. وفى الأصل: «أحسن».

الدُّوشاب دسِيسٌ من الحُرفة، وكيدٌ من الشيطان، وخُدعةٌ من الحسود، وهو الحلاوة التى تُعقب المرارةَ . ما أخوَفنى أن يكون أبو سليمان قد ملّنى فهو يحتال لى الحِيلَ !

وحُكِى عن الحارثىّ أنه قال : الوَحْدة خيرٌ من جليس السوء، وجليسُ السوء خير من أكِيل السوء؛ لأن كل أكِيلٍ جليس وليس كل جليس أكِيلا؛ فإن كان لا بدّ من المُؤاكلة ولا بدّ من المشاركة فمع من لا يستأثر علىّ بالمخ، ولا ينتهز بيضة البقيلة (١)؛ ولا يلتقم كَبِدَ الدجاج، ولا يُبادر إلى دماغ السُّلاءة (٢)، ولا يختطف كُلْيَة الجَدْى، ولا يَزْدَرِد قانِصة الكُرْكىّ (٣)، ولا ينتزع شاكِلة الحَمَل (٤)، ولا يبتلع سُرّة السمك، ولا يَعْرِض لعيون الرءوس، ولا يستولى على صدور الدُّرّاج (٥)، ولا يسابق إلى أسْقَاط الفِراخ، ولا يتناول إلا [ما] (٦) بين يديه، ولا يلاحظ ما بين يدى غيره، ولا يمتحن الإخوانَ بالأمور الثمينة، ولا ينتهك أستارَ الناس بأن يشتهىَ ما عسى ألّا يكون موجودا؛ فكيف تصلُح الدنيا ويطيب العيشُ بمن اذا رأى جَزُورِيّة (٧) التقط الأكبادَ والأسْنِمة، وإذا عاين بَقَرِيّة استولى على العِراق (٨) والقِطْنة (٩)، وإن عاين بطنَ

---

(١) كذا فى البخلاء، وقد أوردها المحبّى فى كتابه « ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه » فقال : « بيضة البقيلة تذكر فى عيون الأطعمة ولا تستحسن المبادرة اليها » . وفى الأصل : « البيضة المقلية » .

(٢) السلاءة : واحدة السلاء، وهو ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين .

(٣) الكركى : طائر يقرب من الإوز أبتر الذنب رمادى اللون فى خده لمعات سود يأوى الى الماء أحيانا .

(٤) الشاكلة : الخاصرة .

(٥) الدرّاج كرمان : طائر حبيل المطر ملوّن الريش، يطلق على الذكر والأنثى .

(٦) التكملة عن البخلاء .

(٧) كذا فى البخلاء، ويظهر أنها ضرب من الطعام ينسب الى الجزور وهو واحد الإبل يقع على الذكر والأنثى . وفى الأصل : « جررية » والجررة : الشاة السمينة أو ما يذبح من الشاء، وذكر الأسنمة فى الكلام يأباها .

(٨) العراق : ما دون السرة من الحشا معترضا بالبطن .

(٩) القطنة : مثل الرمانة تكون على الكرش وهى ذات الأطباق، والعامة تسميها الرمانة .

سمكةٍ آخترق كلَّ شيء فيه، وإن أتَوا بجنب شِوَاءٍ آكتسح ما عليه، ولا يرحم ذا سِنٍّ لضعفه، ولا يَرِقُّ على حَدَثٍ لِحدّة شهوته، ولا ينظر للعيال. ولا يُبالى كيف دارت الحال. وأشدُّ من كل ما وصفْنا أن الطبّاخ ربمـا أتى باللون الظريف الطّريف، والعادةُ فى مثـل ذلك اللون أن يكون لطيفَ الشخص صغيرَ الحجم، فيقدّمه حارًّا مُمْتنِعًا(١)، وربما كان من جوهرٍ بطيءِ الفُتور(٢)، وأصحابُنا فى سهولة آزْدراد الحارّ عليهم فى طبائع النَّعام، وأنا فى شـدّة الحارّ [علىّ](٣) فى طِباع السِّباع، فإن نظرتُ(٤) الى أن يُمكن أتَوا على آخره، وإن أنا بادرتُ مخافةَ الفَوْت وأردتُ أن أشاركهم(٥) فى بعضه لم آمَن ضررَه، والحارّ ربما قتل وربمـا أعْقم وربما أبال الدم. قال: وعُوتِب على تركه إطعامَ الناس معه وهو يتّخذ فيُكثِر، فقال: أنتم لهذا أترك منى، فإن زعمتم أنى أكثرُ مالا وأعدُّ عُدّةً، فليس بين حالى وحالكم من التفاوت أن أُطعِم أبدا وتأكلوا أبدا، فإذا أتيتُم من أموالكم من البَذْل على قدر احتمالكم، علمتُ أنكم الخيرَ أردتم، والى تزيينى(٦) ذهبتم، وإلا فإنكم إنمـا تحلبُون حَلْبًا لكم شَطْرُه.

قال: كان أبو ثُمامة(٧) أفطر ناسًا وفتح(٨) بابَه فكثُر عليـه الناسُ، فقال: إن الله لا يَستحى من الحق، وكلُّكم واجبُ الحق، ولو استطعنا أن نعمّكم بالبِرّ كنتم فيـه سـواءً ولم يكن بعضكم أولى به من بعض؛ كذلك أنتم اذا عجَزنا أو بدا لنا، فليس بعضُكم أحقَّ بالحِرمان والاعتذار اليه من بعض، ومتى قرّبتُ بعضَكم وفتحتُ بابى لهم وباعدتُ الآخرين، لم يكن فى إدخال البعض عذرٌ، ولا فى منع الآخرين حُجّة؛ فآنصرَفوا ولم يعودوا.

---

(١) كذا فى البخلاء. وفى الأصل: «ممتنا» وهو تحريف. (٢) كذا فى البخلاء، وفى الأصل: «فى». (٣) التكملة عن البخلاء. (٤) نظرت: انتظرت. (٥) كذا فى البخلاء، وفى الأصـل: «أشاركه». (٦) كذا فى الأصل، وفى البخلاء: «والى تزيينى». (٧) فى كتاب البخلاء (ص ٢١٥): «ثمامة». (٨) فى الأصل: «ويفتح».

قال : وكان محمد بن أبي المؤمّل يقول : قاتل الله رجالًا كنّا نؤاكلهم، ما رأيتُ قَصعةً رُفعت من بين أيديهم إلا وفيها فضلٌ، وكانوا يعلمون أن إحضارَ الجَدْي إنما هو شيء من آيين[1] الموائد الرّفيعة، وإنما جعل كالقافية[2] وكالخاتمة وكالعلامة لليسر[3] والفراغ، ولم يُحضَر للتفريق والتخريب، وأن أهلَه لو أرادوا به سوءا لقدّموه لتقع الحِذْقة به؛ ولذلك قال أبو الحارث جُمَّيز[4] حين رآه لا يُمَسّ : هذا المدفوعُ عنه.

ولقد كانوا يتحامَوْن بيضةَ البقيلة، ويدَعُها كلٌّ واحد لصاحبه، وأنتَ اليوم اذا أردت أن تُمتّعَ عينيك بنظرة واحدة منها ومن بيضة السَّلاّءة[5] لم تَقْدِر على ذلك.

وكان يقول : الآدام أعداءُ الخبز، وأعداها له المالح؛ فلولا أن الله أعان عليها بالماء وطلبِ آكِله له لأتى على الحرْث والنّسل.

وكان يقول[6]: ما بال الرجلِ اذا قال: اَسْقِني ماءً أتاه بقُلّة على قدر الرِّيّ أو أصغر، وإذا قال : أطْعِمْني شيئا أو هات لفلان طعاما، أتاه من الخبز بما يَفضُل عن

(١) كذا في البخلاء، والآيين : العادة، وأصل معناه السياسة المسيّرة بين فرقة عظيمة، أعجمي عرّبه المولدون، قال مهيار في قصيدة له :

يجمع الحزبيت حولا أمره * وهو لم يأخذ لها آيينها

(راجع شفاء الغليل) وفي الأصل : «آس الموائد». (٢) في البخلاء : «كالعاقبة»

(٣) كذا في البخلاء. وفي الأصل : «كالعلاوة للشر» وهو تحريف. (٤) في الأصل والبخلاء : «جمين» بالنون في آخره. وورد في القاموس وشرحه في مادة (ج م ن) : «وأبو الحارث جمين كقبيط المدني، هكذا ضبطه المحدثون بالنون، وهو صاحب النوادر والمزاح، والصواب بالزاي المعجمة في آخره، أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا * قد أوتي الحكمة والميزا

وقد أهمله المصنف (مؤلف القاموس) في حرف الزاي ونبهنا عليه هناك» اهـ. ولذا رجحنا ذكره بالزاي المعجمة في جميع المواضع التي ورد فيها. (٥) تقدّم تفسيرها قريبا. (٦) كذا في البخلاء، وفي الأصل : «وكان يقال».

الجماعة، والطعامُ والشرابُ أخوان . أمَا إنه لولا رُخْص الماء وغلاء الخبز لما كَلِبوا على الخبز وزَهِدوا فى الماء؛ والناسُ أشدَ شيء تعظيما للمأكول إذا كثُر ثمنُه وكان قليلا فى مَنْبِته وعُنْصره . هذا الجَزَر الصافى والباقلاء(١) الأخضر أطيب من كُمَّثرى خُرَاسانَ والمَوْز البُستانى، وهذا الباذِنْجان أطيب من الكَمْأة ، ولكنهم لِقصر هِمَمهم وأذهانهم فى التقليد والعادة لا يشتهون إلا على قدر الثمن .

وكان يقول : لو شرِب الناسُ الماءَ على طعامهم لما اتَّخَموا . وذلك أن الرجل لا يَعرِف مِقدارَ ما أكل حتى ينالَ من الماء شيئا ، لأنه ربما كان شبعان وهو لا يَدرِى . وفى قول الناس : ماءُ دِجلة أمرأ من ماء الفُرات، وماء مِهران(٢) أمرأ من ماء [نهر] بَلْخ(٣)؛ وفى قول العرب : هـذا ماءٌ نَمِيرٌ يَصلُح عليه [المال] دليلٌ على أن الماء يُمْرِئ؛ حتى قالوا : إن الماء الذى يكون عليه النَّفاطات(٤) أمرأ من الماء الذى تكون عليه القيّارات(٤) . فعليكم بشرب الماء على الغداء [فانّ ذلك أمرأ](٥) .

قال وكان الثَّورىّ يقول لعياله : لا تُلقوا نوى التمر والرُّطَب وتعوّدوا ابتلاعَه، فإن النوى يَعْقِد الشحمَ فى البطن، ويُدْفِئُ الكُلْيتينْ بذلك الشحم؛ واعتبروا ذلك ببطون الصَّفَايا(٦) وجميع ما يَعتلِف النَّوى . والله لو حملتم أنفسكم على قضم الشعير واعتلاف القَتّ(٧) لوجدتموها سريعة القَبول ، وقد يأكل الناسُ القَتَّ قَدَّاحا(٨) ،

(١) الباقلاء (بتخفيف اللام ممدودا وتشديدها مقصورا) : الفول الواحدة بهاء أو الواحد والجمع سواء . (٢) مهرانُ : نهرٌ عظيم بقدر دجلة تجرى فيه السفن . (٣) التكملة عن البخلاء (ص ١٠٤) . ونهر بلخ هو جيحون . (٤) كذا بالأصل وكتاب البخلاء . (٥) الزيادة عن كتاب البخلاء . (٦) الصفايا : جمع صفى ، والصفى : الناقة الغزيرة اللبن وكذلك الشاة . (٧) القت : حب برى يأكله أهل البرية عام القحط بعد دقه وطبخه . (٨) قداحا : رطبا قبل أن يجف .

والشعيرَ فريكا، ونوى البُسْر الأخضر، ونوى العَجْوة ؛ وإنما بَقِيتْ عليكم الآن عَقَبة(١)، أنا أقدِر أن أبتلع النوى وأُعلِفه الشاءَ، ولكنى أقول هذا بالنظر لكم .

وكان يقول لهم : كلوا الباقِلّاء بقشوره ، فإن الباقلّاء يقول : من أكلنى بقشورى فقد أكلنى، ومن لم يأكلنى بقشورى فأنا آكلُه؛ فما حاجتكم [إلى] أن تصيروا طَعاما لطعامكم، وأكّالا لما جُعِل أكلا لكم .

قال: وحُمّ هو وعيالُه فلم يقدروا على أكل الخبز، فربح أقواتَهم فى تلك الأيام؛ ففرِح وقال : لو كان فى منزلى سوقُ الأهواز ونَطَاة خَيْبر(٢) رجوتُ أن أستفضل فى كل سنة مائةَ دينار .

قال : ودعا موسى بنُ جَنَاح(٣) جماعةً من جيرانه ليَفْطُروا عنده [فى شهر رمضان]، فلما وُضعت المائدة أقبل عليهم ثم قال لهم : لا تَعْجَلوا ، فانّ العَجَلة من عمل الشيطان . ثم وقف وقفةً ثم قال : وكيف لا تَعْجَلون والله تعالى يقول : ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ . اسمعوا ما أقول لكم ، فإن فيه حسن المُؤاكلة والتبعُّد من الأَثَرة، والعاقبةَ الرشيدة، والسيرةَ المحمودة : اذا مدَّ أحدُكم يدَه ليستقىَ ماءً فامسكوا أيديَكم حتى يَفرُغ ، فإنكم تجمعون عليه خصالاً : منها أنكم تنغِّصون عليه فى شربه ، ومنها أنه إذا أراد اللَّحاق بكم فلعلّه يتسرّع إلى لُقمةٍ حارّة فيموت ، وأدنى ذلك أن تبعثوه على الحِرْص

---

(١) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : « أن أقدر أن أبيع النوى » . (٢) كذا فى البخلاء ، ويريد بسوق الأهواز : كورها وهى كثيرة الحمّى ووجوه أهلها مصفرّة مغبرة . ونطاة خيبر : قصبتها وهى مشهورة بالحمى أيضا . قدم أعرابىّ خيبر فقال :

قلت لحمى خيبر استعدى ❊ هاك عيالى فاجهدى وجدّى

وباكرى بصالب وورد ❊ أعانك الله على ذا الجند

فحمّ ومات وبقى عياله . وفى الأصل : « مظلة خيبر » . (٣) التكملة عن كتاب البخلاء .

وعلى عِظَم اللُّقَم . ولهذا قال بعضهم وقد قيل له : لم تبدأ بأكل اللحم ؟ قال : لأن اللحمَ ظاعنٌ والثريد مقيمٌ . وأنا وإن كان الطعام طعامى فإنى كذلك أفعل؛ فإذا رأيتم فعلى يخالف قولى فلا طاعةَ لى عليكم . قال بعضهم : فربما نَسِى بعضُنا فمدَّ يدَه وصاحبه يشرب، فيقول له : يدَك يا ناسى ، ولولا شىءٌ لقلتُ لك : يا متغافِل .

قال : فأتانا بأَرُزَّةٍ لو شاء أحدُنا أن يَعُدّ حباتها(1) لعدّها، لتفرّقها وقِلّتها، وهى مقدار نصف سُكُرّجة(2) ؛ فوقعتْ فى فمى قطعةٌ، وكنتُ الى جنبه، فسمع صوتا حين مَضَغْتُها، فقال : أجرُشٌ يا أبا كعب .

قال : وكنا نسمع(3) باللئيم الراضع، وهو الذى يرضَع الحَلَب(4) فلا يحلُبه فى الإناء لئلا يُسمع صوتُ الحَلَب — وقال بعضهم : لئلا يضيعَ من اللبن شىءٌ — ثم رأيتُ أبا سعيد المَدائنى قد صنع أعظمَ من ذلك : ارتضع من دَنّ خَلًّا حتى قَنِي ولم يخرج منه شىء .

قال : وكان الكِنْدِىّ لا يزال يقول للساكن من سُكّاننا — [وربما قال](5) للجار — إن فى دارى امرأةً بها حَبَلٌ، والوَحْمَى ربما أسقطتْ من ريح القِدر الطيّبة ، فإذا طبختم فرُدّوا شهوتَها بغَرْفة أو بلَعْقة فإن النفسَ يردّها اليسير ، وإن لم تفعل ذلك وأسقَطتْ فعليك غُرّةٌ(6) : عبدٌ أو أَمَة .

---

(1) فى الأصل : «حبتها» بالإفراد . (2) السكرجة : الصحفة .

(3) فى الأصل : «وكذا نسمع» . (4) الحلب (بالتحريك) : اللبن . (5) التكلة عن كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٣ طبع أوربا) . (6) الغرة : البياض الذى يكون فى وجه الفرس ، والمراد بالغرة هنا العبد الابيض أو الأمة البيضاء . وسمى غرة لبياضه ، فلا يقبل فى الدية عبد أسود ولا جارية سوداء ، وليس ذلك شرطا عند الفقهاء . وإنما الغرة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العبيد والإماء .

وقال بعضهم : نزلنا دارًا بالكِرَاء للكِنْدِىّ على شروط ، فكان فى شَرْطه على السكّان أن يكون له رَوْثُ الدابّة ، وبَعَرُ الشاة ، ونُشَوارُ(١) العلوفة ، وألّا يُخرِجوا عَظْما ولا يُخرِجوا كُناسـة ، وأن يكون له نَوَى التمر ، وقشورُ الرمّان ، والغَرْفة من كل قِدْر تُطبَخ للحُبْلَى فى بيته ؛ وكان فى ذلك يَتَنَزّل(٢) عليهم ، فكانوا لطيبه وإفراط بخله يحتملون ذلك .

وقال دِعْبِل : أقمنا يوما عند سَهْل بن هارون ، فأطلنا الحديث حتى آضـطرّه الجوعُ إلى أن دعا بغَدَائه ، فأُتِى بصَحْفةٍ عُدْمُلِيّة(٣) فيهـا مَرَق لحم ديك عاسٍ(٤) هَرِمٍ ليس قبلها ولا بعـدها غيرُها ، لا تَحُزّ(٥) فيه السكين ، ولا تؤثّر فيه الأضراس ، فآطّلع فى القَصْعة وقلّب بصره فيها ، فأخذ قطعة خبزٍ يابسٍ فقلّب بها جميع ما فى الصحفة ففقد الرأس ، فبقِى مُطرِقًا ساعةً ، ثم رفع رأسه الى الغلام وقال : أين الرأس؟ قال : رميتُ به ؛ قال : ولِمَ ؟ قال : ما ظننتُ أنك تأكله [ولا تسأل عنـه](٦) ! قال : ولأىّ شىءٍ ظننتَ ذلك؟ فوالله إنى لأَمْقُت من يرمِى برِجْله فكيف من يرمى برأسه ! والرأسُ رئيس ، وفيه الحواسّ الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوتُه ما أُريد ، وفيه عُرْفه الذى يُتَبَرّك به ، وفيه عينه التى يُضرب بها المثل فيقال : "شراب كعين الديك"(٧) ، ودِماغه عَجَبٌ لوجع الكُلْية ، ولن ترى عظما قطُّ أهشّ من عظم رأسه ؛ فإن كان من نُبْلِ أنك لا تأكله فإنّ عندنا من يأكله . أو ما علمتَ أنه خير من طَرَف الجَنَاح ومن الساق ومن العنق ! . انظر أين هو . قال : لا والله لا أدرى أين هو ، رميتُ به ؛ قال : لكنى أدرِى أنك رميت به فى بطنك ، والله حَسْبُك .

(١) النشوار : ما يبقى من علف الدابة . (٢) يتنزل عليهم : ينزل عليهم و يطرقهم .
(٣) عدملية : قديمة . (٤) العاسى : الذى أسن حتى جف وصلب .
(٥) لا تحز : لا تقطع . وفى الأصل : « لا تجز » . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) (٧) تقول العرب فى أمثالها : «أصفى من عين الديك» .

وحُكى عن رجل أنه قال : مررت ببعض طُرُقات الكوفة، وإذا رجل يُخاصِم جارًا له، فقلت: ما بالُكما تختصمان؟ فقال [أحدهمـا] (١) : لا والله إلّا أنّ صديقا لى زارنى فآشتهى علىّ رأسا، فاشتريتُه وتغدّينا به وأخذت عظامَه فوضعتُها على باب دارى أتجمّل بها عند جيرانى، فجاء هذا فأخذها وتركها على باب داره يُوهم أنه اشتراه .

قال : وتناول رجل من بين يدى أميرٍ من الأمراء بَيْضةً (٢) وهو معه، فقـال : خذها فإنها بيضة العُقْر (٣)، ولم يأذن له بعد ذلك .

قال : وقُدِّمت مائدة لرجلٍ عليها أرغفة على عدد الرءوس ورغيفٌ زائد يوضع على الصِّحاف، فلما أنفد القوم خبزَهم التفت الى رجلٍ الى جانبه فقال : إكْسِرْ هذا الرغيفَ وفرِّقْه بينهم، فتغافلَ، فأعاد عليه، فقال : يُبْتَلَى على يد غيرى .

قال المدائنىّ : كان للمُغيرة بن عبـد الله الثَّقَفِىّ وهو على الكوفة جَدْىٌ يوضَع على مائدته بعد الطعام لا يَمَسُّه هو ولا غيرُه ، فقدِم أعرابىٌّ يوما فأكل لحمَه وتعرّق (٤) عظامَه، فقال، ياهذا، أتطالب هـذا البائسَ بذَحْلٍ (٥) ؟! هل نطحتْك أُمُّه! قال : وأبيك إنك لَشفيق (٦) عليه ! هل أرضعتْك أُمُّه ! .

قال المدائنى : كان (٧) لزِياد بن عبد الله الحارثىّ جدى لا يَمَسُّه [أحد] (٨)، فعشّى فى شهر رمضان قومًا فيهـم أشعب ، فعرَضَ أشعب يومًا للجـدى من بين القوم،

---

(١) التكملة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) . (٢) جاءت هذه العبارة فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) ضمن الحكاية التى سيرويها المدائنى بعـد عن المغيرة بن عبد الله الثقفى والأعرابى الذى قدم عليه . (٣) بيضة العقر : بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود، يضرب مثلا لمن يصنع الصنيعة ثم لا يعاودها . راجع اللسان مادة «بيض» . (٤) تعرق العظم : أخذ ما عليه من لحم .

(٥) الذحل : الثأر . (٦) فى الأصل : «إنه لشفيق» .

(٧) فى الأصـل : «قال» وكتب فى هامش الأصل الفتوغرافى : «لعله كان» وهو الصواب .

(٨) الزيادة عن كتاب البخلاء (ص ١٦٢ طبع أوربا) .

فقال زياد حين رُفعت المائدة : أمَا لأهل السجن إمامٌ يصلّى بهم ؟ قالوا : لا ؛ قال : فليُصَلِّ بهم أشعب ؛ قال أشعب : أوَ غيرَ ذلك أيها الأمير؟ قال : وما هو؟ قال : لا آكل لحم جدى أبدا .

قال : وكان المغيرة بن عبد الله الثّقفى يأكل وأصحابَه تمرا فانطفأ السراج ، وكانوا يُلقون النَّوَى فى طَسْتٍ، فسُمِع صوتُ نواتين ؛ فقال : من ذا يلعب بالكعبتين[1] ؟

قال الأعشى[2] :

تبيتون فى المشتى مِلاءً بطونكم ، وجاراتكم سُغْبٌ يبِتْنَ خمائصا

وقال آخر[3] :

وضيف عمرٍو وعمرٌو ساهران معا * فذاك من كِظّةٍ والضيف من جوعِ

وقال آخر :

وجيرةٍ لا ترى[4] فى الناس مِثلَهمُ * اذا يكون لهم عِيدٌ وإفطارُ
إن يُوقِدوا يوسِعونا من دُخانِهمُ * وليس يبلُغنا ما تُنضِج النـار

وقال سَمَاعةُ بن أَشْوَل :

نزلنـا بسَهْـمٍ والسماءُ تلفُّنـا * لَحَى اللهُ سَهْمًا ما أدقَّ وألأمَا
فلمـا رأينـا أنه عاتِمُ[5] القِـرَى * بخيلٌ ذكرْنا ليلةَ الهَضْبِ كَرْدَمَا

---

(١) الكعبة والكعب : العظم الذى تلعب به الصبيان .

(٢) هو ميمون بن قيس ، قال هذا الشعر يهجو علقمة بن علاثة .

(٣) هو بشار كما فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٢٠ طبعة أولى) ، و رواية البيت فيه :

وصيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمـرو لبطنتـه والضيف للجوع

(٤) فى الأصل : « لم تر » . (٥) عاتم القرى : بطيئه .

فَقُمْنا وحَمَّلْنا على الأَيْنِ والوَجَى * جُلَالاً (١) بأوصال الرَّدِيفَيْنِ مِرْجَمَا (٢)
يَدُقُّ (٣) خراطيمَ القِنَانِ كأنما * يدقّ بصَوّانِ الجَلاميـد حَنْتَمَا (٤)
بَحْثنا وقد باض الكَرَى فى عيوننا * فَتًى من عيون المُعْرِقِين (٥) مسلَّما
تُنَاخُ اليـه هَجْمَةٌ (٦) واتِكِيَّة (٧) * رعتْ بالجِوَاء (٨) البَقْل (٩) حولاً مُجَرَّمَا (١٠)
كأنّ بأَحْقِيها (١١) اذا ما تَقَمَّمتْ * مَزَادا (١٢) سَقا فيه المُزَوِّد مُعْصِما (١٣)
فبات رفيقى بعد ما ساء ظَنُّه * بمنزلةٍ من آخر الليل مُكْرَمَا
ولو أنها لم يدفع العِيسَ زَمُّها * رأى بعضها من بعض أَنْسائها (١٤) دمَا

وقال حُمَيْدٌ الأرقط :

ومُسْتَنْبِحٍ (١٥) بعد الهدوء وقد جرتْ * له حَرْجَفٌ نَكْبَاءُ والليلُ عاتمُ
رفعتُ له مَخْلوطةً (١٦) فاهتدى بها * يشبّ لها ضوءٌ من النار جاحمُ
فأطعمتُه حتى غدا وكأنما * تنازعه (١٧) فى أَخْدَعَيْهِ المَحَاجِمُ

---

(١) الجلال : الجمل الضخم . (٢) المرجم : المصطلم العدو، وفى الأصل : «مرجما» .
(٣) فى الأصل : «تدق» . (٤) الحنتم : الحرف بأنواعه؛ قال سالم بن دارة :
وقد أوقدت فى السير حتى كأنما * يكسر قيض بينهن وحنتم
والقيض : قشرة البيضة العليا اليابسة . وكتب فى الأصل الفتوغرافى أمام كلمة الحنتم : «الحصيد» ولعله من معانى الكلمة . (٥) فى الأصل : «المفرقين» ، ولعله : «من عيوب المعرقين مسلما» ، ويريد مدحه بأنه سالم من عيوب المعرقين الذين أفسدوا ما عملوا من صالح بما ارتكبوه من آثام . (٦) الهجمة من الابل : أولها الأربعون الى ما زادت ، وفيها أقوال غير ذلك . (٧) هكذا بالأصل ولعلها «وائلية» .
(٨) الجواء : الواسع من الأودية ، وربما أريد به موضع بعينه . (٩) فى الأصل : «النقل» .
(١٠) مجرما : تاما ، وفى الأصل : «محزما» . (١١) أحق : جمع حقو وهو الخصر .
(١٢) المزاد : جمع مزادة وهى الراوية والقربة التى يستقى فيها . (١٣) معصما : مشدودا بالعصام وهو رباط القربة . (١٤) أنساء : جمع نسا وهو عرق من الورك الى الكعب . وفى الأصل : «أنسابها» . (١٥) فى الأصل : «ومنتبح» . (١٦) كذا بالأصل ولعلها «مخروطة» وهى الشجرة التى نفض عنها ورقها . (١٧) فى الأصل «تناعه» .

كَرَمهانَ[1] يَقْطُو[2] المشىَ لو جُعِلتْ له * رعايا الحِمَى لم يلتفت وهو قائمُ
حريصٌ على التسليم لو يستطيعه * فلم يستطع لمـا غدا وهو عائمُ[3]

وقال الأعشى[4] :

اذا حلَّتْ معاويةُ بنُ عمرو * على الأَطْوَاءِ خنَّقتِ الكلابَا

وقال آخر[5] :

أيابنــةَ عبــد الله وابنــةَ مالكٍ * ويابنـــةَ ذى البُرْدين والفرسِ الوَرْد
اذا ما عمِلتِ[6] الزادَ فالتمسى له * أكيلًا فإنى غيرُ آكِلِه وَحْدى
بعيــدًا[7] قصـيًّا أو قريبًــا فإننى * أخاف مَذَمّاتِ الأحاديثِ من بعدى
وكيف يُسيــغُ المرءُ زادًا وجارُه * خفيفُ المِعَى بادِى الخَصَاصةِ والجَهْدِ
ولَلْموت خيرٌ من زيارة باخلٍ * يُلاحِظ أطرافَ الأَكيلِ على عمــدِ

وقال مُرَّةُ بن مَحْكانَ السَّعْدى :

فقلت لمـا غَدَوْا أُوصِى قعيدتَنا * غَدِّى بَنِيـكِ فلن تُلْفِيهمُ[8] حِقَبَا
أُدْعَى أباهم ولم أُقْرَفْ بأُمِّهــمُ * وقد هَجَمتُ ولم أعرِف لهم نَسَبَا

---

(١) الرهمان : الحران . (٢) قطا الدابة يقطوها : ساقها سوقا شديدا .
(٣) كذا بالأصل ، ولعلها «صائم» كما يقتضيه السياق . (٤) هو أعشى بنى تغلب كما فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ١ ص ١٩٤) . (٥) هو حاتم الطائى يخاطب امرأته ماوية بنت عبدالله ، وعنى بذى البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة . (٦) رواية أشعار الحماسة :

اذا ما صنعت ... ... * ... .. فانى لست ...

(٧) روى هذا الشطر فى أشعار الحماسة :

أخا طارقا أو جار بيت فإننى *

(٨) رواية الشعر والشعراء للمؤلف (ص ٤٣٢) : « لن تلقيهم» .

وقال حمّاد عجْرد :

زرتُ آمرأً فى بيته مرّةً * له حيـاءٌ وله خـيرُ
يكرَه أنْ يُتخِمَ إخوانه * إنّ أذى التُّخْمةِ محذور
ويَشْتهِى أن يُؤْجَرُوا عنده * بالصومِ والصائمُ مأجور

وقال بعض المُحْدَثين :

أبو نوحٍ نزلتُ عليــه يومًا * فغــدّانى برائحـــة الطعامِ
وجاء بلحمٍ لا شيءٍ سمينٍ (١) * فقــدّمه على طبق الكلامِ
فلما أن رفعتُ يدى سقانى * مدامًا بعــد ذاك بلا مدامِ
فكان كمن سقى الظمآن آلًا * وكنتُ كمن تغدّى فى المنامِ

وقال عُرْوةُ بن الوَرْد :

إنى آمرُؤٌ عافِى إنائِىَ شِرْكةٌ * وأنت آمرُؤٌ عافى إنائك واحدُ
أتهزأ منّى أن سَمِنتَ وأن ترى * بجسمِىَ (٢) مسَّ الحقّ والحقُّ جاهدُ
أُقسِّم جسمِى فى جسومٍ كثيرةٍ * وأحسو قَراحَ الماءِ والماءُ باردُ

---

(١) رواية العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٨) :

وقــدم بيننا لحما سميا * فقــدّمه على طبــق الكلام
فلما أن رفعت يدى ســقانى * كؤوسا حشوها ريح المدام

(٢) فى أشعار الحماسة (ص ٧٢٣ طبع أوربا) : «بوجهى شحوب الحق» .

باب القدور والجفان

ذكر الفرزدق عقبةَ بن جبّار المِنقَرِي وقِدْرَه فقال :

لو أن قِدْراً بكت من طولِ مَحْبَسِها * على الحفوف[1] بكتْ قِدْرُ ابن جَبّارِ
ما مسَّها دَسَمٌ مُذْ فُضَّ معدِنُها * ولا رأت بَعد نارِ القَينِ من نارِ

وقال :

كأنّ تطلُّعَ[2] التَّرْعِيب[3] فيها * عَذارِ يَطّلِعْن إلى عَذارِ

وقال الكُمَيت :

كأنّ الغُطامِطَ من غَلْيِها * أراجيزُ أسْلَمَ تهجو غِفارًا[4]

وقال آخر[5] :

وقِدْرٍ بكَوْفِ الليل أَحْمشتُ[6] غليَها * ترى الفِيلَ فيها طافيًا لم يُفَصَّلِ

وقال ابن الزَّبِير[7] يمدح أسماءَ بن خارجة :

ترى البازِلَ البُخْتِيَّ فوقَ خِوانِه * مقطَّعةً أعضاؤه ومَفاصِلُه

---

(١) كذا فى ديوانه المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢ ش أدب (ص ٣٩) . والحفوف : قلة الدسم . وفى الأصل : « الجفون » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت من أبيات يمدح بها أبا السمحاء تميم بن عامر أحد بنى عمرو ، ومطلعها :

سألنا عن أبى السمحاء حتى * أتينا خير مطروق لسارى

(٣) كذا فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب . والترعيب : السنام المقطع شطائب مستطيلة . وفى الأصل : « الترغيب » بالغين المعجمة وهو تحريف . (٤) الغطامط (بضم الغين المعجمة) : صوت الغليان ، ويقال : تغطمطت القدر إذا اشتد غليانها . وأسلم وغفار : قبيلتان كانت بينهما مهاجاة .

(٥) هو ميسرة أبو الدرداء ، كما فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٨ طبع أوربا) . (٦) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل : « ايجشمت » وهو تحريف . وأحمش القدر : أشبع وقودها .

(٧) هو عبد الله بن الزبير الأسدى كما فى الأغانى (ج ١٣ ص ٣٥ ، ٤٢ طبع بولاق) .

وقال الرَّقاشيّ :

لنا من عطاء الله دَهْماءُ (١) جَــوْنةٌ (٢) * تناولُ بعــد الأقربين الأقاصيَا
جعلتُ ألالًا والرِّجَامَ وطِخْفَــةً (٣) * لهـا فاستقلَّت فوقهــنّ الأثافيَا
مــؤدِّيةٌ عنا حقــوقَ محمــدٍ * إذا ما أتانا بائسُ (٤) الحسبِ طاويَا
أتى ابنُ (٥) بَسـيرٍ كى يُنفِّسَ كَرْبه * إذا لم يَرُحْ وافَى مع الصبح غاديَا

فأجابه ابن بَسير (٦) :

وثَرْماءَ ثَلْمَــاءِ (٧) النــواحى ولا يَرى * بهـا أحدٌ عَيْبا سِــوى ذاك باديَا
إذا انقاصَ (٨) منهـا بعضُها لم تَجِدْ لها * رُءوبا لمـا قد كان منهـا مُدَانيـا
وإنْ حاولوا أن يَشْعَبوها فإنهـا (٩) * على الشَّــعْبِ لا تزداد إلا تداعيَا
مُعَــوَّدَة الإرْجَالِ (١٠) لم تُوفِ مَرْقَبًا * ولم تَمْتَــطِ (١١) الجَوْنَ الثلاثَ الأثافيَا

---

(١) الدهماء : القدر . وجونة : سوداء . (٢) فى الأصل « يناول » بالياء المثناة .

(٣) ألال (وزان حمام ويروى بكسر همزته) : اسم جبل بعرفات . والرجام : جبل طويل أحمر نزل به جيش أبى بكر رضى الله عنه يريدون عمان أيام الردة . وطخفة (بكسر الطاء وفتحها) : جبل .

(٤) فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٠٥) : « بائس الحال » . (٥) كذا فى كتاب البخلاء ، وقد ورد هذا البيت فى الأصل محرفا هكذا :

أنا ابن بشــيران تنفس كربة * إذا لم ترح وافا من الصبح غاديا

(٦) كذا فى كتاب البخلاء وهو محمد بن يسير اليسيرىّ كما فى الكامل للمبرد (ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ طبع أوربا) وطبقات الشعراء للمؤلف (ص ٥٦٠ طبع أوربا) ، وفى الأصل : « ابن بشير » .

(٧) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصــل : « سلما » وهو تحريف . والثرماء : من كسرت ثنيتها ، شبه بها القدر التى تكسرت أطرافها من كثرة الاستعمال ، والثلماء : المكسورة النواحى . (٨) انقاص : انشق . (٩) فى الأصل : « وانها » بالواو . (١٠) معوّدة : ممنوعة ، والإرحال : مصدر أرحله إذا جعله يمشى ، ولعلـه يريد أن هذه القدر لا تنقــل لصاحبها . وفى كتاب البخلاء : « معودة الأرحال » . (١١) فى الأصل : « ولم يمتط » .

ولا اجتَزَعتْ(١) من نحو مكةَ شُـقّةً * إلينـا ولا جازت بها العِيسُ واديًا
ولكنّها فى أصلها مَوْصِلِيّـةٌ * مجاوِرةٌ فَيْضًا(٢) من البحـر جاريًا
أتتنـا تُزَجّيهـا(٣) المجاذيفُ نحـوَنا * وتُعقِب فيما بين ذاك المَـزَادِيا(٤)
يقول لِمَن هذى القدور التى أرى * تَهيـلُ عليهـا الرّيحُ تُربًا وسافيا
فقالوا ولن يَخفى على كل ناظرٍ * قـدورُ رَقاشِ إن تأمّل دانيا(٥)
فقلت متى بالحـيِّ عهدُ قدورِكُمْ * فقـالوا إذا ما لم يَكُنَّ عَوارِيا
من اَضحَى إلى أضحى وإلّا فإنهـا * تكون بنَسْج العنكبوت كما هيا
فلما استبان الجَهْدَ لى فى وجوههم * وشكواهمُ أدخلتُهـمْ فى عِيـالِيَا
يُنادى ببعضٍ بعضُهم عند طلعتى * ألَا أبشِروا هـذا اليَسيرِىّ جائيا

وقال أبو نُوَاس :

ودَهْماءَ(٦) تَثْفيها رَقاشُ اذا شَتَتْ * مُرَكّبَـةِ الآذانِ أُمِّ عِيالِ(٧)
يَغَصُّ بِحَيْزُومِ(٨) البَعوضة صدرُها * وتُنزِلهـا عفوًا بغـير جِعَالِ

(١) اجتزعت : قطعت . وفى الأصل : «اجترعت» بالراء .

(٢) فى الأصل : «عيصا» بالعين المعجمة .   (٣) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل : «تحزينا» وهو خطأ .   (٤) المزادى : جمع مزداة ، والمزداة : الحفيرة يرمى الصبيان فيها الجوز .   (٥) رواية البخلاء : «رائيا» .

(٦) الدهماء : السوداء من القدور . وتثفيها : تجعل لها أثافىّ . وفى ديوانه (ص ١٧٦ طبع مصر) : «ترسيها» من قولهم : قدر راسية لا تبرح مكانها ولا يطاق تحويلها .   (٧) أم عيال : تقوتهم وتقوم بحاجتهم .   (٨) فى الأصل : تغص بحيزون . . . . » وهو تحريف . وقد ورد هذا الشعر فى ديوانه (ص ١٧٧ طبع مصر هكذا) :

يغص بحيزوم الجرادة صدرها * وينضج ما فيهـا أتقاد ذبال
وتغلى بذكر النـار من غير حرها * وينزلها الطـاهى بغير جعـال

والجعال بالكسر : خرقة تنزل بها القدر .

ولو جئتَهـا ملأى عَبِيطًا مُجَزَّلًا (١) * لأخرجتَ ما فيهـا بعُود خِلال
هى القِدْرُ قِدْرُ الشيخ بَكرِ بن وائلٍ * رَبِيعُ (٢) اليتـامَى عامَ كلِّ هُزالِ

وقال أيضـا :

رأيتُ قُدورَ الناسِ سُودًا (٣) من الصَّلَى * وقِدْرَ الرَّقاشِيِّين زَهْراء كالبـدرِ
ولو جئتَهـا مَلأى عَبِيطًا مُجَزَّلًا * لأخرجتَ ما فيها على طَرَف الظُّفْرِ
يُثَبِّتُهـا (٤) لُلْعــتَفى بِفِنـائهــم * ثلاثٌ كخَطِّ (٥) الثـاء من نُقَط الحِبرِ
تَرُوح على حَىِّ الرِّباب (٦) ودَارِم * وسَـعْدٍ وتعــروها قَراضِبةُ الفِزْرِ
ولِلحَىِّ عَمْــرٍو نَفحةٌ من سِجالِهـا * وتَغْلِبَ والبِيضِ اللَّهاميمِ (٧) من بَكْرِ
إذا ما يُنادَى بالرحيــل سَعَى بهـا * أمامَهُــمُ الحَوْلِيُّ من وَلَدِ الذَّرِّ

وقال أبو عُبَيدة : كان لعبد الله بن جُدْعان جَفْنَة يأكل منها القائمُ والراكب .
وذكر غيرُه أنه وقع فيها صبىٌّ فغرِق .

---

(١) العبيط : اللحم الطرى . ومجزل : مقطع .
(٢) كذا فى الديوان وكتاب البخلاء . وفى الأصل : « منيع » .
(٣) فى البخلاء (ص ٢٥١) : «سودا على الصلى» . والصلى : النار . (٤) كذا فى البخلاء (ص ٢٥١) : وفى الأصل : « بينها المعتفى شانه » . (٥) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل «محط» وهو تحريف . (٦) الرباب ودارم وسعد والفزر : أسماء قبائل . والقراضبة : اللصوص والفقراء ، واحده قرضاب أو قرضوب . (٧) كذا فى كتاب البخلاء . واللهاميم من الخيل : جيادها ، ولهاميم الإبل : غزارها ، ولهاميم الناس : أشياخهم . وفى الأصل : « اللهاين من فكر » وهو تحريف .

وقال الأشعر[1] :

وأنت مَليخٌ[2] كلحم الحُـوَار * فلا أنتَ حُلْوٌ ولا أنت مُرّْ

وقد عَلِم الضيفُ والطارِقون * بأنك للضيف جوعٌ وقُـرّْ

سأل يحيى بن خالد أبا الحارث جُمَيْزاً[3] عن طعام رجلٍ، فقال : أما مائدته فمقتة[4] وأما صِحافه فمنقورةٌ من حَبِّ الخَشْخَاش، وبين الرغيف والرغيف نقرة جوزة، وبين اللونِ واللونِ فَتْرةُ نَبِيٍّ . قال : فمن يحضُرها ؟ قال : الكِرام الكاتبون . قال : فيأكل معه أحدٌ؟ قال: نعم، الذُّباب . قال : فلهذا ثوبُك مخرَّق ولا يَكْسُوك وأنتَ معه وبِفِنائه؟ ! قال أبو الحارث: جُعِلتُ فِداءَك، والله لو مَلَك بيتًا من بَغْدادَ الى الكوفة مملوءا إبراً، فى كل إبرةٍ خيط، ثم جاءه جبريلُ وميكائيـلُ معهما يعقوبُ يَضْمَنان عنه إبرة يَخِيط بها قميصَ يوسف الذى قُدّ من دُبرٍ، ما أعطاهم .

وقال بعضهم :

ولو عليك آتّكالِي فى الغِداء اذاً * لكنتُ أوّلَ مدفونٍ[5] من الجوعِ

---

(١) هو الأشعر الرقبان الشاعر، واسمه عمرو بن حارثة أسدى جاهلى، قال هذا الشعر يخاطب به رجلا اسمه رضوان (انظر اللسان وشرح القاموس مادة مسخ) وقد ورد هذان البيتان فيهما ضمن شعر له مع اختلاف فى بعض الكلمات وهو :

بحسبك فى القوم أن يعلموا * بأنك فيهـــم غنىّ مضرّ

وقـد علم المعشر الطـارقوك * بأنك للضـيف جوع وقرّ

اذا ما انتدى القوم لم تأتهم * كأنك قـد ولدتك الحمـر

مسيخ مليخ كلحم الحـوار * فلا أنت حلو ولا أنت مرّ

(٢) المليخ : الذى لا طعم له ، وخص به بعضهم لحم الحوار (وهو ولد الناقة) حين ينزل من بطن أمه .

(٣) يلاحظ هنا أن صدر كلام جميز فى حاجة الى الوضوح لغموض عبارته . (٤) كذا بالأصل . والذى فى العقـد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) : «أما مائدته فميه» بالفاء والياء المثناة من تحت والهاء الموحدة .

(٥) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : «مقتول» .

سياسة الأبدان بمـا يصلحها من الطعام وغيره

قال الحجاج لتياذوق(١) متطبّبه: صِف لِي صفةً آخُذُ بها [في نفسي] ولا أعْدوها، قال تياذوق : لا تتزوّج من النســاء إلا شابّة ، ولا تأكل من اللحم إلا فَتِيّاً ، ولا تأكله حتى يُنْعَم طَبْخه ، ولا تشربَنّ دواءً إلا من عِلّة، ولا تأكل من الفاكهة إلا نَضيجَها ، ولا تأكل طعاماً إلا أجدْتَ مَضـغَه ، وكُلْ ما أحببتَ من الطعام واشربْ عليـه ، وإذا شَرِبت فلا تأكل عليـه شيئا ، ولا تحبِس الغائطَ والبولَ ، وإذا أكلتَ بالنهارِ فنَمْ، وإذا أكلتَ بالليل فتمشّ ولو مائة(٢) خُطْوةٍ .

رَوى عبـد العزيز بن عِمْـران عن الحُلَيس بن حَيّان الأشجعيّ قال حدّثني أبي عن شـيوخ من أشجع قال : سألنا يهودَ خَيْبَر : بِمَ صَحَحْتُم بخيبر ؟ قالوا : بشرب الخمرِ ، وأكل الثُّوم ، وسكونِ اليَفاع ، وتجنُّبِ بطونِ الأودية ، والخروجِ من خيبر عند طلوع الفجرِ(٣) وسقوطه .

قال الحجّاج للحَكَم بن المُنْـذِر بن الجارود : أخبِرني عن صفاء لونِك وغِلَظ قَصَرتك ، أتشرب(٤) اللبن فهو منه؟ قال : لا؛ قال : ولم ؟ قال : لأنه منتنة منتفخة . قال : فمـا شرابُك ؟ قال : نبيذ الدَّقَل(٥) في الصيف ونبيذ العسلِ في الشتاء .

---

(١) كذا في تاريخ الحكماء للقفطي (ص ١٠٥ طبع أوربا) وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعـة (ج ١ ص ١٢١)، وكان طبيبا مشهورا في صدر الاسلام والدولة الأموية واختص بالحجاج بن يوسف فكان يثق به و يعتمد عليه في مداواته . وهذا الاسم ذكر مرة في الأصل «ياذوق» ومرة أخرى «يادوق» ، وفي العقد الفريد «يتادون» . وكله تحريف .

(٢) في طبقات الأطباء : «خمسين خطوة» .

(٣) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) : «عند طلوع النجم وعند سقوطه» .

(٤) القصرة : أصل العنق اذا غلظ . وفي الأصل : «... عن صفاء لونك وقصر غلظ قصرتك» .

(٥) الدقل (بالتحريك) : أردأ التمر وضرب من النخل تمره صغير الجرم كبير النوى .

قال عبد الملك لأعرابى : إنك حسَنُ الكِدْنة(١)، قال : إنى أُدْفِئُ رِجلىّ فى الشتاء، وأُغفِل غاشيةَ الغمّ، وآكُلُ عند الشهوة .

عن علىّ رضى الله عنه أنه قال : مَنِ ٱبتدأ غِذاءَه بِالملح أذهَب الله عنه سبعين نوعًا من البلاء . ومن أكل كلّ يومٍ سبعَ تمرات عَجْوةٍ قتلت كلّ داء فى بطنه. ومن أكل كلّ يومٍ إحدى وعشرين زبيبةً حمراءَ لم يَرَ فى بدَنه شيئًا يكرَهُه . واللحم يُنبِتُ اللحم . والثريدُ طعام العرب . ولحم البقر داء، ولبَنُها شِفاء ، وسمْنها دَواء . والشحمُ يُخرِجُ مِثلَيْه من داءٍ . ولم يَستشفِ الناسُ بشىء أفضلَ من الرُّطَب . والسمك يُذِيب الجسدَ، وقراءةُ القرآنِ والسواكُ يُذهِب البلغم(٢) . ومن أراد البقاءَ — ولا بقاءَ — فليُباكِرِ الغَداءَ، وليُقلِّل غِشْيانَ النساء، ويخفّف الرداء ، وليَلْبَس الحِذاء . قيل : وما خِفّةُ الرّداء فى البقاء ؟ قال : قِلّة الدَّيْن .

قيل لرجل : إنك لحَسَن السَّحْنة، فقال : آكُل لُبَابَ البُرّ بِصغار المَعزِ، وأدّهِنُ بحام البنفسج(٣)، وألبَسُ الكَتّان .

ويقال : ثلاثة أشياء تُورِثُ الهُزَال : شربُ الماءِ على الرِّيق، والنومُ على غير وِطاءٍ، وكثرةُ الكلام برفع الصوتِ .

ويقال : أربعُ(٤) خِصالٍ يَهْدِمن العُمْرَ وربما قَتَلْنَ : دخولُ الحمّامِ على بِطْنةٍ ، والمجامعة على الامتلاءِ، وأكل القَدِيد(٥) الجافّ ، وشربُ الماء البارد على الرِّيقِ؛ وقيل : ومجامعة العجوز .

---

(١) الكدنة (بالكسر وقد يضم) : غلظ الجسم وكثرة اللحم . وفى الأصل : «الكدية» بالياء المثناة من تحت، وهو تحريف . (٢) كذا فى الأصل، والعبارة غير واضحة، ولعلها محرّفة . (٣) كذا بالأصل، ولعلها «بحمّ البنفسج» والحم : ما أذيبت إهالته ، والمراد به دهن البنفسج وهو زيته الذى يستخرج منه .
(٤) هى من نصائح تياذوق الطبيب للحجاج كما فى طبقات الأطباء، ونسبها صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) لبزرجمهر . (٥) القديد : اللحم المجفف، وقيل ما قطع منه طولا .

وفى الحديث : "ثلاثةُ أشيـاءَ تُورِث النِّسيان أكل التُّفاح الحـامِض وسُؤْر الفأرة ونَبْذ القملة"(١) . وفى حديث آخر "والحِجامة فى النُّقْرة(٢) والبَوْل فى المـاءِ الرا كِد".

ويقال : أربعـه أشياء تَقْصِد الى العقل بالإفساد : الإكثارُ من البصـل ، والباقِلاَّءُ ، والجِماع ، والخُمَار .

وقال النَّظام : ثلاثةٌ أشياء تُخْلِق العقل وتُفسِد الذِّهنَ : طولُ النَّظر فى المِراه ، والاستغراب فى الضَّحِك ، ودوام النَّظَرِ الى البحر .

وكان يقال : عَشاءُ الليلِ يُورِث العَشا(٣) .

ويروى فى الحـديث : "تَرْكُ العَشاءِ مَهْرَمة" . والعرب تقول : ترك العَشاء يذهب بلحم الأَلْيَتَيْنِ(٤) .

باب الحِمْيَـــة

قال الحارث بن كَلَدَةَ طبيب العرب : الدواء هو الأَزْم . يعنى الحِمْيَـة .

قال آخر : الحِمية إحدى العِلّتَيْن .

وقيل لجالِينوس(٥) : إنك تُقِلّ من الطّعام ؛ قال : غرضى من الطّعامِ أن آكُلَ لأحْيا ، وغرض غيرى من الطعامِ أن يَحيا ليأكُلَ .

---

(١) ورد هذا الحديث فى كتاب حياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٢١١) هكذا : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «ست خصال تورث النسيان : أكل سؤر الفأر وإلقاء القملة وهى حيـة والبول فى الماء الراكد وقطع القطار ومضغ العلك وأكل التفاح الحامض» . (٢) النقرة : الوهدة فى القفا .
(٣) العشا : أن يسوء بصر الانسان أو هو العمى ، أو أن يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل . (٤) قال أبو زيد : مثنى الألية أليان كما تقول هما خصيان وواحده خصية وقد ورد أليتان فى شعر عنترة :

متى ما تلقنى فردين ترجف * روانف أليتيـك وتستطارا

(٥) ورد هذا الخبر فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٦) منسوبا لأبقراط .

وقال العَمّى[1] : مَن احتمى فهو على يقينٍ من المكروه، وفى شكٍّ مما يأمُلُ من العافية .

وكان يقال : ليس الطبيب من حمَى المِلكَ ومنَعه الشهواتِ ، إنما الطبيب من خلّاه وما يُريد وساس بدنَه .

وقال بعض الشعراء :

وَرُبَّتَ حزمٍ كان للسُّقْمِ عِلَّةً ، وعِلّةُ بُرْءِ الداءِ خَبْطُ المُفَعِّلِ

ويقال : الحِميةُ للصحيح ضارّة كما أنها للعليل نافعة .

وفى الحديث : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى صُهَيْبًا يأكل تمرًا وبه رمَدٌ، فقال له : "أتأكل التمر وبك رمَد"، فقال : يا رسول الله، إنما أمضُغ بهذه[2] .

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جدّه[3] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تُكْرِهوا مَرضاكم على الطّعام والشّراب فإن الله يُطعمهم ويَسقيهم" .

باب شرب الدواء

قال عبد الله بن بكر السَّهْمِيّ : حدّثنا بعض أصحابنا يرفعه الى النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "من استقلّ بدائه فلا يتداوَيَنّ فإنه رُبّ دواء يُورث الداءَ" .

---

(١) هو عقبة بن مكرم (بضم أوله وإسكان الكاف وفتح المهملة) أبو عبد الملك البصري الحافظ مات سنة أربعين ومائتين (انظر الخلاصة فى أسماء الرجال) .

(٢) يريد أنه يمضغ بناحية العين التى لا رمد فيها . ونص الحديث فى الجزء السابع من شرح الزرقانى على المواهب : «وفى سنن ابن ماجة عن صهيب قال : قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر، فقال : «أدن وكل» فأخذت تمرا فأكلت، فقال : «تأكل تمرا وبك رمد» فقلت : يارسول الله أمضغ من الناحية الأخرى، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى لأنه إن كان يضره أكل التمر لم يفده المضغ من ناحية العين التى لا رمد بها .

(٣) كذا بالأصل، ولعل هذه الكلمة زيادة من الناسخ، لأن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف روى عن أبيه، وجده مات مقتولا فى الجاهلية، كما فى كتاب المعارف لابن قتيبة، فلم تكن له رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وكانت الحكماء تقول : إياك وشربَ الدواء ما حَمَلت صِحّتك داءك .

وقالوا : مَثَلُ شُرْب الدواء مثل الصابون للثوب يُنْقيه، ولكنه يُخلِقُه ويُبْليه.

عن يزيد بن الأصمّ قال : لقيتُ [طبيب][1] كسرى شيخًا [كبيرا][1] قد أوثق حاجبيه بخِرْقة، وسألته عن دواء المَشْي[2]؛ قال: سهمٌ يُرمى به في جوفك[3] أخطأ أو أصاب.

قال ابقْراط : الدواءُ من فوقُ، والدواءُ من تحتُ، والدواءُ لا فوقُ ولا تحتُ.

وفسّره المفسّر فقال : من كان داؤه في بطنه فوق سُرّته سُقِي الدواء، ومن كان داؤه تحت سُرّته حُقِن، ومن لم يكن به داءٌ لا من فوقُ ولا من تحتُ لم يُسْقَ الدواء، فإن الدواء اذا لم يجد داء يعمَل فيه وجد الصحّة فعمِل فيها .

قال أبو اليَقْظان : كان عبد العُزّى[4] بن عبد المُطّلب يشتكى عينَه وهو مطرِقٌ أبدا، وكان يقول: ما بِعيْني بأس، ولكن كان أخى الحارث اذا آشتكت عينُه يقول: آكحَلُوا عينَ عبد العُزّى معى فيأمُرُ[5] من يَكحَلنى معه ليُرضيَه بذلك فأمرض عينى .

قال ابن أحمر حين شُقِي بطنُه :

شربتُ الشُّكاعَى[6] وآلتددتُ ألِدّةً * وأقبلتُ أفواهَ العروق المكاويَا[7]
شرِبْنا وداوَيْنا وما كان ضارنا[8] * إذا الله حَمّ المرءَ أنْ لَا تَداوِيَا

وفى الحديث : "داوُوا مَرضاكم بالصّدقة وحصّنوا أموالَكم بالزّكاة وآستقبلوا أنواعَ البلايا بالدعاء"[9] .

---

(١) التكملة عن أسد الغابة . (٢) المشى : الإسهال ودواؤه المَشِىّ وهو المسهل . (٣) فى الأصل : «أم» . (٤) هو أبو لهب . (٥) لعل الفاعل «أبى» أو نحوه ممن له ولاية الأمر عليه . (٦) الشكاعى : من دق النبات وهى دقيقة العيدان صغيرة خضراء يتداوى بها الناس . قال سيبويه : هو واحد وجمع ، وقال غيره : الواحدة منها شكاعة . وآلتددت ألدة من قولهم التدّ الرجل اذا ابتلع اللدود وهو ما سقى فى أحد شقى الفم ، جمعه ألدّة . (٧) أقبل المكواة الداء : جعلها قبالته . (٨) كذا فى الشعر والشعراء ص ٢٠٨ وفى الأصل : «لما» . (٩) فى الجامع الصغير : «واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع» .

الحَدَثُ والحُقْنة والتُّخَمة

عن وَهْب قال قال لُقْمان لابنه : إن طول الجلوس على الخلاء يرفع الحرارة إلى الرأس، ويُورِث الباسُورَ وتَيْجَع له الكبد (١)، فاجلس هُوَيْنَى وقم هوينى . فكتبتُ حكمته على باب الحُشّ (٢) .

وكان يقال : إذا خرج الطعام قبل ستّ ساعات فهو مكروه، وإذا بقى أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو مرض .

وكان أبو دُفافَةَ الباهلىّ اشتكى، فأشار عليه الأطبّاء بالحُقْنة فامتنع ؛ فأنشأ أعرابىّ يقول :

لقد سرّنى — والله وقّاك شرّها — * نِفَارُك منها إذ أتاك يقودُها
كفى سَوْءَةً ألا تزالَ مُجَبِّيًا (٣) * على شَكْوَة (٤) وَفْرَاءَ فى اسْتِكَ عُودُها

وأشاروا على عُبَيْد الله بن زِياد بالحُقْنة فتفحّشها ؛ فقالوا : إنما يتولاها منك الطبيبُ ؛ فقال : أنا بالصاحب آنَس .

قال المَدائنىّ : سأل الحجّاجُ جلساءه : ما أذهبُ الأشياءِ للإعياء ؟ فقال بعضهم : أكل التمر، وقال بعضهم : الحمام، وقال بعضهم : التمريخ (٥) .

وقال فَيْروز : أذهبُ الأشياءِ للإعياء قضاء الحاجة .

---

(١) تيجع من وجع يوجع (بقلب الواو ياء) اذا مرض وتألم . (٢) الحش : البستان وقيل : النخل المجتمع، ويكنى به عن بيت الخلاء لأنه كان من عادتهم التغوط فى البساتين .

(٣) مجبيا : منكبا على وجهه، وفى الأصل : « محبيا » . (٤) الشكوة : وعاء من جلد . ووفراء : ملأى . (٥) التمريخ : التدهين .

وحدثني بعض الأطبّاء أن رجلا شرب خَبَثَ الحديد المعجون فبقي في جوفه، فاشتدّ عليــه وجعه ، فسُحِقَتْ له قِطْعَةٌ من المغناطيس وسُقِيَ إيّاه ، فتعلّق بالخَبَث وخرج مع الغائط .

قال : وقال تيادوق[1] طبيب الحجاج للحجّاج : إن اللحم على اللحم يقتل السِّباع في البرِّيّة . ثم قال لي جعفر : قالت جارية لنا : كان لي ظبيٌ مُرَبًّى بعجينٍ قد هُيِّئَ للخُشْكان[2] ، فأكل منــه فحَقَس — والحَقْس : الخَبَطُ وانتفاخُ البطن — فسُلِخ فوُجِد قــد شَرِق بالدم . وقال يونس (طبيب لنا) : هكذا يُصاب[3] الإنسان اذا بَشِمَ .

الأصمعي: قال بعض الأعراب: اللّهمّ إني أسألك مِيتةً كمِيتةِ أبي خارجة، أكل بَذَجًا[4]، وشرب مُعسَّلا[5]، ونام في الشمس، فلقي الله شبعانَ ريّانَ دفآن .

وقال آخر من الأعراب : اللهم اجعلِ التُّخَمة دائي وداءَ عيالي .

قال ابن شَبَابَةَ مولى بني أسد : من بال ولم يَضْرِط كُتِبت اسْتُه من الكاظمين الغيــظ .

(١) في الأصل «ديادوق» وقد صححناه فيما مر . انظر صفحة ٢٧٠ حاشية رقم ١

(٢) الخشكان كلمة فارسيــة؛ ومعناها : الخبز الجاف؛ أو هي ضرب من الحلوى .

(٣) في الأصل : « يصيب » . (٤) البذج : الحمل . (٥) المعسل : شراب معمول بالعسل؛ ومنه قول الشاعر .

إذا أخذت مسواكها مسحت به * رضابا كطعم الزنجبيل المعسّــل

باب القئ

عن جعفر بن سليمان أنه قال لإنسان أكول يقئ[(١)] اذا أكل : لا تفعل، فإن المعدة تضغز[(٢)] الى القئ كما تضغز الدابة الى العلف، فلا ينضج الطعام .

وأخذ مزبّد شاربا فاستنكهه[(٣)]، فأتى به الوالى فاستنكهوه، فقالوا[(٤)] نكهته لاتنبئ عنه، قال مزبّد : إن لم أقئ نبيذا فمن يضمن لى عشاءً .

رُئى الجمّال يأكل فقيل له : ما تأكل؟ قال : قئ كلب فى قحف[(٥)] خنزير .

النكهة

سُئل نياذوق عن البخر فقال : دواؤه الزبيب يعجن بسعتر[(٦)] ثم يؤكل أسبوعين أو ثلاثة . مجرّب مذهب .

وتقول الروم فى الكرفس : إنه يطيّب الفم ويذهب البخر، ويحتاج إلى أكله من يشاهد السلطان ويحاول الناس وكان أكثر كلامه السرار[(٧)] .

قالت الأطباء : الجزر المشوىّ والخبز المقلوّ بالزيت أو بالسمن إذا مضغ ورُمى بثفله[(٨)] قاطعٌ لرائحة البصل من الفم . والفوم[(٩)] إن أكله آكلٌ فأحبّ أن يقطع رائحته مضغ ورق الزيتون الطرىّ وتمضمض بعده بالخلّ .

---

(١) فى الأصل : «ليق» . (٢) تضغز : تثب . (٣) استنكهه : شمّ ريح فمه، وأمره أن ينكه ليعلم أشارب هو أم غير شارب . (٤) فى الأصل : « قالوا » .

(٥) القحف : ما انفلق من الجمجمة فبان أى انفصل ، ولا يدعى قحفا حتى يبين أو ينكسر منه شىء .

(٦) السعتر : نبت طيب الرائحة حريف زهره أبيض إلى الغبرة . (٧) السرار : المسارّة .

(٨) الثفل : ما سفل من كل شىء وهو حثالته . (٩) الفوم : الثوم .

والسُّعْد(١) قاطع لرائحة النبيـذ من الفم . وحَبّ الأُتْرُجّ مطيِّب للنَّكْهة . والبَحَر لا يكاد يكون فى الملّاحين لأكلهم المُلّاح(٢) .

وقرأت فى الآيين : أن رئيس الحرم أمر جوارىَ الملك ألّا يأكُلْن الثُّوم والبصل والكرّاث واللُّفّاح(٣) والحِمّص الرّطْب والمشمش؛ فإنه يُورِث البخر .

باب الميـاه والأشْرِبة

قالت الأطِبّاءُ : معرفة خِفّة المـاء بأن يكون سريعَ الغَلَيان ويكونَ سريعَ البَرْد . وأحمَد الميـاه ما كان قِبالَةَ المشرق ومجراه مجرى الشمال ومروره على الطين الأحمـر وعلى الرمل . قالوا : ومما يُصَفِّى من المـاء الكَدَرَ فيصـفو سريعاً أن يُلْقَ فيـه قِطَعٌ من خشب السّاج(٤) أو قطعٌ من آجُرٍّ جديد .

قال بعض المُحْدَثين :

يمنع أمّـه بالشمال * وماؤها البارد الزلال
يصبح فيهـا وقاينوتا * يجرى به الثلج فى مثال(٥)

(١) السعد نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة . وفى الأصل : «السعد» .

(٢) فى الأصل : « لأكلهم الملاحين » ولم نجد له معنى مناسبا ، ولعلها محرفة عما أثبتناه . والملاح : ضرب من نبات الحمض أو حمضة مثل القُلّام فيه حمرة .

(٣) اللفاح : نبات يقطينىّ أصفر شبيه بالباذنجان .

(٤) الساج : شجر يعظم جدا لا ينبت إلا ببلاد الهند، وخشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه .

(٥) كذا بالأصل ، ولم نعثر على هذين البيتين ولم نوفق الى تصويبهما

وقال صاحب الفِلاحة . من أراد أن يَعْذُبَ له الماءُ الزُّعَاقُ[1] جعله في قِدْر حديدة من خزَف وغطّى فاها بأسحال[2] ثم أوقد تحتها حتى تَغلى ويَحْصُلَ فيها نصفُ ذلك الماء ثم صفّاه وتركه، فانه يَجده شَرُوبا[3] .

وقالوا : ماء دِجْلة يَقْطَع شهوةَ الرجال ويذهبُ بصهيلِ الخيل ونشاطها، ومن لم يأكل الدسم عليه أنحلّ عظمُه ويَبِسَ جِلْدُه، وهو مع هذا أهْضَمُ للطعام من غيره من المياه وأسرَعُها بردا .

قال : والنِّيل يستقبِل الشَّمال وينصُبُّ في وقت زيادة الأودية ويزيد في وقت نقصانها . وزيادة أوّله وآخره معها ؛ ولا تكون التماسيحُ إلا فيه ؛ قال الشاعر :

أضمرتُ للنيـــل هِجرانًا ومَقْلِيــةً * إذ قيل لى إنما التمساح في النيـــلِ
فمن رأى النيل رأىَ العين من كَثَبٍ * فما أرى النيل إلا في البواقيـــلِ[4]

والسَّقَنْقُور[5] أيضا لا يخرج إلا منه .

---

(١) الزعاق : المر الغليظ . (٢) أسحال : جمع سحل وهو الخرقة البيضاء . وفي الأصل : «سحال» ولم يرد هذا في جمع سحل وإنما جمعه أسحال وسحول وسحل . (٣) الشروب : الماء دون العذب يصلح للشرب مع بعض كراهة . (٤) البواقيل — كما في معجم البلدان (ج ٤ ص ٨٦٨ طبع أوربا) — : كيزان يشرب منها أهل مصر . وقد روى في شفاء الغليل وزهر الآداب (ج ٢ ص ١٨٠ طبع المطبعة الرحمانية) : «البراقيل» بالراء وفسره الخفاجي بأنه جمع برقال وقال إنه كوز من الزجاج . ولم نجد هذين البيتين في ديوان أبي نواس وهو الذي نسب له البيتان . (٥) السقنقور كما في خطط المقريزي (ج١ ص٦٦) : صنف يتولد من السمك والتمساح فلا يشبه كل السمك لأن له يدين ورجلين ، ولا يشبه كل التمساح لأن ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس ، وذنب التمساح نحيف مضرس . وذكره ابن البيطار فقال : هو شديد الشبه بالورل يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدها وهو مما يصاد في البر ويدخل في الماء — يعني النيل — ولهذا قيل له الورل المائي لتشبه به ولدخوله في الماء .

ورُوِى فى الحديث عن الضحّاك بن مُزَاحِم أنه قال قَذَفَ[1] الفُرات فى المَدِّ رُمّانةً كأنها البعير البارك، وتحدّث أهلُ الكتاب أنها من الجنّة .

وقال ابن ماسويه : ينبغى للماء الغليظ الذى ليس بِعَذْب أن يُطْبَخ حتى يَذْهب منه نِصفه، ثم يُطْرَح فيه السَّوِيقُ أو الطينُ الأحمرُ فإنه يلطّفه ويُذهب غائلتَه ويُعْذِبه ويمنع كَدَرَه .

قالت الأطباء : الفُقّاع[2] المُتّخَذُ من دقيق الشعير نافع من الجُذَام . والجُلّاب[3] قاطع لكثرة دم الحيض، . والسَّكَنْجَبِين[4] نافع من الذُّبْحة إذا كانت من حرارة، يُشرب ويُتَغَرْغَرُ به .

باب اللُّحمان وما شاكلها

قالت الأطباء : لحمُ الماعز يُورث الهمّ، ويُحرِّك السوداءَ، ويُورث النسيانَ، ويُخبّل الأولاد، ويُفسد الدم، وهو ضارٌّ لمن سكن البلادَ الباردةَ . وأَحْمَدُ اللُّحمان ما خُصِىَ من المَعَز . والضأنُ نافع من المِرّة السَّوْداء[5]، إلا أن المَمْرورين الذين يُصْرَعون، إذا أكلوا لحمَ الضأن اشتدّ بهم ذلك حتى يُصْرَعوا فى غير أوانِ الصَّرْع . وأوانُ الصَّرْع الأهلّةُ وأنصافُ الشهور .

---

(١) فى معجم البلدان لياقوت (ج٣ ص٨٦١) : « ومما يروى عن السدىّ، والله أعلم بصحته من باطله، قال : مدّ الفرات فى زمن علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه، فألقى رمانة قطعت الجسر من عظمها، فأخذت فكان فيها كرّ حبّ، فأمر المسلمين أن يقتسموها بينهم وكانوا يرون من الجنة . وهذا باطل لأن فواكه الجنة لم توجد فى الدنيا . ولولا أن هذا الخبر فى عدّة مواضع من كتب العلماء ما استجزت كتابته » اهـ .

(٢) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير، سمى بذلك لما يعلوه من الزبد . (٣) الجلاب : باللام مشدّدة ومخففة : العسل أو السكر، عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد . (٤) السكنجبين : شراب من خل وعسل، ويراد به كل حلو وحامض . (٥) المرّة السوداء : خلط من أخلاط البدن .

قال الشاعر[١] :

كأن القومَ عُشُّـــوا لحمَ ضأنٍ * فهم نَعِجون[٢] قـد مالت طُلَاهم

قالوا : واللحم أقلّ الطعام نَجْواً[٣] . ولحم الدَّجاج الهَرِم شرّ اللُّحمان وأغلظُها .

والبيضُ إن سُلِق بالخلّ ثم أُكِل بالسُّمّاق[٤] وحبّ الرمّان المُقَلّق والملح والمُـرِّيّ[٥] عقَلَ الطبيعةَ .

والزُّبْدُ إن طُلِي على منابت أسنان الطفل كان مُعِيناً على نبـاتها وطلوعها ، والمخُّ والدِّماغ يفعلان ذلك .

مَضارُّ الأطعمة ومنافعها

الكَمْأة[٦] والفُطْر[٧] — عن أبي هريرة أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم يذكرون الكَمْأةَ وبعضُهم يقـول جُدَرِيّ[٨] الأرض ، فقـال : "الكَمْأةُ من المَنّ[٩] وماؤها شِفَاءٌ للعينِ والعَجْوةُ من الجنّةِ وهي شِفاء من السُّقْم" .

---

(١) هو غيلان بن عقبة العدويّ المعروف بذي الرمة . (٢) كذا في اللسان (مادة نعج) ، ونعجون : ثقل ؛ كل لحم الضأن على قلوبهم ، يريد أنهم قد اتخموا من كثرة أكلهم الدسم فمالت طلاهم (أعناقهم) ، وفي الأصـــل « نعجون » بالباء الموحدة وهو تحريف . (٣) النجو : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط . (٤) السماق : (بالتشديد) من شجر القفاف والجبال وله ثمر حامض عناقيد فيها حب صغار يطبخ ، وهو شديد الحمرة . (٥) المريّ : يعمل عمل الملح الا أنه أقوى منه وألطف . وفي مفردات ابن البيطار : «وليس يوافق البيض وخاصة المسلوق منه أصحاب المعدة الضعيفة فإن اضطر الى إدمان أكله فليؤكل بالملح والفلفل والمريّ» . وفي الأصل : «والملح المشوى» وهو تحريف . (٦) الكمء : نبات مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الغبرة والســـواد ، يوجد في الربيع تحت الأرض . وهو عديم الطعم وأنواعه كثيرة يؤكل نيئا ومطبوخا . (٧) الفطر : ضرب من الكمأة قتال . (٨) شبهت الكمأة بالجدري ، وهو الحب الذي يظهر في جسد الصبي ، لظهورها من بطن الأرض كما يظهر الجدري من باطن الجلد ، ويراد بذلك ذمها (انظر النهاية لابن الأثير) .

(٩) معنى الحديث أن الكمأة شيء أنبته الله من غير سعي ولا مؤونة من أحد ، وهو بمنزلة المنّ الذي كان ينزل على بني اسرائيل .

الأصمعيّ عن بعض مشايخه قال: ثلاثةَ أشياءَ رُبَّما صرَعت أهل البيت عن آخرهم: الجرادُ، ولحوم الإبل، والفُطْر.

وتقول الأطبّاء: إنّ أردأَ الفُطْر ما نبت تحت ظلال الشجر، وأردأه كلِّه ما كان في ظلّ شجر الزيتون فإنه قتّال.

قالوا: والكُمَّثْرَى إذا طُبِخ مع الفُطْر أذهب ضررَه.

قالوا: والفُطْرُ يورِث الذُّبْحَةَ.[1]

قدِم أعرابيٌّ المِصْرَ فأكل فُطْرا، فأصابته ذُبْحةٌ، فقيل له: إن الطبيب يبعث أن يُحْلَق في فيك، فقال: ما زلت أسمع باللئيم الرَّاضِع[2] ولا والله لا أكونه، قالوا: فتموت إذًا، قال: وإن متُّ.

وتقول الأطباء: إنْ أكل آكِلٌ الفُطْرَ فأضرَّ به، سُقِيَ الكُرُنْبَ المعصورَ وسُقِيَ من خُرْءِ الدَّجاج وزنَ درهمين مع خَلّ وعسلٍ مطبوخ وقُيِّئَ به.

قالوا: والكَمْأَة تُورِث وجع القُولَنْج[3] والسَّكْتَة والفالِجَ ووجَع المَعِدة.

قالوا: والذباب لا يَقْرَب قِدْرًا فيه كَمْأَةٌ.

ومن أراد اتّخاذَ الكَمْأَةِ اليابسةِ جعلها في الطين الحُرِّ يوماً وليلةً ثم غسلها واستعملها.

بلغني عن فتًى من أهل الكتاب أنه قال: كنا في طريق مكّة بالحُزَيْمِيَة[4]، فأتانا أعرابيٌّ بكَمْأَةٍ في كِساءٍ قَدْرَ ما أطاق، فقلنا: بِكَمِ الكَمْأَةُ؟ قال: بدرهمين.

---

(١) الذبحة: داء يأخذ في الحلق وربما قتل. (٢) يذكر المؤلف أنه الذي يرضع الحلب فلا يحلبه في الإناء لئلا يسمع صوت الحلب، وقال بعضهم: لئلا يضيع من اللبن شيء.

(٣) القولنج: مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح، والفالج: الشلل.

(٤) الحزيمة: منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية بالكوفة وقبل الأجفر، وقيل: بينه وبين الثعلبية اثنان وثلاثون ميلا، وقيل: إنه "الحريمة" بالحاء المهملة.

فاشترياها منه ودفعا الثمنَ إليه ، فلما نهض قال له بعضنا : « فى آستِ المَغْبون عودٌ »(١) ، قال . بل عودان ، وضرب الأرضَ برجله ، فإذا نحن على الكمْأة .

قال بعض الشعراء :

حَيَّتْهُـا تملأ كفَّ الجانى * سوداءَ مما قد سَقَى السَّوانِى(٢)
* كأنهـا مدهونةٌ بالبانِ(٣) *

وهذه صفة أجود الكمْأة وأقلّها أذًى .

البصــــل والثــــوم

دخل داخلٌ على نَصْر بن سـيَّار وحوله بَنُونَ له صِغـارٌ ، فقال : هل تَدْرُونَ ما ولدى هؤلاء ؟ هؤلاء بنو البصل ، وكان يأكله نِيئاً ومشوِياً ومطبوخا .

والأطبّاء تقول فى البصل : إنه يشهّى الى الطعام إن أُكِل مشوياً أو نِيئـا ، ويشهّى الى الجِماع . وإن دُقّ وشُمّ عَطَس وشَهّى الطعامَ . وإنِ آكتُحِل بمائه مع العسل جلَا البصرَ . وإنْ وُضِع مع الملح والسَّدابِ(٤) على عضّة الكَلْبِ الذى ليس بكَلِبٍ نفع . والإكثارُ منه يُفسد العقلَ . والمسلوقُ منه يُدِرّ البولَ والدّمعة .

(١) مثل يضرب لمن غبن .   (٢) السوانى : جمع سانية وهى ما يسقى عليه الزرع والحيوان من بعير وغيره .   (٣) البان : شجر يسمو ويطول فى استواء مثل نبات الأثل ، وورقه هدب كهدب الأثل ، وخشبه خوّار وهو خفيف ، وعصاراته ممتحة خضر ، وهدبه ينبت فى القضب ، وهو طوال بل أخضر شديد الخضرة ، وثمرته تشبه قرون اللوبيا إلا أن خضرتها شديدة وفيها حب ، وإذا انتهى انفتق وانتثر ، حبه أبيض أغبر مثل الفستق ومنه يستخرج دهن البان . (راجع مفردات ابن البيطار) .
(٤) السداب : بقل عريض الورق ... يطلع من ساق له قصيرة تتشعب عليه شعب مثل الأغصان ، ويحمل فى أطراف أغصانه رءوسا تنفتح عن ورد صغار الورق أصفر ، وإذا انتثر سقط منه الحب ، وله طبائع وخواص مذكورة فى كتب الطب .

العصافير إن أُكلتْ بالزَّنجبيل والبصل هيّجت شهوةَ الجماع وأكثرتِ المَنِيّ .

عن طارق بن شِهاب قال : بعث سُليمان النبيّ عليه السلام بعضَ عفاريته وبعث معه رجلًا وقال : رُدَّه إليّ وآنظرْ الى صنيعه . فمرّ على أهل بيتٍ يبكون فضحِك ، ودخل الى السوق ونظر الى الناس فرفع رأسَه الى السماء وهزّه ، ونظر الى الثُّوم وهو يُكال [كيلا] والفُلْفُلِ [وهو] يُوزَن وزنا ، فضحك . فلما ردّه الى سليمانَ عليه السلامُ وأخبره بما جرى منه ، قال : لِمَ ضحكتَ من أهل البيت ؟ ولِمَ هَزَزْتَ رأسك حين نظرتَ الى السوق ؟ ولِمَ ضحكتَ من الثُّوم والفُلفل ؟ قال : أمّا أهلُ البيت فإنّ الله أدخل ميّتَهم الجنّةَ وهم يبكون عليه ، ونظرت الى الناس في السُّوق والملائكةُ من فوق رُءوسهم ، والناسُ يُمْلُون والملائكةُ سِراعًا يكتبون ، فهززتُ رأسي ، ونظرتُ الى الثُّوم وهو شِفاءٌ يُكال كيلا ، والى الفلفل وهو داءٌ يوزن وزنا . وعن وَهْبٍ : أنّ سليمانَ(١) عليه السلام قال : مِمَّ كنتَ تضحك؟ قال إني مررتُ برجل يشترى خُفَّين ويقول لصاحبهما : شَرْطِى عليك أنْ ألبَسَهما عشرَ سنين لايتخرّقان ، فعجِبتُ كيف شَرَط أملَه ونسِي أجلَه . ومررت بعجوزٍ دُهْرِيّةٍ(٢) تتكهّن وتُخبِر الناسَ بما لا يعلمون ، والّذى سخّر لك الريحَ وأذلّ لك الجنّ وعبّدلك الشياطينَ إنّى لأعلم في بيتها تحت فراشها مطمورةً(٣) فيها قناطيرُ من ذهب وفضّةٍ وهي لا تدرى ما تحتها ، وقد ماتت هَزْلًا(٤) وجوعا وحاجةً . ومررتُ بأُخْرَى دُهْرِيّةٍ تتطبّب وكان بها

(١) في قصص الأنبياء (ص ٢٤٣ طبع بولاق) : «أن سليمان عليه السلام دعا صخرا الجنيّ لنحت الجواهر من غير تصويت ، فأقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان ، فسأل سليمان رسله عما أحدث صخر في طريقه ، فقالوا : يا نبى الله إنه كان يضحك في بعض الأحايين من الناس ، فقال له سليمان ... الخ» وقد ورد في الحكاية تقديم وتأخير مع اختلاف في بعض الألفاظ . (٢) الدهرية (بضم الدال) : هي التى أتى عليها الدهر وطال عمرها . (٣) المطمورة : الحفرة تحت الأرض . (٤) الهزل : الضعف .

مرة داءٌ، فأكلت البصل فصادفت منه بُرءًا. فظننت أنه حسم داءها وشفاها، فهى تصفه للناس من كل داء. وقد كان فى ظهرها ريحٌ خبيثة[1] منذ زمانٍ فأكلت الثوم أحدًا وعشرين يومًا فشفيت منه؛ فعجبت لها كيف تدع أن تصفه. ومررت برجلٍ على شاطئ نهر يستقى منه فى قُلّة له ومعه بغلة؛ فلما سقى البغلة ملأ القلة وربط البغلة بأذن القلة وذهب لبعض حاجته. فنفرت البغلة وكسرت القلة؛ فجعل يلعن الشيطان، وبرأ عقله ونسى فعله. ومررت بقومٍ يذكرون الله فاجتهدوا ونصبوا وابتهلوا. فلما أظلت الرحمة حلّ رجل منهم فقام؛ وجاء آخر لم ينصب معهم فجلس مجلسه. فنزلت الرحمة فدخل فيها معهم وحُرِمها الأول؛ فعجبت من سعادة هذا وشقاوة هذا.

ويقول الأطباء: إن الثوم إذا شُوِىَ بالنار ووُضع على الضرس المأكول ودُلِكت به الأسنان التى يعرض[2] فيها الوجع من الرطوبة والريح، أذهب ما فيها بإذن الله من الوجع.

قال: وهو ينفع من العطش الحادث من البلغم، ويقوم مقام الترياق فى لسع الهوام، والأمراض الباردة.

ويقول الروم فى الثوم: إنه دواء لمن أصابه وجع السَّقْى[3] فى بطنه. وإن أكله من ظهر [فيه][4] حَرٌّ من شَرًى[5] أو غيره أبرأه. وإن دُقّ الثوم يابسًا فأُغلى بسمنٍ ولبن ثم جعله من يشكى ضرسه فى فيه سُخنًا فأمسكه ساعة، ذهب وجع ضرسه؛ وهو نافع لمن اجتوى[6].

(١) وردت هذه الجملة فى الأصل محرفة هكذا: «حتها ربا ، ا ».

(٢) يعرض: يظهر. (٣) السقى: ماء أصفر يقع فى البطن وهو المعروف فى الطب الاستسقاء أو الصفار. وفى الأصل: «السقيا». (٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) الشرى: بثور بعضها صغار وبعضها كبار حكاكة مكربة مائلة إلى الحمرة مائية. (٦) اجتوى: أجيم، من الجوى وهو داء السل أو داء يأخذ فى الصدر أو هو كل داء يأخذ فى الباطن لا يستمرأ معه الطعام.

الكـراث

قالت الأطباء : الكُرّاث النَّبَطِيّ اذا أُدمِن كانت فيه أحلامٌ رديئة، وولّد بُخَارًا فى الرأس رديئًا . وإن صُبّ فى مائه خلٌّ ودُقَاق كُنْدُر[(١)] وٱستُعِطَ به سكّن الصُّداع . وإن سُلِق أو طُحِن وأُكِل أو ضُمِّد به البواسيرُ العارضةُ من الرطوبة نفَع منها .

وماءُ الكرّاث إذا خُلِط بمثله من ألْبانِ النساء ودُهْنِ الوردِ والكُنْدُرِ وكُحِّل به عينُ من أصابتْه غَشَاوةٌ فى عينه فلم يُبْصر ليلًا نفعه . وأكلُ البصل نافعٌ لذلك أيضا .

الكُرُنْبُ والقُنَّبِيط

قالوا : الكُرُنْبُ مُعِينٌ على الإكثار من النبيذ إذا أُكِل ، وهو مُدِرٌّ للبول . وقالت الروم : بين الكُرُنْبِ والكَرْم عداوةٌ ؛ ولا يكاد يَصْلُح الكَرْمُ والكُرُنْب اذا تجاورا . قالت الأطباء : إن ٱحتملت [المرأة][(٢)] بِزْرَ الكُرُنْب بعد الحَيْض أسهل المَنِيّ وأفسده ولم يكن معه حمل ، وشربُ مائه مع الشِّيح الأرْمَنِيّ غير المطبوخ أو ماءِ التُّرْمُس المُنْقَع مُخْرِجٌ لحَبِّ القَرْع[(٣)] من البطن . والقُسْطُ[(٤)] أيضا خاصّةً بِزْرُه يُفْسِد المَنِيّ إذا ٱحتملتْه المرأة بعد طُهْرها ، ومقدارُ ما يُحْتَمل وزنُ درهمين .

وتقول الروم : الكُرُنْب إن طُبِخ وخُلِط ماؤه بالحَنْدَقُوق[(٥)] وسُقِيَ المرأةَ التى تأخّر حَيْضُها حاضت لحِينها .

---

(١) الكندر : ضرب من العلك وهو اللبان الذكر .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) حب القرع : اسم دود يكون فى البطن . (ابن البيطار ج ١ ص ١٥١) . (٤) القسط : عود هندى يتداوى به . (٥) الحندقوق : بقلة وحشية كالقت الرطب (شجر ينبت فى السهول والآكام وله حب كالحمص) وقيل هو الهيد ، والهيد : الحنظل ، نبطى معرب ويقال لها بالعربية : الذرق .

قالوا : وإذا خُلط ماءُ الكُرُنْب بالبَنج (١) كان نافعا للسُّعال .

قال أبو محمد : شكوتُ الى حُنَيْنٍ الطبيب عِلّةً كنتُ أجِدُها فى حَلْقى لا أكاد أبتلِعُ معها رِيقى؛ فقال : هى بيّنه فى عينك . فتغرغرْ بعَقيد العنب مع خميرٍ ثلاثةَ أيام فى كل يوم ثلاثَ مرات ، ففعلتُ ذلك يوما واحدًا فذهب .

قالوا : وإذا دُقّ الكُرُنْب وخُلِط به شئٌ من زاج (٢) الأساكفة وشئٌ من خلّ ، فأوجِفَ (٣) ذلك بالخِطْمِىّ (٤) ، ثم طُلِى به بَرَصٌ أو جَرَبٌ نفع بإذن الله تعالى .

السَّلْجَم (٥) والفُجل

تقول الأطباء فى الفجل : إنه مهيِّج للجماع زائدٌ فى المَنِىّ ، وبِزْرُه نافعٌ من السموم قالوا : والفُجل هاضِمٌ للطعام ، وإن أُكِلَ بِزْرُه بعسل كان دواء من السُّعال والفُوَاق ؛ وإذا شُدِخَتْ (٦) قطعةُ فجل فطُرِحت على عَقْرب ماتتْ ؛ وماؤُه وبِزْرُه للسموم بمنزلة التِّرياق . وإذا طَلَى أحدٌ يدَه بمائه ثم قبض على حيّةٍ أو غيرها من الهوامّ لم يضارَّ ذلك

---

(١) البنج : هو الشيكران بالعربية ، وهو نبت له قضبان غلاظ وورق عراض صالحة الطول مشققة الأطراف الى السواد ، عليها زغب وعلى القضبان ثمر شبيه بالجلنار علوه بزر شبيه ببزر الخشخاش (ابن البيطار ج ١ ص ١١٧) .

(٢) الزاج : الشب اليمانى ، وجاء فى مفردات ابن البيطار أن الزاج العراق هو المعروف بزاج الأساكفة . (٣) أوجف : حرك . (٤) فى الأصل كالخطمى . والخطمى نبات ينفع الأمراض الصدرية . (٥) السلجم : يلاحظ هنا أنه لم يتكلم عنه فى هذا الباب من هذا الكتاب ، وربما كان ذلك عن نقص فى النسخ . ونحن ننقل هنا باختصار ما قيل عنه فى كتاب الجامع لابن البيطار إتماما للفائدة قال : السلجم ، وقد تعجم سينه ، هو اللفت . وبزر هذا النبات يهيج شهوة الجماع لأنه يولد رياحا نافخة ، وأصله نافع عسر الانهضام ويزيد فى المنى ، وقلوب ورقه تؤكل مطبوخة فتدرّ البول ، وبزره يستعمل فى أخلاط بعض الأدوية المعجونة النافعة من لسع دوات السموم ، وإذا عمل السلجم بالماء والملح كان أقل لغذائه إذا أكل ، غير أنه يحرك شهوة الطعام . (٦) كذا فى مفردات ابن البيطار . وفى الأصل «وإذا شدخ والرطب فطرحت» وهو تحريف .

الموضعُ. قالوا. وإن دُقّ بِزْره مع الكُنْدُر وطُلِي به البَهَقُ الأسودُ فى الحمّام أذهبه. وإن شُرِب ماءُ ورَقِه نفع من الأَرْقانِ[1] الحادِث من الطِّحال.

البَـاذِنجان

قالوا: والباذِنجان مُكْلِف[2] للوجه يُورِث داءَ السَّرطانِ والأو رامَ الصُّلْبَة. وحدّثنى أبى عن أبى الحـارث جُمَّيزٍ أنه سمعه يقول فى الباذِنجان: لا آكُلُه، لون العقرب وشبهُ المِحْجَمة[3]. قيل له. فقد رأيناك تأكله على خِوان فلانٍ! قال كان مَيْتةً وأنا مُضـــطَرّ.

الخِيَـار والقِثّـاء

قالوا: شَمّ الخِيَار نافع لمن أصـابه الغَشْىُ[4] من الحرارة. وبِزْر القِثّاءِ إذا شربه من به حُمّى الأسى[5] نفعه. وإن أصابت رضيعا حُمّى فألزقتَ به خِيارتين تَمَسّان جلدَه إحداهما عن يمينه والأخرى عن شماله، أقلعت الحُمّى عنه.

السِّـــلْق

قالوا: والسِّلق إن دُقّ مع أصله وعُصِر ماؤُه وغُسِل به الرأسُ ذهب بالأبرية وأطال الشعر.

---

(١) الأرقان لغة فى اليرقان وهو، كما فى اللسان والقاموس وشرحه، داء يصيب الناس يصفرّ منه الجسد، وفى الأصـل «الأرمال» باللام وهو تحريف. (٢) مكلف معير للوجه بحمرة كدرة تعلوه تسمى الكلف وتعرف بالنمش. (٣) المحجمة: قارورة الحجام.

(٤) الغشى بالفتـح ويضم: تعطّل أكثر القوى المحرّكة والحساسة لضعف القلب من الجوع أو الوجع.

(٥) كذا بالأصل. ولعله «الأُسر» وهو احتباس البول.

الهِلْيَوْن[1]

قالوا : والهِلْيَوْن مُدِرٌّ للبول، نافع من القُولَنْج .

القَــــرْع

قالوا : إذا شُوِيَ القرعُ بالنار ثم عُصِر بخِرقة وقُطِّر من مائه في أُذُن من اشتكى أُذُنَه نفعه . وإن دُهِنت منابت شعر اللِّحْية بدهن القَرْع المُرّ، وقِثّاء الحمار[2] مُذابًا فيه شيء أرمني أسرع فيها نباتُ الشَّعر .

البقــــول

قالوا : والجِرْجير زائد في البـاه والإنعاظ مُدِرٌّ للبول . وتذكر الروم أنّ من أكل الجرجير ثم ضُرِبَ بالسِّياط هَوَّنَ عليه بعض ذلك الجَـلْدِ . قالوا : وهو ينفع من دفر[3] الإبطين إذا أُكِلَ على الريق وطُلِيَ الإبطان بمائه . وتزعم الروم أنّ ماءه ينفع من عضة ابن عِرْس[4] .

وقال بعض الأطباء . إن دُقَّ بِزْرُ الجِرْجير مدقوقًا في البيض وحُشِيَ كان ذلك زائدا في الباه والإنعاظ وزاده نَبَه . قال أبو حاتم عن القَحْذَمي قال. أكله أعرابي فأنعظ شهرا، فقال الفرزدق يفخر به :

(١) الهليون : نبت ورقه كورق الشبت ولا سوق له إلا به وله بزر مدوّر أخضر ثم يسود ويحمرّ (مفردات ابن البيطار، ج ٤ ص ١٩٥). (٢) قثاء الحمار: نوع برى من أنواع القثاء . وفي الأصل «قثاء الحيار» وهو تحريف . (٣) الدفر : رائحة الإبطين الكريهة . (٤) كذا في نهاية الأرب للنويري في باب الخضر اوات والبقول ومفردات ابن البيطار في اسم الجرجير . وفي الأصل وردت هذه اللفظة هكذا «عضة ابن معرض» وهو تحريف

ومنا التميمىُّ الذى قام أيْرُه * ثلاثين يومًا ثم زَادَهُمُ عَشْرَا(١)

قالوا : والسَّذَابُ(٢) قاطع لشهوة الجمـاع . وقالت الروم : إن أَكلتِ آمرأةٌ حاملٌ أربعةَ مثاقيلَ كلَّ يوم بمـاء مُخٍّي أو نبيذ خمسةَ عشر يوما أسقطتْ ولَدَها(٣) .

وقال بعض الشعراء :

كم نعمةٍ للسَّـذَابِ * جَليـلةٍ فى الرِّقابِ
النـاسُ عنها غُفُولٌ * إلّا ذَوِى الألبـابِ
فالحمــد لله شكرًا * لولَا مكانُ السَّذَابِ
لَغَيَّبَ(٤) الأرضَ نسلُ الـ * ـمُـقَنِّيات القِحابِ

قالوا : والبقلةُ(٥) الحمقاء اذا مُضغت أذهبتِ الطَّرَش ، واذا أُكلت أذهبتْ شهوةَ الجماع . والروم تقول : إن نظر ناظرٌ عنـد رؤية الهلال الى الهِنْدِباء(٦) فحلف بإلٰه القَمرِ ألّا يأكلَ هِندباءَ ولا لحمَ فَرَس ، سَلِمَ فى كلّ شهرٍ يحلِف فيه من وجع الضـرس .

قالت الأطبـاء : الخَسُّ اذا أُكِلَ على الريق نافعٌ لتغيير المـاء ومن يتأذّى باحتلام . واذا شُرِب بِزْره بمـاءٍ باردٍ [قطع شهوةِ الجماع](٧) .

(١) كذا بالأصل ولم نجد هـذا البيت فى ديوان الفرزدق . ولعله أجرى الأيام مجرى العاقل أو لعلها «ثم قد زادها عشرا» أو «ثمّ أتمها عشرا» أو نحو ذلك . (٢) تقدّم شرح هـذه الكلمة فى ص ٢٨٣ من هذا المجلد . (٣) تمـام الكلام يحتاج الى أن يكون بعـد كلمة «مثاقيل» «من السذاب» أو «من بزر السذاب» . (٤) فى الأصل : «تعيب الأرض» . (٥) يقال : بقلة الحمقاء بالاضافة على تأويل بقلة الحبة الحمقاء ، والبقلة الحمقاء بالنعت . قال ابن سيده : هى التى تسميها العامة الرجلة . (٦) الهندباء . صنفان برى وبستانى والأوّل أعرض ورقا من الشانى ، والبستانى صنفان : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق والآخر أدق ورقا منه وفى طعمه مرارة (مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ١٩٨) . (٧) التكملة عن ابن البيطار فى كلامه على الخس .

قالوا : والخَرْدل إن أُكثِرَ من أكله أورَثَ ضعفا فى البصر، وهو مُكَثِّر للّبن مُدِرٌّ للبول ، وهو نافع من الصَّرْع . وإن اكتُحِل بمائه بعد أن يُغْلَى عليه ويُصَفَّى جلا البصَرَ الضعيفَ من الرطوبة . وتزعم الروم أن ماءه يَصلُح للأطفال من الحُمَّى اذا أصابتهم . وهو يُفسِد الذهن ويُورِثُ النِّسيانَ ويُضعِف البصرَ .

قالت الأطباء : النَّعْنَاع يُسَكِّن القىء ، وينفع من الفُوَاق الحادث من البلغم اذا شُرِب مع النَّمَّام.(١)

وتقول الروم : الحَبَق(٢) الذى على شطوط الأنهار نافعٌ للرَّمَد اذا دُقّ ونُخِل واكتُحِل به، وإن مضغه ماضغٌ ووضعه على عينه نفعه .

وأما الفُوذَنْجُ(٣) النَّهرِى — [فإنه] يُدِرُّ الطَّمْثَ(٤) . وإن أُخِذَ من الفُوذَنْج الجبلىّ أُوقِيَّةٌ وطُبِخ بنصف رِطل من ماءٍ حتى يبقى الثلثُ ويُشْرَب، سهّل السَّوداء .

وقالت الأطباء : الحَنْدَقُوقُ(٥) يُورِثُ وَجَع الحَلْق، ويَذْهَب بضرره مَن يأكل بعده الكُزْبَرة الرَّطْبَة والبَقْلَة الحَمْقاء والهِنْدباء .

والطَّرْخُونُ(٦) يُؤكل مع الكَرَفْس .

قالوا : والرَّاسِنُ(٧) ينفع من قِطَار البول اذا كان من بَرْد، ويُقَوِّى المثانة .

---

(١) النمام : نبت ورقه كالسذاب، له زهر كالريحان، عطرى قوىّ الرائحة، سمى بذلك لسطوع رائحته . (٢) الحبق : نبات طيب الرائحة . (٣) الفوذنج : نبت، معرّب عن پودينه، ويقال فيه : فودنج (بإهمال الدال وضم الأوّل والرابع) . وأجناسه ثلاثة : برى ونهرى وجبلى ولكل منها أوصاف وخواص تجدها مفصلة فى مفردات ابن البيطار . (٤) الطمث : دم الحيض . (٥) تقدم شرح هذه الكلمة فى ص ٢٨٦ من هذا المجلد . (٦) قال ابن البيطار : الطرخون : بقلة معروفة عند أهل الشام وهى قليلة الوجود بمصر . وقال أبو حنيفة . ورقه طوال دقاق . (٧) الراسن : نبات يشبه الزنجبيل .

قالوا : والكَشُوثُ[١] يَذهب بالأَرَقانِ .

قالوا : وعِنَبُ الثعلب قاطعٌ لدم الحيض إن شُرِب أو ٱحْتُمِل .

وقالوا : الكَرَفْسُ[٢] اذا طُبِخ وشُرِب كان دواءً من وجع الكُلْيَتَيْن ومن الأُسْر[٣] .

باب الحبوب والبزور

تقول الأطبّاء فى حَبّ الفُلْفُل : اذا خُلِط بالسَّمْسِم وعُجِن بعسلِ الطَّبَرْزَد[٤] يَزيد فى الجماع .

والعرب تزعُم أنّ الحبّة الخضراءَ وشُرْبَ ألبان ٱلإِيَّلِ عليها تبعَثُ الشّهوةَ .

قال جرير :

أَجِعْثِنُ[٥] قد لاقَيتِ عِمرانَ شَارِبًا[٦] * على الحبّة الخضراءِ ألبانَ إيَّلِ[٧]

والحِمّص زائد فى الجماع، مُكثِرٌ للمَنِيّ، محسِّن لِلّون، زائدٌ فى لبن المُرْضِع، يُدِرُّ دَم الحيض، وإن خُلِط بالبَاقِلّاء أسمَنَ .

---

(١) الكشوث (بالفتح وهى أفصح لغاته) قال ابن البيطار : هو شىء يتعلق بالنبات مثل الخيوط يشرب من ماء النبات الذى يتعلق به ولا أصل له فى الأرض ولا ورق، لكن فى أطراف فروعه ثمر لطاف وهو يسمو فى الشجر وتشتبك فروعه، ويكثر فى الكروم الرطاب، وكثيرا ما يفسد النبات ... الخ .

(٢) الكرفس : (بفتح أوّله وثانيه وسكون ثالثه) : نبت معروف وهو من أحر البقول عظيم المنافع .

(٣) الأُسْر : احتباس البول . (٤) الطبرزد : السكر الأبيض . (٥) جعثن : اسم امرأة وهى أخت الفرزدق . (٦) كذا فى لسان العرب مادة «أول» وفى الأصل : «ساريا» بالسين والياء وهو تحريف . (٧) الإيّل (بكسر الهمزة وفتح الياء المشدّدة) : جمع أيّل (بفتح الألف وكسر الياء المشدّدة) (وهو الذكر من الأوعال) . واختير الجمع هاهنا على الإفراد مع أن كليهما يتزن الشعر، «لجمع ألبان»، إذ لو كان واحدا لقال لبن أيل (انظر اللسان مادة أول) .

الأصمعيّ قال : قلت لابن أبي عُطارد : بلغني أنّ أباكَ كان ذا منزلة من ابن سيرين، فما حَفِظتَ عنه؟ قال قال أبي : قال لي ابن سيرين : يا أبا عُطارِد، إن سَوِيق العَدَس بارد وهو يَدفعُ الدّمَ .

قالت الأطبّاء : إنّ الخَرْدَل، نافعٌ من حُمّى الرِّبْع(١) والحُمِّيات المتقادِمة ووجع الأرحام ويُجَفِّف(٢) من البلغم، ويُنْزِل الرطوبةَ من الرأس، وإن أُكِل مع السِّلْق المسلوق نفع من الصَّرع، وإن طُلِيَ البَرَصُ به زال .

وقالت الأطباء: الحُرْفُ(٣) يُخرِج حَبّ القَرْع من البطن،وينفَع من عِرْق النَّسَا ووَجعِ الوَرِك . وإن سُحِق بالماء الحارّ وشُرِب منه وزنُ أربعةِ دراهمَ أو خمسة أسهلَ الطبيعةَ ونفَع من القُولَنج .

وقال رجل من قُدماء الأطبّاء في البَاقِلّاء(٤) : إنه اذا أُدْمِن أَكلُه البصَر، وأحال الأحلامَ أضغاثاً لا يُنتفَعُ بها ولا يجد عابرُ الرؤيا إلى تأويلها سبيلا .

ودهن الشّاهْدَانِج(٥) نافعٌ لوجع الأُذن العارض من البَرْد والعِلَل المتقادِمة منها.

---

(١) حمى الربع هي التي تأتي في اليوم الرابع، وذلك أن يحم يوما ويترك يومين لا يحم ويحم في اليوم الرابع . (٢) لم نتبين مكان هذه النقط في الأصل فقد وقعت في أول الصفحة ولم تظهر بالتصوير . وفي مفردات ابن البيطار في الكلام على خواص الخردل أنه « يجفف اللسان الثقيل من البلغم » . (٣) الحرف (بالضم) حب الرشاد . (٤) انظر شرحه في ص ٢٥٦ من هذا الجزء . (٥) الشاهدانج (ويقال فيه شاهدانك وشاهدانق وشهدانج بغير ألف بعد الشين) : القنب (بكسر القاف وتشديد النون مفتوحة) وهو نبات ذو قضبان طويلة فارغة منتن الرائحة وله حب مستدير يؤكل وتتخذ منه حبال قوية .

باب الفاكهة

عن معمر بن خثيم عن جدته قالت: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: اذا أكلتم الرمان فكلوه بشحمه فإنه دباغ للمعدة، وذلك يوم الجمعة على المنبر.

الأصمعي: قيل لأعرابي: لم تبغض الرمان؟ قال: لأنه مبخرة(١) مجفرة مجمرة.

قال: وقال يحيى بن خالد: شيئان يورثان القمل: التين اليابس اذا أكل، وبخار اللبان اذا تبخر به.

وقالت الأطباء: ورق الخوخ وأقماعه إن دق وعصر وشرب أسهل حب القرع والديدان والحيات المتولدة في البطن، وإن صب ماؤه ورقه في الأذن أمات الديدان فيها، وإن تدلك بورقه بعد النورة(٢) قطع ريحها.

وحماض الأترج(٣) إن لطخ به الكلف والقوب أذهبه. وحب الأترج نافع من السموم.

---

(١) مبخرة: مظنة للبخر وهو نتن ريح الفم. ومجفرة أي أنه يذهب شهوة الجماع. ومجمرة يلين الطبيعة أي أنه مظنة لذلك، ومنه حديث عمر رضي الله عنه «وإياكم ونومة الغداة فإنها مبخرة مجفرة مجمرة». (انظر اللسان والقاموس مواد بخر وجفر وجمر)

(٢) النورة (بضم النون): حجر الكلس، ثم غلبت على أخلاط تضاف الى الكلس من زرنيخ وغيره، وتستعمل لإزالة الشعر. قيل عربية وقيل معربة، قال الشاعر:

فابعث عليهم سنة قاشوره * تحتلق المال كحلق النوره

وسنة قاشورة: مجدبة تقشر كل شيء (انظر المصباح المنير مادة نور).

(٣) حماض الأترج ما في جوفه، قال ابن البيطار في مفرداته نقلا عن أبي حنيفة الدينوري: الأترج كثير بأرض العرب وهو مما يغرس غرسا ولا يكون بريا، وأخبرني بعض الأعراب أن شجرته تبقى عشرين سنة تحمل وحملها مرة واحدة في السنة، وورقها مثل ورق الجوز وهو طيب الرائحة، ونقاحه شبيه نور النرجس إلا أنه ألطف منه.

وورق التُّفّاح الغضّ إن دُقّ بالرّفق أيّامًا خمسةً أو ستّةً ثم ضُمِد به الوَشْمُ قلعه من غير أن يَقْرَحَ موضعه .

عن الزُّهريّ قال : حدّثني رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من بات وفي بطنه جَزَرةٌ أو جَزَرَتانِ أو ثلاثٌ أَمِن القُولَنج والدُّبَيْلة[(١)] " .

والفُسْتُق : إن دُقّ وشُرِب بالمطبوخ الشديد نفع من لَسْع الهَوَامّ .

واللُّفّاح[(٢)] : سمّ، وربما قتل آكله . وتُدفع مضرّته بالقيء بالشّراب والعسل والإسهال وشمّ[(٣)] الفُلفُل والخردلِ والجندبادستر[(٤)] والسّذاب والتّعطّس .

قال وحدّثني شيخٌ من الدّهاقين عالمٌ بأيام العجم : أن بُزُرْجِمْهر قال لأهل الحبس : سلُوا الملك أن يَرْزُقكم مكان الأُدْمِ الأُتْرُجّ، ليكون القشر لطيبكم ، ولحمته لما كهتكم ، والحُمّاض لصباغكم ، والحَبّ لدُهنكم . فكان ذلك أوّل ما عُرِفت به حكمته .

---

(١) الدبيلة (وزان جهينة) : خراج ودمّل كبير ، تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالبا .

(٢) اللفاح (وزان رمان) : ثمر اليبروح، وهو أصفر طيب الرائحة فيه حب شبيه بحب الكمثرى . واليبروح صنفان . أحدهما يعرف بالأنثى ولونه الى السواد و يقال له ربوص أي الخس لأن في ورقه مشاكلة لورق الخس إلا أنه أدق من ورقه وأصغر، وهو زهم ثقيل الرائحة ينبسط على وجه الأرض وليس له ساق . والآخر يعرف بالذكر له ورق بيض ملس كبار عراض شبيهة بورق السلق ولونه كالزعفران، طيب الرائحة مع ثقل ، وتأكله الرعاة فيعرض لها سبات وليس له ساق أيضا ، واللفاح أيضا : نوع من البطيخ صغير حجمه مخطط ورائحته طيبة الشم .

(٣) في ابن البيطار في الكلام على اليبروح أن ضرر اللفاح يعالج بأكل الفلفل وشرب الجندبادستر والسذاب والخردل .

(٤) كذا في مفردات ابن البيطار وفي الأصل : «الجندجدستر» .

باب مصالح الطعام

قال رئيس من رؤساء الطبّاخين: العجينُ يُملَك. وفي الحديث المرفوع: "أمْلِكوا العجينَ فإنه أحدُ الرَّيْعَيْن"[١].

السَّوِيقُ: يُغسَل بالماء الحارّ مرّاتٍ ثم بالبارد ويُشرب.

والمِلْح: يُتَنقَّل به الطبيخُ.

والخَلُّ: يُنضِج العَدَسَ ويُصلِحه للأكل.

البَاقِلّي: يُنقَع ثم يُطبَخ. ولا يُؤكَلُ من الفاكهة إلا ما نَضِج على شجره، ويُلْقَى ثُفْلُه وعَجَمُه[٢]، ويُؤكَل على ريق النَّفْس.

والعِنَب: يُقطَف ويُمهَل أيّاماً ثم يؤكل. ولا يُؤكل من القِسْب[٣] إلا لُبُّه. ولا يُؤكل من الرأس إلا أسنانُه[٤] وعيونُه.

الباذِنجان: يُشَقّ ويُحشى بالملح، ويترك ساعةً في الماء البارد، ثم يُصبّ عنه ويعاد إلى الماء مرارا، ثم يُسْلَق بعد ذلك.

الكَبَرُ: يؤكَل بالخلّ بعد غسله بالماء من الخلّ.

الزيتون: يؤكَل وسط الطعام ويُصَبّ في الخل.

---

(١) ملك العجين وأملكه: عجنه فأنعم عجنه وأجاده. والريع: الزيادة. أراد أن خبزه يزيد بما يحتمله من الماء لجودة العجن. (٢) عجمه: نواه. (٣) القسب: تمر يابس صلب الرائحة له حب مستدير يؤكل، وفي الأصل «القصب» وهو سكر القصب ولا لب له والتحريف فيه ظاهر. (٤) كذا في الأصل، ويحتمل أن يكون «لسانه».

ويؤكل من الأشترغاز (١) خلّه ولا يُعرض لجسمه .

والكَمْأَةُ : تُنصَّف ويُقَشَّر عنها قشرُها، وتُسلق بالماء والملح ثم تُستعمل بالسعتر (٢) والفُلْفُل، وتُقلى بالزيت الرِّكابي (٣)، وكذلك الفُطْر .

السِّلْقُ والكُرُنْبُ : يُسْلَقان بالماء والملح، ويُصَبُّ ماؤهما ثم يُستعملان .

والبقولُ : تمسحُ ثم تؤكل ولا تُغسل بالماء .

وأحمد التُّمور الهَيْرون (٤) . وأحمد السُّور الجَيْسَران (٥) . وما أصفر أحمدُ مما اسودّ .

وخير السَّمك الشَّبُّوط (٦) والبَنَانيّ والمَيّاح . ولا يؤكل السَّمك الطَّرِيّ إلا حارًّا بالخردل في الشتاء، وفي الصيف بالخلّ والأبازير . وأقلّ السَّمك أذى المَنْقُور (٧) . وشرّ السَّمك كباره السماريس (٨) . وخيرُ السماريس البِيضُ، [وأكلها] (٩) خيرٌ من أكل الحمر، وشرُّها السُّودُ .

---

(١) الاشترغاز : تأويله بالفارسية شوك الجمال، وهو نبات حريف ... وليس له صمغ وهو طويل الشوك ترعاه الإبل . (٢) السعتر : نبات طيب الرائحة حريف زهره أبيض إلى الغبرة، ويقال له الصعتر بالصاد وهي اللغة الجيدة، والعامة تبدل السين زايا . (٣) كذا في مفردات ابن البيطار في الكلام على خواص الكمأة . وقد نقل ياقوت أن هذا الزيت منسوب إلى الركابية وهو موضع على عشرة أميال من المدينة؛ ثم قال : وأراه وهما لأن تلك النواحي قليلة الزيت إنما يحمل إليها من الشام على الركاب فهو منسوب إليها . (٤) الهيرون : البرني من التمر والرطب . (٥) الجيسران : جنس من أفخر النخل معرب، وفي الأصل «حسوان» وهو تحريف . (٦) الشبوط (بفتح الشين وتضم وضم الباء المشددة) : ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس لين المس . (٧) المنقور : الغائص المنقوع في الخل أو الماء والملح . (٨) السماريس : صنف من السمك، رأس المملوح منه إذا أحرق نفع اللحم الزائد في القروح ومنع القروح الخبيثة من أن تسعى في البدن، ويقلع الثآليل (راجع مفردات ابن البيطار) . وفي الأصل «عماريس» وهو تحريف . وأصل الجملة في الأصل هكذا «وشر السمك كباره العماريس البيض وخير العماريس البيض الخ» والسياق يقضي بحذف «البيض» الأولى . (٩) زيادة يقتضيها السياق .

وخيرُ البَيضِ بَيضُ الشَّواتِ من الدَّجاجِ، ولا خيرَ فى بَيضِ الهَرِمةِ . وأخفُّ البَيضِ الرقيقُ، وأثقلُه البيضُ الصلبُ .

ولا يُعرَضُ من الرأسِ للدِّماغِ ولا للِّسانِ، ولا الغَلْصَمةِ[1] ولا الغَرَاطيمِ .

ولَحْمُ العُنقِ خفيفٌ سريعُ الانهضامِ . وفى الحديث المرفوع . "العُنُقُ هادِيَةُ[2] الشاةِ وهى أبعدُها من الأذى" .

والفُقَّـــاعُ[3] : يُشرَبُ قبل الطَّعامِ ولا يُشرب بعده .

واللَّـــبنُ : لا يُؤكَلُ ولا يُشرب إلا بعد وضع الشاة بشهرٍ ونحوه .

والبَـــاقِلَّى[3] : يُؤكَل بعده الفُوذَنجُ[3] فإنه يَذْهَب بمضرّته .

اللُّوبِيَاءُ[4] : يُؤكَل بعده الخَرْدَلُ الرَّطْب ، ويُشرب بعده ماء الرُّمّانِ والسَّكَنْجَبِينِ[5] المعمول بالسكّرِ .

الهَرِيسةُ[6] : تُؤكَل بالفُلفُل الكثيرِ والمُرِّيّ[7] ولا يُجعل فيها السَّمْنُ .

والمَضِيرةُ[8] : تُطبَخ بالفُوذَنج والسَّذابِ والكَرَفْس .

---

(١) الغلصمة : رأس الحلقوم بشواربه (عروق فى الحلق) وحرقدته (عقدة الحلق) (٢) الهادية من كل شىء : أوّله . (٣) تقدّم تفسيره فى صفحة ٢٨ من هذا المجلد . (٤) اللوبياء (بالمدّ والقصر، ويقال أيضا اللوبا . وهو مذكّر) نبات معروف . (٥) السكنجبين : شراب من خلّ وعسل، ويراد به كل حلو وحامض، وهو معرّب . (٦) الهريسة : طعام يعمل من الحبّ المدقوق واللحم (٧) المرىّ : الذى يؤتدم به، والعامة تخففه نسبة الى المرارة، ويسمى الكامخ، وهو عند الأطباء من الأدوية القديمة، وأجوده المتخذ من دقيق الشعير . وقد ذكر خواصه ابن البيطار فى مفرداته وداود فى تذكرته، فراجعهما . (٨) المضيرة : اللحم المطبوخ باللبن الماضر أى الحامض . كان أبو هريرة تعجبه المضيرة فيأكلها مع معاوية، فاذا حضرت الصلاة صلى خلف على كرم الله وجهه، فاذا قيل له فى ذلك قال : مضيرة معاوية أدسم والصلاة خلف على أفضل، فقيل له شيخ المضيرة . (راجع مطالع البدور) .

الزَّيْتُ الرِّكابِيّ : اذا خُلِط بالخَلّ أو أُغْلِيَ على النار ثم رُفِعت رَغْوتُه عاد كالمغسول . وفي الحديث : أن عمر رضي الله عنه قال : عليكم بالزَّيْت، فإن خِفتم ضَرَره فاْمحوه بالماء فإنه يصير كالسَّمْن .

عن عُقْبَة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "عليكم[1] بالشَّجرة التي نادَى اللهُ منها موسى عليه السلام زيت الزَّيتون ادَّهِنوا به فإنه شِفاءٌ من الباسُور" .

الخَرْدَل : يُسْحَق بالخَلّ ويُغسل بالماء ورَمادِ البَلُّوط أو رمادِ الكَرْم مِرارًا بعد أن يُنعَمَ دَقُّه ونَخْلُه، ثم يُغسل بالماءِ القَراح ويُرَشّ بالماء حتى تخرُجَ رغوته ويكثر خَلُّه، ويُخلَط معه اللَّوزُ الحُلْو أو ماءُ الرُّمَّانِ الحامِض وماءُ الزَّبيب .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي] .

تم كتاب الطعام وهو الكتاب التاسع من عيون الأخبار لابن قتيبة ، ويتلوه في الكتاب العاشر كتابُ النساءِ . والحمد لله ربّ العالمين، وصلاتُه على خيرِ خَلْقه محمدٍ وآله أجمعين .

وكتبه الفقيرُ الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن عليّ الجَزَرِيّ الواعظ، في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

نجز كتاب الطعام ويتلوه في الجزء العاشر كتاب النساء .

(١) ورد هذا الحديث في الكشاف للزمخشري (ج ٢ ص ٨٣ طبع مصر) والجامع الصغير هكذا : «عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به فإنه مصحة من الباسور» .

جاء بعـــد خاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التى نقـل عنها الأصل الفتوغرافى ما يأتى :

قال الأصمعىّ : دخلتُ على هارونَ الرشيدِ وبين يديه بَدْرةٌ، فقال يا أصمعىّ، إن حدّثتَنِى بحديثٍ فى العَجُز فأضحكتنى وهبتُك هذه البدرة، فقال : نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا فى صَحَارَى الأعرابِ فى يومٍ شديدِ البردِ والرِّيح وإذا بأعرابىٍّ قاعدٍ على أَكَمَةٍ وهو عُرْيان، قد احتملت الرِّيحُ كساءَه، فألقتْه على الأكمةِ، فقلت له : يا أعرابىّ، ما أَجْلَسَــك هاهنا على هـــذه الحـــالةِ ؟ فقال . جاريةٌ وعدتُها يقال لهـــا سَلْمى، أنا منتظر لهـــا[1]، فقلت : وما يَمنعُك من أخذِ كسائِك ؟ فقال : العَجْز يوقِفُنى عن أخذِه، فقلت له : فهل قلت فى سَلْمى شيئًا ؟ فقال : نعم، فقلت : أَسمِعنى لله أبوك ! فقال : لا أُسمِعك حتى تأخذ كِسائى وتُلْقِيَه علىّ، قال : فأخذتُه فألقيتُه عليه، فأنشأ يقول :

لعلّ الله أن يأتِى بسلمى * فيَبْطَحَها ويُلْقِينى عليهـا
ويأتى بعد ذاك سَحَابٌ مُزْنٍ[2] * تُطَهِّرنا ولا نَسْــعَى إليها

فضحك الرشيدُ حتى استَلْقَى على ظهره، وقال : أعطوهُ البَدْرَه، فأخذها الأصمعىّ وانصرف .

(١) كذا بالأصل، وأوقفه يوقفه لغة رديئة، والفصحى «وقفه» بغير الهمزة .

(٢) السحاب: الغيم، وهو اسم جنس جمعىّ ولذلك يوصف بالمفرد مراعاة للفظه كقوله تعالى : «والسحاب المسخر بين السماء والأرض» وبالجمع مراعاة لمعناه كقوله تعالى . «وينشئُ السحاب الثقال» ويعامل الفعل معه معاملته مع أمثاله من أسماء الجموع فيقول أمرع السحاب ماءه، وأمرعت السحاب ماءها . ولذلك قال : تطهرنا على الوصف بالجمع .

ويُروى أن الحسن بن زَيْد لما وَلِيَ المدينةَ قال لابن هَرْمة : إني لستُ كمن[1] باعك دينَه رجاءَ مدحك أو خوفَ ذمك، فقد رزقني الله بولادة نبيّه عليه السلام الممادحَ وجنّبني المقابحَ، وإنّ من حقه عليّ ألّا أُغْضي على تقصيرٍ في حقّ ربّه . وأنا أُقسِم لئن أُتيتُ بك سكرانَ لأضربنّك حدًّا للخمر وحدًّا للسكر، ولأزيدنّ لموضع حُرمتك بي . فليكُنْ تركُك لها لله تُعَنْ عليه ، ولا تَدَعْها للناس فتُوكَلَ إليهم، فنهض ابن هَرْمة وهو يقول .

نهاني ابنُ الرسولِ عن المُدامِ * وأدّبني بآدابِ الكرامِ
وقال ليَ اصطبرْ عنها ودَعْها * لخوفِ اللهِ لا خوفِ الأنامِ
وكيف تَصَبُّري عنها وحبّي * لها حبٌّ تمكّن في عظامي
أرى طيبَ الحلالِ عليّ خُبْثًا * وطيبَ النفسِ في خُبْثِ الحرامِ

ذكر هذا الخبر أبو العباس المبرّد في كتاب الكامل .

(١) كذا في الكامل للمبرد (طبع ليبزج ص ١٢٨) وفي الأصل «ممن» .

3/92

5/A